د. رفعت سيد أحمد



قرآن.. وسيف

من ملفات الإسلام السياسى
دراسة موثقة

- من جمال الدين الأفغانى الى أسامة بن لادن
- سقط الخليفة و صعد الإمام
- سلفية رشيد رضا و حاكمية المودودى
- الإخوان من التعاون إلى الصدام و القتال
- مرحلة تأسيس العنف السياسى عند الإسلاميين
- طالبان و الملا .. من الدين الى السلطة
- صحوة الفجر العنيف فى السبعينات

مع قراءة فى فكر محمد عبد الوهاب، الأفغانى، محمد عبده، رشيد رضا، المودودى، على عبد الرازق، طه حسين، حسن البنا، وكل الجماعات و الأحزاب الإسلامية

مكتبة مدبولى

قــرآن .. وســيف

من الأفغان .. إلى بن لادن

(من ملفات الإسلام السياسى)

دراسة موثقة

الناشر

مكتبة مدبولى

العنوان: ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ ـ فاكس: ٥٨٧٢٨٥٤
الكتاب: قرآن وسيف
الكاتب: د. رفعت سيد أحمد
رقم الإيداع: ١٥٤٠ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى: 4 - 374 - 208 - 977
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى: يناير ٢٠٠٢
الطبعة الثانية: أغسطس ٢٠٠٢
الغلاف: أحمد صفوت

عربية للطباعة والنشر

العنوان: ٧&١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون: ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣ ـ فاكس: ٣٢٩١٤٩٧

د. رفعت سيد أحمد

قــرآن .. وســـيف

(من الأفغان .. إلى بن لادن)

(من ملفات الإسلام السياسى)

دراسة موثقة

الطبعـة الثانيـة

الناشر

مكتبة مدبولى

2002

الآراء الواردة فى هذا الكتاب مسئولية الكاتب
ولا تعبر (بالضرورة) عن وجهة نظر الناشـر

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى المعبرين بصدق عن الإسلام الحق فى زمن الردة ..

إلى أحفاد / عز الدين القسام ..

أبناء عباس الموسوى ..

ويحيى عياش ..

وفتحى الشقاقى ..

إلى المجاهدين فى فلسطين ..

تحية حب .. ووعد نضال ..

رفعت سيد أحمد

بدلاً من المقدمة

وسيبقى الإسلام ...

غـــنى عن البيان ، أننا فى هذه الدراسة التى بين يدى القارىء ، من المؤمنين بأن الإسلام واحـــد وليس به ما أسماه البعض بالإسلام السياسى أو الثقافى أو الاقتصـــادى فهو فى عرفنا ، لا يعرف هذه التصنيفات التى ربما يأتى بعضها على سبيل التيسير فى مجال الدراسات والأبحاث الـــنظرية ، أكثر منه على سبيل الواقع المعاش ، وهو هنا فى دراستنا تلك ، مقصود به ، تلك الجماعـــات أو الأفراد (مفكرين أو قادة) الذين يعلون من قيمة الأدوات والأهداف والمشاريع السياسية حين يتحركون لتبليغ رسالة دينهم أو لتطبيقها فى مناحى الحياة ، ونحن هنا نستخدمه كمصـــطلح فقط من قبيل التيسير العلمى للتحليل والبحث فى واحدة من أعقد قضايا تاريخنا وواقعنا العربى والإسلامى المعاصر ، تلك التى تمثلت فى بروز (العنف السياسى) الملتحف بعباءة الدين ، صواباً كانت أهدافه أو خطأ ، والتى شغلت الأمة ، والعالم من حولنا قرنين من الزمان ، على أقل تقدير .

تـــرى كيف كانت هذه الإشكالية : « الإسلام السياسى » ، فكرة وتطبيقاً ، فى القرن الماضـــى؟ كيف عاشت وتفاعلت مع بيئة ذلك القرن ، وقضاياه الكبرى والتى كان التحدى الاســـتعمارى الغـــربى أبـــرزها ؟ ومن هم حملة مشاعلها ومن هم أيضاً حملة مشاعل المقاومة والتحدى لهذا الغرب القادم متوحشاً ليفترس الشرق دولاً وثروات وتاريخاً ؟ .

وكيف امتدت القضية لتعبر القرن العشرين واصلة الحلقات عبر الأحداث والأشخاص والاجتهادات ، لتصل فى رحلة طويلة ممتدة من جمال الدين الأفغانى .. حتى أسامة بن لادن ؟

ذلـــك هـــو موضوع كتابنا ، حاولنا فيه وبأسلوب علمى ، نتمنى أن يكون موضوعياً ، وشـــاملاً ، أن نـــلمس رؤوس القضايا دون الغوص فى تفاصيلها عبر مائتى عام من الأفكار ، والصراعات والتحديات منذ قدوم حملة بونابرت الى مصر (١٧٩٨م) وصولاً الى حملة جورج بـــوش الى أفغانستان (٧أكتوبر٢٠٠١م) .. ماذا حدث ، وكيف حدث ولماذا حدث؟ تلك هـــى تســـاؤلاتنا المركزية فى بحثنا عن (الإسلام السياسى) وملفاته الكبرى عبر تاريخنا العربى والإسلامى نقدمه فى ثلاثة أجزاء ، مركزين فى الجزء الأول على رحلة هذا (الإسلام السياس)

أفكاراً وأحداثاً من (الأفغاني الى بن لادن) وفى الجزء الثاني نعالج دلالات الحدث الكبير . حدث ١١ سبتمبر / أيلول ٢٠٠١م المتمثل فى ضرب برجى (التجارة العالمى) ومبنى البنتاجون فى واشنطن ونيويورك وما تبعه من ضرب لأفغانستان وإسقاط لحكومة طالبان ومحاولة قتل (لازالت مستمرة حتى لحظة كتابة هذا العمل) لأسامة بن لادن ظناً من إدارة بوش إنه الفاعل الرئيسى للأحداث ، أما الجزء الثالث فنخصصه لشهادات غربية (٥ شهادات) ولوثائق دولية عن الحدث (١٦ وثيقة) .

تلك هى رؤيتنا نقدمها لقارىء العربية ، موقنين ، أن الكمال لله وحده وأن عملنا هذا مجرد لبنة أولى من لبنات فكرية وسياسية تشارك فيها عقول الأمة المخلصة كافة لبناء مشروع نهضتنا التى لن تقوم إلا بمواجهة حضارية شاملة للتحدى الغربى الذى يحتل المشروع الصهيونى السرطانى قلبه ، وأن الإسلام هو منطلقنا وسلاحنا الرئيسى فى هذه المواجهة ، والتى سننتصر فيها يقيناً ، لأن هذا وعد الله ، ولكنه وعد يحتاج الى عباد مؤمنين أولى بأس ، يعلمون قيمة الإسلام ودوره ، ويستهدفون أن يبقى راية للثورة ، وللتغير ، وللمستضعفين الصابرين الثابتين، أولئك الذين بهم انتصر محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وبهم سينتصر دينه فى مواجهة طواغيت الأرض الذين انتشروا وكثروا وفتّنوا وتشابهوا علينا

والله المستعان ،،،

د. رفعت سيد أحمد

القاهرة ٢٠/١١/٢٠٠١م

الجزء الأول

الإسلام السياسى

(من الأفغانى) إلى (بن لادن)

الفصل الأول

بدايات الانفجار .. حين أتى الغرب ملتحفًا بحملة بونابرت برز الإسلام السياسى !!

طويـلة هى قصة الإسلام السياسى فى شرقنا العربى ، معقدة فصولها ، متداخلة أبعادها وأفكارهـا ، وهـى تزداد طولاً وتعقيداً وتداخلاً فى أجواء الاستقطاب والعنف العالمى الذى نعيشـه بعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١م وضرب أفغانستان والتداعيات المستقبلية على فلسطين والشـرق العربى ، وإذا كان الإسلام قد حسم عبر موروثه العقائدى والفكرى والحضارى ، علاقـة الدين بالدولة ، واعتبر مجرد الفصل ولو نظرياً بينهما شكل من أشكال التجنى وعدم الدقة والأمانة العلمية والتاريخية ، وأن الإسلام فى جوهره وعبر تاريخه ومنظومته ، دين ودولة وحى عقل ، أولى وآخرة ، فإن الخلاف نشأ حين اشتط طرفا العلاقة ، دعاة التشدد الدينى من ناحية أو دعاة علمنة الدولة والغلو الدنيوى من ناحية أخرى ، إن الخلاف وقع أيضاً – حين اقتحم المستعمر الغربى ، عبر وكلائه من المثقفين والمفكرين والحكام ، قيم الشرق وإسلامه مع عمليات اختراقه اقتصادياً وسياسياً ، فأنشأ عمداً ، وبعد ذلك طوعاً ، (مسألة الشطط بشقيها الدينى والدنيوى) التى بدورها أعادت طرح القضية بتشويه كبير ، وصار السؤال عبر قرنين من الزمان :

– هـل الإسلام دين فحسب ؟ هل هو مثل المسيحية فى نطاق تعاملها مع المجتمع ونظم الحكـم ؟ أم هـو غير ذلك : دين ودولة ، قيم إسلامية توجه الحاكم وتواجه المستعمر وتبنى وتعمر الحياة ؟! .

– لقد كان القرن التاسع عشر ، وتحديداً بعد قدوم حمـلة نابليون بونابرت (١٧٩٨م) هـو البداية .. وإن سبقتها إرهاصات ، ومقدمات أخرى طويلة منها حركة التجديد الفقهى والفكرى التى استفتحت بابن عبد الوهاب فى نجد، فى القرن الثامن عشر (١٧٠٣ – ١٧٩١)

وتقوم على التوحيد المطلق ، وترفض فكرة الحلول والاتحاد ، وتؤكد مسئولية الإنسان ، وتمنع التوسل بغير الله ، وتدعو لفتح باب الاجتهاد ، وظهر محمد بن نوح الغلاتى فى المدينة (١٧٥٢ - ١٨٠٣) كما ظهر ولى الدين الدهلوى فى الهند (١٧٠٢ - ١٧٦٢) وفى اليمن ظهر محمد ابن على الشوكانى (١٧٥٨ - ١٨٢٣) ثم الشهاب الألوسى فى العراق (١٨٠٢-١٨٥٤) ، وفى المغـرب ظهر محمد بن على السنوسى (١٧٧٨ - ١٨٥٩) ثم ظهر فى السودان محمد بن أحمد المهدى (١٨٤٣ - ١٨٨٥) .

ونـلحظ أن هـذه الدعوات التجديدية الإصلاحية ، (كما رصدها بعمق المؤرخ طارق البشرى) كانت ظاهرة عامة من منتصف القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريـباً ، وأنه برغم الخلافات التى تبدو بين هذه الدعوات وبعضها ، فهى جميعاً تكون حركة تجديديـة ، وهى جميعاً تتفق اتفاقاً عاماً فى دعوتها للتجديد ونبذ التقليد وفتح باب الاجتهاد ، ونحن إذا نظرنا إلى مناطق قيام هذه الحركات وجدناها تظهر فى الهند والعراق شرقاً ، وفى نجد والـيمن والحجـاز والسودان جنوباً ، وفى المغرب والجزائر وليبيا غرباً ، فهى حركة عامة ، ولكـنها تـتفادى منطقة القلب من الأمة الإسلامية ، بحسبان أن منطقة القلب من هذه الأمة كانت تتركز فى مجال الهيمنة المركزية للدولة العثمانية فى ذلك الوقت ، وهى المنطقة التى فاجأتها الحمـلة الفرنسـية فاستعر الخلاف فيها بين دعاة عزل الإسلام عن مجمل أمور الحياة ، وبين أصـحاب الغـلو من الطرف الدينى ، حتى جاءت الحركات الإسلامية العنيفة ؛ فى الرؤى ، والفعل ؛ والتى مثلت وبالتحديد فى النصف الثانى من القرن العشرين ، حالة انقطاع كاملة عن التاريخ وليس فقط عن الواقع ، انقطاعا عن تاريخ من الاجتهادات والأفكار الكبيرة ، لدعاة كبار ، وذهبت مباشرة الى (ابن تيمية) مثلاً دون المرور على الأفغانى وعبده والكواكبى والنديم ورشيد رضا ، بل وأبو زهرة وشلتوت والعقاد ، وغيرهم .

- إن دعـاة " الإسلام السياسى " ، أى الإسلام الذى يستهدف الحكم تغييراً أو تحكماً وسـيطرة ، مثلوا عبر القرنين الماضيين ، ملحمة من الفعل المتماهى فى فكر لا يرى فى الإسلام الا شقه " المقاتل" شقه الهادف للسلطة ، والراغب فيها ، لقد سقط من بين حساباتهم الإسلام الداعى بالحسنى ، الإسلام البانى للعمران والمؤسس للحضارة ، وضاق بهم الأمر وضاق منهم ،

فأوجــز الإسلام فى " رأس السادات " مثلاً أو تهديدات " بن لادن " عبر " الجزيرة " ، وهو بالتأكيد أكبر من ذلك وأعمق .

* * *

– حــول هذه القضية ، بكل تفاصيلها وأفكارها ، وأطروحاتها ، نقدم هذه الدراسة ، نزاوج فيها بين الفكر والفعل ، بين الفقه والواقع ، بين الرؤية والعمل لدى مثقفى وقادة هذه الـتيارات الإســلامية ، ولدى كبار فقهاء الأمة خلال قرنين من الزمان ، ولأن الفترة طويلة ومتشــعبة القضايا والهموم ؛ لذا سيكون حديثنا عنها فى نطاق الكليات ، ولدى كبار القادة وكــبرى الحركات السياسية الإسلامية ، فى محاولة منا ، للإجابة على التساؤلات الكبرى التى طافت بعقل العالم وبعقولنا بعد أحداث واشنطن ونيويورك (١١/٩/٢٠٠١م) ؛ من قبيل : هل – لــو ثبت فعلاً أن خلف هذه العمليات (التى أعادت أمريكا قيماً ودوراً وواقعاً الى دولة من دول العالم الثالث) تنظيمات إسلامية متشددة فهل فى الإسلام ما يدفع إلى مثل هذا الفعل ؟ هل فى تاريخــنا القريب أو البعيد عبر القرنين الماضيين تحديداً ، ما يؤسس لفعل العنف المسلح تجاه أعداء الأمة – المفترضين – حتى لو طال أبرياء عزل ؟! هل " الإسلام السياسى " وبخاصة فى شرقنا العربى (على اعتبار من قام بالفعلة عرباً أقحاح) يمتلك تجارب مشابهة تتماهى ومثل هذا الفعل ؟ ، وأين ما نسميه بفقه الأولويات ، الذى كان ينبغى أن يدفع الجميع " الإسلامى " ، إلى فلسطين بدلاً من أفغانستان ، و"إسرائيل" بديلاً عن أمريكا ؟! وما هى آفاق المستقبل لهذا الــنمط مــن الإســلام السياسى ، وقد أحاطت به الأعداء من كل صوب من الداخل قبل الخارج ؟! تساؤلات نحاول أن نجيب عليها ، بموضوعية كاملة وبتجرد ، عل فى الإجابة ، فتحاً لأبــواب مــن أمــل أغلقت دونه كل الأبواب ، أمام قوى الإسلام الحقيقية المجاهدة الواعية بالأولويات ، بخنادق الأعداء ومواقع الأصدقاء .

ولنبدأ بالطواف مع إسهامات القرن التاسع عشر .

* * *

يحدثنا التاريخ أنه وحتى بداية القرن التاسع عشر وتحديداً قبل مجيء الحملة الفرنسية الى مصر عام ١٧٩٨م كانت بلدان العالم العربى ، دولاً إسلامية من حيث النظام والتقاليد والشرائع ، ولكن ما لبثت الأوضاع أن تبدلت على المستوى الفكرى والثقافى العام ، وعلى المستوى السياسى بحلول الحملة الفرنسية وما تبعها من استعمار غربى وما قدماه من نماذج للفكر وللسلوك وللنظم الغربية نتج عنها إثارة المشكلة - موضع البحث - بين أنصار الموروث وأنصار الوافد ، وعبرت عن نفسها تحت مسميات عدة اختلفت باختلاف العصر والهدف ، وبتعدد الأشخاص والموضوع الذى أثيرت من خلاله ، وإذا جاز القول بأن تاريخنا الحديث ، هو فى حقيقته حلقات من ردود أفعال متتالية على التحدى الغربى ، وذلك على جميع المستويات : سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية وثقافية ؛ فإننا لا يمكن أن نفهم طبيعة التطور الذى طرأ على مجتمعنا عبر هذه المستويات إلا إذا فهمنا حقيقة التحدى الذى يجسده الغرب ، ومن جهة أخرى ردود أفعالنا ازاء هذا التحدى .

وفى ضوء هذا التصور فإنه ينبغى دراسة إشكالية الإسلام السياسى من خلال ما طرحه مفكرو هذه الفترة ، والذين بتحليل أفكارهم يمكن تحديد شكل ردود الفعل تجاه الحضارة الغربية ، ونوعية النموذج الإسلامى الذى قدموه فى مواجهة هذه الحضارة ، وبخاصة تجاه هذه الإشكالية ولقد كان الطهطاوى ، ومن بعده مساهمة الثورة العرابية ، فمساهمات الأفغانى ، وعبده ، والمودودى ، ورشيد رضا ، وحسن البنا ، وسيد قطب هم أبرز الاستجابات عن السؤال المركزى .. ماذا نعنى بإشكالية الإسلام السياسى ؟!

(١) رفاعة رافع الطهطاوى والإسلام السياسى :

لقد تناول العالم الأزهرى الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣) إشكالية الإسلام السياسى أى الإسلام الذى يهتم بشئون الوطن السياسية مباشرة فى المجتمع المصرى بشكل يختلف نسبياً عمن تلاه ، حيث يعود ذلك ضمن أسباب عديدة الى عدم بروز التناقض بين النموذج الإسلامى والنموذج الوطنى والمستمد فيما بعد من فكرة الوطنية كما استقرت فى الفقه الغربى حين ربط الانتماء بأرض الوطن ، وليس بالعقيدة ، كما كان سائداً فى الفقه الإسلامى وقتذاك ، هذا التناقض لم يكن بارزاً لهذا السبب ، وأيضاً بسبب وجود دولة إسلامية قوية يخشاها الغرب وقتئذ ، دولة محمد على المرتبطة بالدولة العثمانية ، وعليه لم تكن القضية

مطروحة بنفس الإلحـــاح الذى عاصرته إبان النصـــف الثانى من القرن التاســـع عشر ، وهو مـــا يتضح فى فكر الطهطاوى الذى نعرض له من خلال تأكيده أن الوطنية لا تتنافى مع الإطار الإســـلامى ومع الفهم الصحيح للإسلام خاصة إذا كان هذا الفهم خالياً من التعصب ، ومن إجبار الملوك لرعاياهم على تبديل عقائدهم الدينية –تحت دعوى التعصب للدين وذلك لأنه وفقـــاً لقـــوله : "إن الملوك إذا تعصبوا لدينهم وتداخلوا فى قضايا الأديان وأرادوا قلب عقائد رعايـــاهم المخـــالفين لهم ، فإنهم يحملون رعاياهم على النفاق ، ويستعبدون من يكرهونه على تبديل عقيدته ، وينزعون الحرية عنه ، فلا يوافق الباطن الظاهر ، فمحض تعصب الإنسان لدينه لإضـــرار غيره ، لا يعد إلا مجرد حمية ، وأما التشبث بحماية الدين لتكون كلمة الله العليا فهو المحبوب والمرغوب " (رفاعة رافع الطهطاوى – كتاب مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصـــرية الفصل الثالث فى د. محمد عمارة : الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى – جـــ ١١ بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ١٩٧٢م – صـــ ٥٥٦-٥٥٧) .

والطهطـــاوى فى هذا يدلل على تأثره بالنموذج الغربى وإدراكه للقضية على أنها تأتى فى ســـياق صـــراع بـــين فكرية العصور الوسطى الإسلامية والتى ترفض فكرة الوطن والوطنية والسياسة كما أشيع وقتئذ فى أوساط المتغربين وبين فكرية النموذج الغربى ، ولعل هذا ما دفع بعضـــهم الى أن يصفه بصفات هامة مثل وصف الأمير عمر طوسون بأنه "أحد أقطاب فكرة الوطنية وأركان النهضة العربية وإمامها فى مصر" ، ووصف عبد الرحمن الرافعى له بأنه " كان بحق أول من مزج بين الثقافتين الغربية والشرقية " وعليه يعد رفاعة رافع الطهطاوى بهذا أول من اقترب فى مصر وبشكل واضح من إشكالية الإسلام السياسى وما ارتبط بها من قضايا مثل الدين وعلاقته بالدولة وبالمجتمع المدنى ، وهو أول من تناول هذه الإشكالية بعد أستاذه الشيخ حســـن العطـــار الذى نصحه بقولته الشهيرة " إن بلادنا لابد من أن تتغير وأن يتجدد بها من العـــلوم والمعـــارف ما ليس فيها " ، وتمثل هذا الاقتراب من رفاعة رافع الطهطاوى فى مؤلفه الشهير " تخليص الإبريز فى تلخيص باريز " الذى وضعه بعد رحلته الى فرنسا عام ١٨٢٦ – ١٨٣١ ، وتمثل أيضاً فى ترجماته الشهيرة عن التشريعات والعلوم والقوانين الغربية والفرنسية مـــنها عـــلى وجـــه الخصوص ، بهدف تأكيد وترسيخ مفهوم الوطنية والسياسة وفقاً لفهمه ، وحـــاول رفاعـــة رافع الطهطاوى فى كل هذا أن يوجد تيار التوفيقية الفكرية بين النموذجين

الغربى والإسلامى بشأن هذه الإشكالية " الإسلام السياسى " وغيرها من الإشكاليات ، وبهذا يكون كما وصفه بعضهم أول من تقدم على أبناء وطنه فى نقل علوم الغرب الى الشرق .

وهو عندما يعجب بالنمط الأوروبى ويدعو الى أن نبدأ من حيث انتهت أوروبا لا يغلف دعوته هذه أو يداريها فهو يريد " أن يوقظ سائر بلاد الإسلام من نوم الغفلة كى يبحثوا عن العلوم البرانية والفنون والصنائع وهى التى كمالها ببلاد الإفرنج ثابت شائع والحق أحق أن يتبع- تخليص الإبريز ص١٢" . والملاحظ على الطهطاوى أن ترجمته للقوانين الأوروبية والفرنسية على وجه الخصوص لكى يرسخ مفهوم الوطنية والسياسة كما فهمه فى الغرب ، لم يجعله يغفل عما فى التراث الإسلامى من فقه فى المعاملات (جدير بأن نحييه ونطوع قواعده لظروف الزمان والمكان وما حملت من تجدد فى المصالح وتغيرات فى العادات والأعراف) تخليص الإبريز ص١١٤ .

(٢) الإسلام السياسى : إسلام الثورة العرابية ٠٠ وسياستها :

يرى بعض المثقفين بشأن الثورة العرابية أن [العرابيين لم يكونوا يعرفون ماذا يريدون ، أو على الأصح كانت ورطتهم أنهم كانوا يريديون أشياء متناقضة ، كانوا من جهة يريدون (مصر للمصريين) أى يريدون القومية ، ولكنهم من جهة اخرى كانوا يقبلون بالتبعية للثيوقراطية العثمانية ، بعبارة اخرى كانوا فى علاقاتهم بالخليفة السلطان العثمانى يقبلون الخليفة ولكن يرفضون السلطان ،.وبالمثل فبينما نجد أنهم كانوا يطلبون الحياة الديمقراطية والدستورية وهما فى الأساس منتوجات أوروبية مؤسسة على نظرية الحق الطبيعى وليس لها جذور فى التراث الثيوقراطى التقليدى] ٠

ثم يصل الرأى الى نتيجة مؤداها أنه [حتى لو انتصر العرابيون فإن حيرتهم كانت كفيلة بتبديد طاقاتهم دون جدوى بسبب عدم وضوح إدراكهم للاتجاه الصحيح ، وأن مشكلتهم الحقيقية لم تكن موقفهم من الجيوش الغربية ولكن موقفهم من القيم الغربية]- (د٠ لويس عوض : قصة العلمانية فى مصر مجلة المصور المصرية بتاريخ ١٩٨٣/٦/٢٣) ، بيد أن هذا الرأى يُساق بشأنه العديد من التحفظات أهمها إغفاله للسياق الاجتماعى والسياسى الذى قامت فيه الثورة العرابية ، والذى تمثل بوجود مجتمع يواجه بتحدٍ غربى على المستوى الحضارى والعسكرى معاً ، وبعملية تغريب من قبل الخديوى لمجمل المؤسسات والنظم والقيم السائدة ،

بالإضافة إلى هذا فإن الرأى السابق يتبنى المفهوم الأوروبي للعلمانية وللثيوقراطية ويطبقه على المجـتمع المصـرى عـام ١٨٨٢م دونما إمعان للفهم فى اختلاف البيئتين حضارياً وسياسياً ، والاقتصـار عـلى ظاهر الأمور ، فكان منطقياً أن يصل الى نتائجه السابقة ، ووضعاً لقضية ثيوقراطية الثورة العرابية فى إطارها الصحيح وفى مواجهة الرأى السابق أيضاً يرى آخرون أن أحمـد عرابى " حاول ما لم ننتبه اليه حتى الآن وهو أن يقوم بثورة وطنية فى مصر وفى الوقت نفسـه المحافظـة على الوحدة الإسلامية سواء سميت الخلافة الإسلامية أو الجامعة الإسلامية أو الجامعة الشرقية " .

ويشير الى أننا قد قلدنا الدول الأوروبية فى مجال وصفها للدولة العثمانية بالرجل المريض، ولم نحاول إعادة كتابة تاريخها من منظور إسلامي ووطني . فقد كانت الدولة الإسلامية بالرغم مـن كـل عيوبهـا رمزاً للوحدة الإسلامية ، ورمزاً لمواجهة التحدى الغربى ، وإثباتاً للهوية الإسلامية ضد التغريب ، (د. حسن حنفى الدين والثورة – القاهرة ص٤١) وهو ما دفع أحمـد عرابى بالتالى الى اتخاذ موقف المناصرة والطاعة للخليفة العثمانى ، فى نفس الوقت الذى يـثور فيه ضد الإنجليز ، مجسداً بهذا موقفه من مسألة العلمانية والثيوقراطية قائلاً : " معترفون بسيادة مولانا السلطان الأعظم ، وإننا نرجو أن تجتمع كلمة المسلمين فى سائر الأقطار وتتحد قلوب المؤمنين لتكون يداً واحدة فى وقاية دولتنا من جميع النوازل أعاذها الله منها ، ولا نشك فى أن إخوانـنا المسلمين يجدون فى بث الاتحاد بينهم وجمع الكلمة على تأييد ملكنا وسلطاننا المعظم خلد الله سلطانه " ، ولكنه يرى بعد ذلك أنه بالرغم من " أننا جميعاً من أبناء السلطان ونعيش فى أسرة بيت ، ولكن كما هى الحال فى الأسرة فنحن أهالى الأقطار الإسلامية لكل منا حجـرة مستقلة ، يترك أمر تنظيمها حسب إرادتنا حتى لا يسمح للسلطان نفسه بالتدخل فى ذلك" (مذكرات عرابى – دار الهلال القاهرة – ج١ – ص٨٦) .

وفى رسالته الى جورجى زيدان استبعد عرابى أن يكون هدفه هو إسقاط الدائرة الإسلامية مـن محيط الانتماء قائلاً : " إن هذا الادعاء هو من إرجاف المرجفين لأنى أرى فى ذلك ضياعاً للإسلام عن بكرة أبيه " (المصدر السابق ص١٠٤) .

إن أحمد عرابى (١٨٤١ ١٩١١) بهذا المعنى حاول أن يؤكد ثنائية الدور الذى قامت مـن أجله ثورته ، فهى ثورة وطنية تسعى لتحقيق أهداف ومطالب سياسية داخلية بالأساس ، وهـى ثورة تهدف لتأكيد البعد الإسلامى الحضارى ، وهو ما استعصى على فهم البعض ممن

يخضعون تاريخهم لمناهج البحث الغربى القاصرة ، ولأن موقف الثورة العرابية ، أتى فى إطار عمليات طرح النموذج الغربى فى مواجهة النموذج الإسلامى ، فلقد أحدث ردود أفعال مختلفة تراوحت بين قبوله والسير فى ركابه ، أو مهادنته وانتظار نتائجه أو رفضه كلياً ، ولعل فى موقف رجال الأزهر من الثورة العرابية ما يفيد فى تقوم مساهمتها فى إشكالية الإسلام السياسى تلك ، وهو الموقف الذى تراوح بين فريق أول يمثله بعض مشايخ الأزهر الذين ساروا فى طريق الثورة ، وأفتى أحدهم " بأنه لا يصح أن يكون توفيق حاكماً للمسلمين بعد أن باع مصر للأجانب باتباع ما يشير به عليه القنصلان ، ولذلك وجب عزله .. وأن مصر تؤيد عرابى " ، كما أفتى الشيخ حسن العدوى ، بشرعية عصيان الخديوى فقال : " إنه بأمر الله ورسوله لن تطاع أوامر الخديوى وإن الوقت قد حان لنشوب حرب مقدسة : ، وفريق ثان رفض الثورة كلية وتمادن مع الخديوى والإنجليز ، وكان على رأسه الشيخ محمد العباس ، والشيخ حمزة فتح الله ، وازدادت قوة هذا الفريق بعد استصدار الإنجليز من السلطان العثمانى فتوى تقول بعصيان أحمد عرابى له ، والتى مثلت قمة التوتر بين عرابى والسلطان ، والتى قضت بالضرورة على مقولة ولائه المطلق للسلطان العثمانى أو تناقضه تجاه سلطانه ومتطلبات ثورته الوطنية ، أما الفريق الثالث ، فقد توسط الفريقين وتريث قليلاً فى موقفه من الثورة العرابية وإن انحاز اليها ومثل هذا الفريق الإمام محمد عبده ، وعلى مبارك ، وهكذا أتت مساهمة الثورة العرابية فى إشكالية الإسلام السياسى لتنتج آثاراً تجاوزت الزمن الذى وقعت فيه الثورة ، ولتترك نتائجها على سنوات ما بعد إجهاضها والقضاء عليها ، وخاصة فى موضوع (الوطنية) والسياسية بكل دلالاته وأبعاه .

(٣) المبشر الأكبر بالإسلام السياسى : جمال الدين الأفغانى :

طرح جمال الدين الأفغانى (١٨٣٨ ١٨٩٧م) رؤيته لاشكالية (الإسلام السياسى) من خلال العديد من الآراء والاجتهادات الفكرية والتى وردت متفرقة فى ثنايا أعماله ، إلا أن أبرز ما يعبر عنها فى تقديرنا هو ذلك الحوار المركز الذى جرى بينه وبين السلطان عبد الحميد عما أسماه بمفهوم "اللامركزية" بالنسبة الى بلاد الخلافة العثمانية . حيث هذه اللامركزية تعنى بالنسبة اليه (الانتماء الوطنى) الذى لا يتعارض مع الولاء لمؤسسة الخلافة الإسلامية فى مقرها بالآستانة، وهو حوار بيّن مدى النضج والوعى التاريخى الذى تمتع به الأفغانى قبل ما يزيد على

مائـــة عـــام مضـــت، وهـــو وعى ، حسم – الى حد بعيد – التناقض الحديث المصطنع بين الانتماءين : الإسلامى ، والوطنى . ترى ماذا دار فى هذا الحوار ، يقول الأفغانى :

قلت للسلطان أتأذن فى تقديم لائحة فى تصوراتى لتحسن حالة المملكة والتحوط بصونها من مطامع الأعداء ؟

قال : بلى قل لى ما تشاء أن تكتبه بكل حرية وصراحة ، فأنا لك من السامعين . .

قـــلت : أيعتقد جلالة السلطان أن مصر لو بقيت ولاية ، ترسل اليها الولاة من الآستانة مـــثل باكير باشا ، ومحمد باشا اليدكشى ، وأمثالهما – لجمع الأموال من غير وجه ، وتوزيعها على رجال الدولة هنا " الآستانة " فقط على ما هو مشهور وغير خاف على جلالتكم ، هل هو خير لمصر وأهلها وللسلطنة ؟ أم جعلها خديوية ، كما هى قبل الإنجليز .

فتفكر السلطان ملياً ، وحول وجهه نحو النافذة عنى ، حتى ظننت أن الحديث قد ساءه ، وأنه لا يحب الخوض فيه ، ولا العودة اليه ، وإذا هو بغتة قد التفت ، وتوجه بكليته لى ، وكأنه قـــد انـــتهى من ذكرى ما جرى من محمد على باشا وابنه إبراهيم باشا ، وكيف أنه كاد أن يستخلص السلطنة العثمانية فتحاً بالقوة .

وقال : لو قلنا : أن وجودها خديوية أحسن من بقائها ولاية ثم ماذا ؟

قـــلت : يا مولاى ، إن السلطنة العثمانية تتألف اليوم من ثلاثين ولاية ، فتبدأ فتجعلها عشر خديويات .

فرأيت السلطان – وعلى تمام الإصغاء لما أقول قد تقطب وجهه وعلته كآبة امتعاض وحزن ، فقلت : يا مولاى ، وعـــزة الحق ، وبولائى لأمير المؤمنين ، ونصحى للمسلمين ، إن ما ساقنى الى ما قلته الإخلاص والحرص على ملكك ، والغيرة على الدولة والممالك الإسلامية الشـــرقية التى ليس لجمع شتاتها وتوحيد كلمتها الا الاعتصام والانضواء تحت لواء الخلافة ، وجلالـــتك ترى أن أجزاء السلطنة أخذت تتفكك الجزء بعد الآخر ، فصار من الواجب نظم الممالك وأجزائها بسلك من النظام أوثق وأشد وأحكم ، وما وجدت ذلك السلك الا بذلك الشكل الذى قدمته .

ولمـــا انـــتهيت . . هز السلطان رأسه ، وتناول لفافة من التبغ ، وأسرع فى تدخينها – وقال : ماذا تركت ؟ يا حضرة السيد ، للسلطان ، وما أبقيت لتخت – (عرش وعاصمة) –

آل عثمان ؟ . قلت : يبقى مولاى جلالة السلطان : ملك أولئك الملوك ، وينضم الى العرش العثمانى عشرة عروش ، غير عرش مصر ، ثم متى نهضت هذه المقاطعات والخديويات وأخذت نصيبها من الرقى والعمران . . لا شك فى أن إيران تسرع لمقام السلطنة العظمى للاتحاد معها، إذ هى فى أمس الحاجة لشد الأزر ، ولصون كيانها من مطامع الغرب ، الموجهة نحو عموم دول الشــرق ، ثم ما أسرع الأفغان للانتظام فى ذلك السلك ، سلك اجتماع كلمة دول الشرق الإسلامية تحت راية الخلافة العظمى والسلطنة الكبرى ، ثم ومتى تم ذلك ، هل يقعد أهل الهند عــن نصــرة الخــليفة الأعظم واللحاق لشد ساعد إخوانهم ليدفعوا غارة الغرب عن الدول الإسلامية فى الشرق ، وعن هندهم أيضاً ؟ أو ينهضون نهضة الرجل الواحد للتخلص من ربقة الاستعمار والمستعمرين ، ويرجع الشرق للشرقيين (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى - القاهرة - ١٩٨٦ - إعداد د. محمد عمارة) .

يرى د. محمد عمارة أن ذلك هو مشروع اللامركزية والذى سعى اليه الأفغانى ، والذى عرضــه على السلطان عبد الحميد . . وهو الذى يزكى ما كتبه فى (العروة الوثقى) عن أن الدولة الإسلامية هى اتحاد يشبه " الكومنولث" ، وليست رابطة مركزية تقهر ما فى إطارها من تمايــزات ، وهــو مــا يعنى فى تقديرنا استقلالية فى دوائر الانتماء ، ودوائر الوطنية ، وهى استقلالية إيجابية وتكاملية .

أمــا عن دور الإسلام السياسى فى بناء الدولة الحديثة ، تمدينها عند جمال الدين الأفغانى فإنــه يســتمد أصوله من كونه تعبيراً عن الذات أولاً ، ثم الأخذ من الغرب ما يتواءم وهذه الذات ، أو ما ينقصها ، وإن احتذاء النموذج الغربى على عيوبه وبكل مفاهيمه ونظمه بما فيها نظمــه الخاصــة بــالدين والدولة يؤدى بالنسبة لبلدان المشرق الإسلامى الى حالة من التبعية السياسية والحضارية ، ولعل الدلالة المباشرة لهذا المنهج ، كما يقول البعض " هى عمق الثورة على النموذج الغربى لدى الأفغانى " .

وبالنســبة لــرؤية جمال الدين الأفغانى لعلاقة الدين بنظام الحكم ، فإنه يرى ضرورة أن يسمح للشعب أن يأخذ دوره السياسى والاجتماعى فى مجال المشاركة فى الحكم ، وتتمثل هذه الرؤية فى العدي من أطروحاته النظرية وفى ممارساته السياسية وفى نصائحه السياسية التى قدمها

لبعض حكام المسلمين كالخليفة العثمانى ، والخديوى الذى قـال له " إن قبلتم نصح المخلص وأسـرعتم فى اشتراك الأمة فى حكم البلاد عن طريق الشورى فتأمرون بإجراء انتخاب نواب عـن الأمة ، تسن القوانين باسمكم وبإرادتكم يكون ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم " (الأفغانى – الأعمال الكاملة – ص٥٢١) .

(٤)إمام التوفيقين : محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) :

كان الإمام محمد عبده من أخلص تلاميذ جمال الدين الأفغانى ، وإن ظل يعبر عن الجانب الإصلاحى والتوفيقى فى فكر الأفغانى ، وصار امتداداً لهذا الجانب أكثر من غيره من الجوانب ، ولقد انعكس هذا الأمر على رؤيته لإشكالية العلاقة بين الإسلام والسياسة ، فنراه يوافق عليها فى إطـار الانتماءالإسـلامى الأشمل ، ولكنه يحذر منها فى الوقت ذاته تحت عوى احتمالات افـتراس الـدول الأوروبيـة لتلك الدول التى تنادى بالاستقلال عن مؤسسة الخلافة (نجد والقطيـف واليمن) بمعزل عن السيطرة الكاملة للأتراك العثمانيين ، هنا نجد محمد عبده يؤيد المشـروع ويحذر منه فى الوقت ذاته فيقول : " إن العرب فى نجد أهل لهذا الاستقلال ، ولكن الترك لا يمكنوهم منه ، وعندهم من القوة العسكرية المنظمة ما ليس عند العرب ، فإذا شعروا بذلـك أو رأوا بـوادر قاتلوهم حتى إذا وهنت قوة الفريقين وثبت دول أوروبا الواقفة لهما بالمرصـاد ، فاسـتولوا على الفريقين أو على أضعفهما ، وهذان الشعبان هما أقـوى شعوب الإسلام فتـكون العاقبة إضعاف الإسلام وقطع الطريق على حياته " .

بيـد أن هذه الوسطية المكبلة بالتحذيرات ، التى ميزت فكر الإمام محمد عبده ، لم تمنعه من أن ينتقد وهو فى سياق حديثه عن عدم تناقض مفهوم السياسة مع الإسلام . بل وأن يكون عنيفاً فى نقده لما يسمى " بالسلطة الدينية " والتى يحتج بها دائماً بشأن رفض مفهوم (السياسة) الـذى يقوم فى بعض مكوناته على أساس مدنى ، وهو نقد يبرز أكثر رؤية محمد عبده الإيجابية لـلعمل السياسى ، فهو يرى هنا أنه ليس فى الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعـوة الى الخـير والتنفير من الشر ، وهى سلطة خولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهـم ، كما خولها لأعلاهم ليتناول بها من أدناهم ، ولمن يقولون إن لم يكن للخليفة ذلك السـلطان الدينى أفلا يكون للقاضى أو للمفتى أو شيخ الإسلام ؟ أقول : إن الإسلام لم يجعل

هؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهى سلطة مدنية (الأعمال الكاملة ص٢٨٥)٠

إن محمد عبده يزداد وضوحاً فى موقفه من السلطة الدينية عندما يرى أن قلبها والإتيان عليها يعد أصلاً من أصول الإسلام ، [وما أجله من أصل قلب السلطة الدينية والإتيان عليها مــن أساسها ، ولقد هدم الإسلام بناء تلك السلطة ومحا أثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم] (الأعمال الكاملة ص٢٨٥) إن توفيقية محمد عبده ، بين الدين والدولة ، والإســلام والسياســة ، والوطــنية والإسلام ، والعقل والوحى ، تسبب فى إنتاج مدرستين مــن تلاميــذ الإمــام ، الأولى ويتصدرها رشيد رضا معبراً عن الإسلامية التقليدية ، والثانية ويتصــدرها قاســم أمــين ومحمد حسين هيكل ولطفى السيد وغيرهم ممن لم ير فى علمانيته مــا يختلف مع إسلامية الإمام ، وهكذا أصبح فكر محمد عبده مجالاً خصباً للجدل والتأثير فى أجيال ممتدة من المثقفين والسياسيين المصريين والعرب ٠

الفصل الثاني

نبع الإسلام السياسى
من سلفية رشيد رضا .. إلى حاكمية المودودى

رحـــل الامام محمد عبده باجتهاداته المنفتحة ، وفكره الثاقب ، ورؤيته المعتدلة ، وحمل تلامذتـــه المشـــعل من بعده ، وكان أبرزهم الشيخ السورى السلفى / رشيد رضا ، صاحب (المنار) ؛ والذى نحى الى السلفية بكل تشددها وعمقها وصلابتها ، فى الوقت الذى ذهب قاسم أمين الى النقيض منه تماماً ، وعلى دربه صار على عبد الرازق كتابه (الإسلام وأصول الحكم) وكـــذا طه حسين فى كتابه (فى الشعر الجاهلى) ، فى هذا الوقت كانت بلاد الشرق الإسلامى تموج بالأفكار والأطروحات المشابهة ، وكان بعضها سابق على الشيخ محمد عبده ذاته •

وفى تـــأريخ المستشـــار طـــارق البشـــرى فى بحـــثه (الوضـــع القـــانونى المعاصر بين الشـــريعة الإسلامية والقانون الوضعى - دار الشروق - ١٩٩٦) لهذه الحركات نخلص معه الى أنها قد بدأت فى نجد على يد محمد عبد الوهاب (١٧٠٣ - ١٧٩١) ، وفى الوقت نفسه ، ظهر بالمدينة محمد بن نوح الغلاتى الذى يعتبره البعض المجدد على رأس القرن الثانى عشر (هـــ) (١٧٥٢ - ١٨٠٣م) وفى الفـــترة نفســـها فى الهند ، ظهر ولى الدين الدهلوى (١٧٠٢ - ١٧٦٢م) ، وســـعى - كشأن قرينيه السابقين - مسعى الإمام ابن تيمية فى فهم الإسلام مع الاهتمام بالصوفية •

وفى الـــيمن تأثـــر الإمام محمد بن عبد الله الشوكانى (١٧٥٨ - ١٨٢٣م) ، بكل من ابـــن حزم وابن تيمية - وكلاهما ثائر على التقليد - تأثر بهما برغم كونه زيدياً ، وخلع ربقة التقليد •

ومن المغـــرب العـــربى ، ظهر عبد القادر الجزائرى ، ثم ظهر محمد بن على الســـنوسى (١٧٨٧ - ١٨٥٩م) الـــذى أنشـــأ حركة إصلاحية وطريقة صوفية ، وشدد على الاعتبار بالكـــتاب والســـنة عـــلى طـــريقة ابن عبد الوهاب وسلفه ابن تيمية ، وفتح باب الاجتهاد " ولا يتقيد بالمذاهب مع بقاء احترامه لها " ، مع تنقية الدين من البدع ، وعندما احتل الإنجليز

الهـــند ووجهـــوا بمقاومـــة ومقاطعـــة ، وبقـــى الهنود – حتى أواسط القرن التاسع عشر – لا يؤاكلونهم ، ولا يشاربونهم ، ولا يقرأون كتبهم ، ولا يتكلمون لغتهم ، وكان مسلمو الهند وقتها على رأس المكافحة .

وهنا ظهرت بين المسلمين حركات دينية تؤدى دوراً نشيطاً فى هذا الشأن ، فقام فى عام ١٨٠٤ (الحاج شريعة الله) يؤلف حزباً إصلاحياً ينادى بأن صلاة الجمعة لا تصح فى الهند ، لأنهـــا ليست دار إسلام ، ونمت هذه الحركة ، ودخلها الملايين من مسلمى البنجاب ، ثم قام مصلح آخر ، هو السيد أحمد ، ذهب للحج ، واعتنق مذهب ابن عبد الوهاب ، وعاد للهند يدعـــو لتحريم زيارة الأضرحة والشفاعة بالأولياء ، ودعا إلى أن الهند دار حرب ، وأن الجهاد فيهـــا يجـــب على المسلمين ، وظهرت حركة الخلافة التى تزعمهاالسيد أحمد والسيد اسماعيل الشهيدان ، وجذبت تأييداً واسعاً ، وأنشأ دولة إسلامية فى شمال غربى الهند ، ثم هزمها الإنجليز فى ســـنة ١٨٣١ ، ولكن العلماء استمروا يقودون الجهاد ، وفى سنة ١٨٥٧ ، شبت الثورة الشهيرة التى قادها المسلمون ، وأمكن للإنجليز أن يقمعوها .

لقد تولد عن هزيمة هذه الثورة أن ظهر نوع آخر من الإصلاح الدينى ، أو إصلاح الفكر الإسلامى ، قاده السيد أحمد خان ، وهو ما أسماه طارق البشرى " الوافد الضال " ، لأنه دعا إلى تقليص دور الإسلام فى الحياة والى عزله كلية .

ومن وجهة نظر محمد حسنين هيكل فى كتابه (خريف الغضب) ورغم سطحية التحليل الذى قدمه (ص٢٧٧) إلا أن خطوطه العامة تستحق التوقف ، فلقد أدت هذه الغزوة الأجنبية الإنجليزية والفرنسية الى ردود فعل فى البلاد الإسلامية كافة وظهرت حركات تجديد ومقاومة اتخـــذت من الإسلام راية مثلما أشرنا لى الوهابية فى السعودية والسنوسية فى ليبيا والمهدية فى السودن ، وصارت عواصف حركية وفكرية ، بل إن هذه العواصف والتيارات أدت بدورها الى تنشيط عدة اتجاهات هامة فى الحياة الفكرية والسياسية فى مصر ، لكن تيار المحافظة بقى له أنصاره ، وكان أبرزهم الشيخ رشيد رضا ، وهو تلميذ الشيخ محمد عبده ومؤرخه ، وكان الى جـــانب إعجابه بالشيخ محمد عبده – من أنصار العودة الى الفكر السلفى التقليدى ، وهكذا كان اهتمامه باجتهادات ابن حنبل وابن تيمية ، وأصبحت جريدته " المنار " ممثلة لهذا الفكر ، ولقـــد كان من هذه العودة الى الفكر السلفى تأييده لدخول الوهابيين الى مدن الحجاز ونشره للكثير من أعمال ابن تيمية ، كما انعكس ذلك على كتابات الشيخ رشيد رضا نفسه فى شئون

السياســة والدين ، لكن الشيخ كان بشكل ما يفتقر الى قوة التجديد التى تسلح بها أساتذته خصوصــاً الشــيخ محمد عبده . وهكذا فإن " المنار " لم تلبث أن تجمدت وتضاءل إشعاعها الفكرى وعجزت عن ملاحقة تطورات العصر (وفقاً لهيكل) .

وفى المقــابل فــإن التيار الفكرى العلمانى المتحرر المتأثر الى حد ما بالشيخ محمد عبده ، والــذى مــثله فى مطلع القرن أصدقاؤه ومريدوه من أمثال أحمد لطفى السيد كان يزداد قوة وفعالية ، وتعزز هذا التيار سياسياً بظهور سعد زغلول الذى كان أيضاً من تلاميذ محمد عبده ، كما أنه تعزز فكرياً بتلاميذ أحمد لطفى السيد والمعجبين به من جيل الرواد الذين برز دورهم فى الحيــاة السياســية والفكــرية لمصر فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، إن الإسهام الفكرى لهذه الــتيارات والاتجاهات منح الحياة لمصرية درجة من الخصوبة والغنى ، لكن سرعان ما ظهرت حــركات إســلامية قوية تجاوزت كل هذا الذى يقدمه العلمانيون العرب بإعجاب ، ونقصد هنا ، حركة الاخوان المسلمين (١٩٢٨) والتى أسسها ذلك المدرس "المدهش" ابن الاسماعيلية – حسن البنا !!

وقــبل ان نصــل الى (البنا) يهمنا أن نفصل قليلاً بشأن اثنين كان لهما تأثير مباشر على حركة الإخوان المسلمين وعلى باقى حركات الإسلام السياسى التى ظهرت بعد ذلك . الأول هو الشيخ رشيد رضا والثانى هو أبو الأعلى المودودى ، الأول من خلال طرحه لمفهوم السلفية وتأصيله لها من خلال مجلته الرائدة (المنار) والثانى من خلال نظرية الحاكمية الإلهية ومصطلحاتها التأسيســية الــتى أثرت بقوة فى حركات العنف الإسلامى عبر مشرقنا العربى بإجمال ، وذلك انطلاقــاً مــن قناعة رئيسية لدى العديد من المفكرين ترى ان الحركات الإسلامية فى القرن العشــرين هــى بــنت المدرسة السلفية فى كل شيء (انظر د. محمد فتحى عثمان : السلفية فى المجتمعات المعاصرة – ص ١١٨) .

جوهر سلفية رشيد رضا

بدايــة يــتفق المفكــر المغربى (محمد الحبابى فى كتابيه (الشخصية الإسلامية) و(السلفية الوطــنية) – إصــدار ١٩٦٧) مع ألبرت حورانى فى كتابه المعروف (الفكر العربى فى عصر النهضة) حول مفهوم محدد للسلفية الإسلامية التى ظهرت فى النصف الأول من القرن العشرين حيــث هى من وجهة نظرهما تريد العودة الى العصور الوسطى الإسلامية وهى عصور ازدهار

إســــلامى وتخلف غربى بمعنى العودة الى الفكر المبادر ، الى الفكر النقدى ، الى الاطلاع الثقافى وقــوة البحث التى طبعت الحياة (القروطسية : أى الحياة فى القرون الوسطى) الإسلامية ، إن الســـلفية هـــى مرادف العودة الى الاجتهاد ، بمعنى العودة المبدعة الى الرأى الشخصى وحرية التأويل والكلام فى جميع الميادين ، والسلفية العصرية ٠٠ عملت على مهمة تأويل الإسلام عن طريق جعله معاصراً وجعله منسجماً مع الأوضاع الجديدة التى ظهرت من جراء اللقاء بالغرب (الحبابى ص٩٦) ٠

إنها عودة ، ولكنها عودة مختلفة فى طبيعتها وأغراضها ، فهى من جهة عودة منفتحة على كامل مدارس الفكر الإسلامى ، وبالخصوص المدرسة العقلانية ، وعلى رأسها التيار الاعتزالى ، كمـــا أنهـــا عودة مصحوبة بحس نقدى لمعظم المحطات والحقب التاريخية ، بما فى ذلك القرون الأولى ، وبخاصة جيل الصحابة وأكثر تركيزاً على نشأة وتكون الدولة الأموية ٠

حتى قال ألبرت حورانى (إن السلفية مثلت فى حقيقتها جسراً من أهم الجسور التى مر عليها الفكر الغربى نحو الثقافة الشرقية ، ذلك الفكر الذى قامت أساساً من أجل محاربته) وهو حكـــم على قساوته ، إلا أنه عبر عن مرحلة كانت ضرورية فى ظل غياب تأسيس ثقافى عميق يكـــون محصلة مراجعات تتسم بالجذرية والعلمية ، برغم أسبقيته فى الدعوة الى ضرورة الربط بين الإصلاح السياسى والاجتماعى والإصلاح الدينى ٠

لكـــن الأمـــر قـــد يختلف قليلاً مع الشيخ محمد رشيد رضا – كما يقول صلاح الدين الجورشـــى فى بحـــثه القـــيم عن (التأثيرات السلفية فى التيارات الإسلامية المعاصرة – مركز دراســـات العـــالم الإسلامى مالطا – ١٩٩١ ص٢٢١) ، الذى جسد بالفعل همزة وصل بين المدرســـة الإصـــلاحية أو مـــا أطلق عليها بـــ" السلفية العصرية " وبين الحركات الإسلامية الحديثة ، فالرجل بدأ تلميذاً مخلصاً لآراء أستاذه المجدد محمد عبده ، ثم مع مرور الأيام وتكثف مخاطر التجزئة والاستعمار أخذ تفكيره ينحو منحى الدفاع والمحافظة ، ويظهر المزيد من الانحياز الواضح والصريح الى التفكير السلفى التقليدى . فبينما كان فى مطلع حياته الإصلاحية يتجنب الخوض فى المسائل الخلافية بين الفرق الإسلامية مؤكداً وحدة أصلها ، وأن اختلافها لا يتعدى روايـــة الحديث وتأويل بعض الأحكام ، نراه بعد ذلك ينتهج منهجاً مغايراً فـــ " يتابع منهاج الحنابلة وخاصة منهم ابن تيمية فى دراسة بعض العقائد دون إضافة تذكر ، ولازم موقفهم نفسه من علماء الكلام والفلاسفة ، وقاوم كل جدل عقلى فى مسائل العقيدة ، ونفر من علم الكلام

أساســاً ، واعتبر الفرق الشيعية وخاصة منها فرقتى الإمامية والإسماعيلية (أداة هدم من داخل الإســلام) واعتــبر الوهابيــة المذهــب الذى أقام السنة بصورة لم يسبق لها نظير بعد الخلفاء الراشــدين ، ولم يفتأ ينتصر لابن تيمية وأتباعه من الوهابيين عامة باعتبارهم من الحنابلة الذين عزفوا عن كل تأويل ومغالاة فى استعمال العقل وآمنوا بالتتريه عند البحث فى الصفات الإلهية وآل عــلى نفسه نصرة المذهب الوهابى بعدما اقتنع أنه يمثل الامتداد التاريخى لتيار أهل السنة والجماعــة قديماًخاصة وبعدما أعلن ابن سعود عن عقد مؤتمر إسلامى عام بمكة سنة ١٩٢٦م للتــباحث فى شئون الدين والسياسة الإسلامية عامة (كتاب تفكير رشيد رضا من خلال مجلة المــنار – محمد صالح المراكشى – الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر – ص٢٨٠ – ٢٨٢) .

وإذا ما استثنينا المرحلة الثانية من التطور الفكرى لرشيد رضا ، والتى يجب أن نضعها فى سياقها التاريخى ، فإن الحركة الاصلاحية التى فجرها سياسياً الأفغانى وتابعها فكرياً محمد عبده والكواكبى وغيرهما ، لم تعلن معارضتها للتراث السلفى ولم توجه له نقداً جذرياً ، ولكنها عملياً أعطت لنفس الإشكاليات التى طرحتها المدرسة السلفية مضامين وأجوبة مختلفة ، كما وسعت فى المعانى الدلالية لمصطلح السلفية الى درجة جعلت العديد من الباحثين يفضلون عدم تصنيفها وإدراجهــا ضمن إطار المدرسة السلفية ، بل كحركة تجديد . معللين رأيهم بأن " فضل هذه الحــركة يكمــن فى قبولها للتطور والتوسع .. ولذلك صح أن تكون السلفية الأخيرة جزءاً من حركة اليقظة والتحرر اللذين تقوم بهما الأمة العربية فى هذا الجيل " ، ويضيفوا : " ثم بزغ فى الشرق موقظه الكبير جمال الدين الأفغانى ، فأخذت السلفية على يده بصبغة جديدة تتسم بطابع الشمول لكل جوانب الفكر والروح والعمل ، وأصبحت تهتم بالبناء الى جانب اهتمامها بالهدم ، وتبلورت فى دعوة قوامها التجديد المطلق لكل مظاهر الحياة الإسلامية للعقل والدين والعلم والأسلوب وطريقة المعاش والحكم وغير ذلك من النواحى (علال الفاسى ضمن كتاب دروس الفلسفة ص١٢٩ – المغرب) .

حاكمية (الإسلام السياسى) : أبو الأعلى المودودى مبشراً :

ولــد أبو الأعلى المودودى فى باكستان عام ١٣٢١هـ (١٩٠٣م) وتوفى عام ١٣٣٩ هــ (١٩٧٩م) ، وكانت له إسهامات بالغة التأثير فى كافة الحركات الإسلامية فى باكستان وحتى يومنا هذا . حيث يعد البعض من قادة هذه الحركات من تلامذته مثل سميع الحق وجماعة

(علماء الإسلام) وكذلك (الجماعة الإسلامية) برئاسة القاضى حسين أحمد وتنظيم (تطبيق الشريعة) بقيادة صوفى محمد ، وجماعة (نفاذ الشريعة المحمدية) بزعامة مولانا محمد إسماعيل وغيرها ، الجميع يعد امتداداً طبيعيًا لأفكار وجهاد الشيخ ، والتى انتهت بجماعة (الطالبان) التى أثارت الدنيا حولها – ولا تزال – منذ قدومها عام ١٩٩٦ لحكم أفغانستان منطلقة من مفاهيم الشيخ المودودى ومزيدة إياها سلفية وغلواً صار مضرب الأمثال ، تماماً مثلما يعتبر الكثير من المراقبين والمؤرخين أن جماعات الإسلام السياسى المصرية والعربية أيضاً امتداداً لملحمة الشيخ ونظرياته – رغم اختلاف البيئة السياسية ، والجغرافية والاجتماعية .

لقد كان الشيخ المودودى يصدر جريدة جريدة فى كراتشى أسمها " ترجمان القرآن " ، كانت هذه الجريدة تعبر عن فكر الإخوان المسلمين ، وتدعو الى العودة للأصول النقية الأولى للإسلام ، وحينما اختفى تأثير إخوان مصر الذين مثلوا مركز الإسلام السياسى فى الأربعينات والخمسينيات ، الستينيات فإن أبو الأعلى المودودى أصبحت له سلطة لم تكن له فى ترجمة الأصولية الإسلامية دون توجيه أو إرشاد من القاهرة ، وبرزت على الفور مشكلة أدت الى مضاعفات كبيرة ، فباكستان كانت تختلف عن مصر ، فمصر كانت مركزاً لمحيط عربى يمتد حولها ، وبالتالى فإن التعبير الإسلامى كان فيها مرتبطاً بضرورات الطبيعة والتاريخ ، ومن ثم كان تعبيراً توحيدياً ، وأما فى باكستان التى نشأت تاريخياً بحركة انسلاخ عن البحر الهندوكى المحيط بها ، فقد كان من الطبيعى والتاريخى أن يكون تعبيرها الإسلامى ذا طابع انسلاخى ، وليس الطابع التوحيدى الذى برز فى مصر – كما يذهب هيكل فى كتابه (خريف الغضب ص ٢٨٥) .

فى باكستان كان تمايز الإسلام يتحقق بالفرقة والانعزال الدينى والثقافى عما حوله من تأثير هندى ، كان ذلك أساس قيام واستمرار وجود باكستان كدولة وكأمة ، وانعكس تأثير هذا الوضع على فكر أبى الأعلى المودودى وإسهامه فى إعادة صياغة وتوجيه الأصولية الإسلامية .

هكذا برز فى فكره عنصر الجهاد وراح يفرق بين مرحلتين مختلفتين – كما يقول هيكل – تعيشهما المجتمعات الإسلامية .

مرحــلة الاستضــعاف ، وفيها تكون الجماعة الإسلامية غير قادرة على أن تتولى زمام أمورها بنفسها ، وفى هذه الحالة – طبقاً لفكره – فإنها تنسحب لتعد نفسها حتى تصبح قادرة على مواجهة المرحلة الثانية .

والمرحــلة الثانية هى مرحلة الجهاد ، وهى تجيء حين تكون الجماعة الإسلامية قد أتمت استعدادها وحان لها أن تخرج من عزلتها لتتولى بنفسها زمام الأمور عن طريق الجهاد .

ومــن وجهة نظر د. محمد عمارة فى بحثه عن (المودودى) فإنه ينبغى أن نميز فى كتابات أبى الأعلى المودوى عن الحاكمية ، بين نوعين من الصياغات والتعبيرات :

أ – صياغات عامة ، وموهمة للبس والغموض .

ب – وصياغات محكمة ودقيقة ، تضبط فكر الرجل ، وتنفى عن مفهوم الحاكمية عنده اللبس والإبهام .

ففى صفحات من كتب المودودى ورسائله تواجهنا صياغات لنظرية الحاكمية عنده تقيم التــناقض بــين حاكمية الله وحاكمية الإنسان ، وتجعل من إفراد الله بالحاكمية حكماً بتجريد الإنســان والأمــة من كل حق فى أن تكون مصدراً للسلطة والسلطان فى أى شأن من شئون الحيــاة ؟! الأمر الذى يجعل البعض – سواء من أنصاره أو خصومه – يتصور حكومة الإسلام " ثيوقراطية " و" حتيمة إلهية " لا مكان فيها لإرادة الإنسان ، وهذه الصياغات نجدها فى مثل قول المودودى :

" إن الحاكمية فى الإسلام ، خالصه لله وحده ، فالقرآن يشرح عقيدة التوحيد شرحاً يبين أن الله وحده لا شريك له ، ليس بالمعنى الدينى فحسب ، بل بالمعنى السياسى والقانونى كذلك، إن وجهــة نظــر العقيــدة الإسلامية تقول : إن الحق تعالى وحده هو الحاكم بذاته وأصله ، وإن حكم سواه موهوب وممنوح (الحكومة الإسلامية – ص١١٦– ٨١ – ٨٢ – ترجمة أحمد إدريس – طبعة القاهرة ١٩٧٧) ، وإن الانســان لا حظ له من الحاكمية إطلاقاً . وخــلافة الإنســان عــن الله فى الأرض لا تعطى الحق للخليفة فى العمل بما يشير به هواه وما تقضى به مشيئة شخصه ، لأن عمله ومهمته تنفيذ مشيئة المالك ورغبته .. فليس لأى فرد قيد ذرة من ســلطات الحكم .. وأى "شخص أو جماعة يدعى لنفسه أو لغيره حاكمية كلية أو جزئية فى ظل هذا النظام الكونى" يتهمه المودودى بالزور .

فالله ليس مجرد خالق فقط ، وإنما هو حاكم كذلك وآمر ، وهو قد خلق الخلق ولم يهب أحـــداً حق تنفيذ حكمه فيهم ، وحاكميته تشمل الجزء الاختيارى ، وعالم الكون بأجمعه ، وأن الأساس الذى ارتكزت عليه دعامة النظرية السياسية فى الإسلام : أن تنزع جميع سلطات الأمر والتشريع من أيدى البشر منفردين ومجتمعين ، ولا يؤذن لأحد منهم أن ينفذ أمره فى بشر مثله فيطيعوه ، أو ليس قانوناً لهم فينقادوا له ويتبعوه ، فإن ذلك أمر مختص بالله وحده ، لا يشاركه فيه أحد غيره .. فالخصائص الأولية للدولة الإسلامية ثلاث :

١ – ليس لفرد أو طبقة أو حزب أو لسائر القاطنين فى الدولة نصيب من الحاكمية ، فان الحاكم الحقيقى هو الله ، والسلطة الحقيقية مختصة بذاته تعالى وحده ، والذين من دونه فى هذه المعمورة إنما هم رعايا فى سلطانه العظيم .

٢ – ليـــس لأحـــد من دون الله شيء من أمر التشريع ، والمسلمون جميعاً – ولو كان بعضهم ظهيراً – لبعض لا يستطيعون أن يشرعوا قانوناً .

٣ – إن الدولة الإسلامية لا يؤسس بنيانها إلا على ذلك القانون الذى جاء به النبى من عـــند ربه مهما تغيرت الظروف والأحوال (نظرية الإسلام السياسية ص٣١ – ٣٢ – ترجمة خليل حسن– طبعة بيروت ١٩٦٩م) .

والمودودى يرى أيضًا فى كتيتنخ : [أن الإسلام يستعمل دائماً لفظ الخلافة فى الحديث عـــن الذين يقومون بتنفيذ القانون الإلهى فى الأرض بدل لفظ الحاكمية " وعد الله الذين آمنوا مـــنكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم " ولفظ إله وإصطلاح الحاكمية هما اسمان لحقيقة واحدة] تلك نماذج من عبارات المودودى العامة والموهمة للـــبس والغموض – كما أسماها د. محمد عمارة فى بحثه ، فى قضية الحاكمية عند المودوى ، ونظريـــته عـــنها ، لقـــد جـــرد فيها الإنسان من كل حق فى الأمر والتشريع والتقنين . بل والتـــنفيذ .. فرداً كان هذا الإنسان أو جماعة ، بل وحتى الأمة ، وعندما اعترف بخلافته عن الله ، نفـــى أن تكون الخلافة هى الحاكمية . فاستمرت عباراته هذه تجرد الإنسان من كل ظل للحاكمية ، وأفرد الله وحده بكل ألوان الحاكمية الدنيوية – كما فى الدينية والطبيعية – وفى شئون الإنسان الاختيارية ، كما فى الجبرية ، لأن لفظ (إله) واصطلاح (الحاكمية) هما اسمان لحقيقة واحدة كما قال . ولكن د. عمارة يحاول إنصاف الرجل حين يرى ضرورة التدقيق فى عـــباراته حيث يقول لنا : " إن ما أعنيه بالحاكمية غير ما يعنيه المسلمون من سلطات الحكام

والأمـــة فى سياســة الدولة والمجتمع وتنمية العمران "٠ وهو يزيد هذا المعنى تفصيلاً وإيضاحاً عندما يشرح معنى كلمة الحاكمية – عنده – فيقول : " إنها تطلق على السلطة العليا والسلطة المطلقة ٠٠ فلا معنى لكون فرد من الأفراد أو هيئة مؤلفة منهم – حاكماً ، إلا أن حكمه هو القانون ، وله الصلاحيات التامة والسلطات الكلية غير المحدودة لينفذ حكمه فى أفراد الدولة ، وهم مضطرون الى طاعته طوعاً أو كرهاً ، وما هناك من شيء خارجي يحد صلاحياته فى الحكم غير إرادته ، ومشيئته هو نفسه، والأفراد ليس لهم بإزائه حق من الحقوق ٠٠ فهو يسن القانون بارادتــه ، وليس من قانون يقيده فهو القادر المطلق فى ذاته ، ولا يجوز سؤاله فيما أصدر من أحكام عن الخير والشر ولا عن الصواب والخطأ ، فكل ما يفعله هو الخير ، ولا يحل لأحد ممن يطيعه أن يعده من الشر ويرفضه وكل ما يفعله هو الصواب ، ولا يحل لأحد ممن يطيعه ان يرى فيه شيئاً من الخطأ ، فلابد ان يعترف له الجميع بكونه سبوحاً قدوساً منزهاً عن الخطأ ، بصرف النظر عما إذا كان لذلك أم لم يكن ، هذا هو تصور الحاكمية القانونية ، والله تعالى وحده هو الحامل لهذه الحاكمية ، إنه هو الغالب المطلق الأعلى (فعال لما يريد) ، وهو وحده غير مسئول عن أعماله (لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون) ، وهو المقتدر القوى العزيز (بيده ملكوت كل شيء) ، وهو وحده الذى لا تحد سلطته قوة من القوى (وهو يجير ولا يجار عليه) ، وهو وحده المنزه عن الخطأ (الملك القدوس السلام) – (تدوين الدستور الإسلامى – ص٢٥١ – ٢٥٣ – ترجمة محمد عاصم الحداد – طبعة بيروت – ضمن مجموعة – ١٩٦٩) ٠وأمام هذا التعريف للمودودى يصبح المودودى فى نظر بعض المفكرين الإسلاميين ومنهم د٠ عمارة غير مخطيء – إلا أن البعض الآخر من المفكرين والمثقفين العرب من أصحاب الفكر العلمانى يختلفون مع هذا الــرأى ويجــدون أن المــودودى قد توسع فى فكرة الحاكمية ، وأصبحت كتاباته فيها مرجعاً لا يمكن الاستغناء عنه فى فهم موجة الأصولية الإسلامية الزاحفة من الشرق ، وفى فهم الإسلام السياســى ككل ،لقد بدأ أبو الأعلى المودودى بكتاب صغير شهير تحت عنوان "المصطلحات الأربعة" وركز فيه كما يبدو من عنوانه على أربع نقاط :

- حاكمية الله فى مقابل حاكمية البشر ٠
- ألوهية الله فى مقابل ألوهية الإنسان ٠
- ربانية الله فى مقابل العبودية لغيره ٠
- وحدانية الله فى مقابل الاعتماد على أى مصدر آخر فى تنظيم أمور المجتمع ٠

كانت فكرة الحاكمية على هذا النحو فكرة – كما يذهب هيكل فى خريف الغضب – انقلابيـــة . تعـــنى ببساطة " تكفير النظام القائم وتكفير الحاكم والخروج عليه ، وجواز قتاله وجــــواز الاســـتيلاء عـــلى أموال الدولة ومحاربة سلطاتها ، واعتبار الخدمة فى قواتها – جيشاً أو بوليســـاً – مكروهاً يجب تفاديه ، بل هى أيضاً نوع من الكفر . لأن الطاعة ليست واجبة إلا للإمـــام ولا يمكـــن أن تكون هناك طاعة لإمارة الكفر والسفه والجاهلية " ، وإذا كانت الحاكمية على هذا النحو هى نقطة البداية فإن النتيجة التى تترتب عليها منطقياً هى الثورة على الـــنظام إذا كـــان أساسه هو حاكمية البشر وليس دولة إسلامية ، وهو ما تم فى أغلب البلاد الإسلامية خلال الثلاثين عاماً الأخيرة من القرن العشرين •

خلاصة الاتجاهات الإسلامية

فى ضوء ما سبق ، فإن فكر الإسلام السياسى ، بل والفكر الإسلامى إجمالاً مع النصف الأول للقرن العشر ين انقسم الى ثلاثة تيارات كل تيار لديه مفكروه وكتابه وحركاته النضالية فى كـــل بلد إسلامى دون استثناء ، فإذا أخذنا مصر كنموذج سنجد ثلاثة تيارات أساسية ، طـــبقاً للمهمة التى تصورها كل تيار محوراً لنشاطه ، وللأسلوب أو الوسيلة التى رآها مناسبة لإنجـــاز مهمــــته ، وهى حسب أطروحة الماجستير المتميزة للباحث الإسلامى الدكتور إبراهيم الـــبيومى غان ،م والمعنونة بـــ (الفكر السياسى للإمام حسن البنا – ١٩٩١) والتى صدرت بعد ذلك فى كتاب شهير ، يرى (غانم) ان هذه التيارات هى :

أولاً : **تيـار الفكـر الدفـاعى** : وقـــد كرس نشاطه ، أو معظمه ، لمهمة الدفاع عن الإسلام بإظهار حقائقه ورد الاتهامات التى توجه اليه ، والشبهات التى تثار حوله ، والأباطيل التى تلصق به ، وكذلك القيام بدحض الحجج التى يستند اليها خصومه من دوائر الاستشراق والاستعمار والتبشير ودعاة التغرب ، فى توجيه افتراءاتهم ، وقد مثل هذا التيار فريقان : الأول رأى أن أفضـــل أســـلوب لـــلدفاع هو استخدام نتاج الفكر الغربى – الذى يستخدم بشكل أو بآخر وخاصة فى مجال العلوم العصرية ، وكان من أبرز ممثلى هذا الفريق الشيخ طنطاوى جوهـــرى ، والشيخ رضوان شافعى المتعافى ، ومحمد فريد وجدى ، وقد كانوا متأثرين بمنهج الإمـــام محمد عبده ، بيد أنهم توسعوا فى اللجوء الى الأفكار والفلسفات الغربية ، وكان محمد فريد وجدى أكثرهم توسعاً لدرجة أن كثرة اعتماده على فلسفات الغرب جنحت به بعيداً عن العقائد الإسلامية دون أن يدرى •

أمـــا الفريق الثانى ، فقد رأى أن أفضل سبل الدفاع عن الإسلام هو اللجوء الى الإسلام ذاتـــه ، والى ما يمكن إعادة تقديمه واستخدامه من التراث الإسلامى وخاصة فى عصور ازدهار الحضـــارة الإسلامية ، ومن ثم فقد انصرف رواد هذا الفريق عن استخدام الفكر الغربى كأداة للدفاع عن الإسلام ، ونظروا إليه بمختلف صوره وأساليبه نظرة عدائية ، ومن أبرز رموز هذا الفـــريق الشـــيخ مصـــطفى صبرى والشيخ محمد الخضر حسين والدكتور أحمد الغمراوى ، وقـــد كان من شأن المنهج الذى اتبعوه أن ينشط العودة الى الأصل والتراث وأن يمهد للقيام بجهـــود هدفهـــا تخـــليص التراث مما شابه من أفكار بالية وممارسات خاطئة ترجع الى عصور الانحطاط ، وإعادة بث المعرفة المقيدة بالتراث وتقاليده .

ثانيـاً : التيار السلفى : وهذا التيار يصعب تحديده بدقة نظراً للاستخدامات المتعددة والمختلفة لهذا المفهوم لذا فإنه يمكن التمييز بين ثلاثة مستويات له على الأقل :

الأول هو السلفية كمفهوم ، وغالباً ما تطلق ويراد بها الاتجاه الإسلامى عامة .

والثانى هو السلفية كحركة ومنهج إصلاحى ، وغالباً ما يقصد بها الحركات الإصلاحية التى نشطت خلال القرن الماضى كالوهابية والسنوسية .

أمـــا الثالث فهو السلفية كتيار فكرى ، وتعنى – وهو المقصود هنا – إعادة تقديم فكر الســـلف الصـــالح فى فهمهم للإسلام وفى نمط حياتهم ، والتمسك به ودعوة الناس الى ذلك باعتبار ان هذا هو سبيل النجاة ، وحيث يكون محور النشاط هو تنقية الإسلام مما ألحق به من الـــبدع والخـــرافات وأنـــواع الشـــك المختلفة على النحو الذى يؤدى الى تصحيح العقيدة لتصبح كعقيدة السلف الصالح ، وكذلك استقامة السلوك ونمط الحياة ليتفق مع نمط حياة هذا السلف .

وقد بدأ هذا التيار بالمعنى الموضح ، بصورة جلية ، من خلال بعض الجمعيات الإسلامية ومـــن أهمهـــا الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة بقيادة مؤسسها الشيخ محمود خطـــاب السبكى ، وجماعة أنصار السنة المحمدية التى أسسها الشيخ محمد حامد الفقى ، وقد تأثرت بسلفية محمد بن عبد الوهاب (١١١٥هـ – ١٢٠٦ / ١٧٠٣ – ١٧٩١م) .

ولمـــا كـــان التيار السلفى ، مرتبطاً بنمط تفكير وحياة السلف على النحو المشار اليه ، فقـــد دعمت عملية إعادة طبع ونشر كتب السلف نشاط هذا التيار ، ففى الفترة الممتدة من ١٩٠٠ الى ١٩٤٠ تم اعـــادة طـــبع ونشر عدد كبير من كتب السلف من مختلف العصور

والبلدان وفى شتى المجالات كالتفسير والحديث والفقه وأصول الدين والعقائد والفرق والتصوف .. الخ ، ومن الأمور ذات الدلالة أنه خلال تلك الفترة وخاصة من ١٩٠٠ الى ١٩٢٥ أعيد طبع ونشر كتب ورسائل الإمام أحمد بن تيمية ، من خلال " مطبعة المنار " أو " المطبعة السلفية " غالباً ، وبتحقيقات وتمهيدات لشخصيات سلفية أمثال الشيخ : محمد حامد الفقى والشيخ محمد منير الدمشقى ، وغيرهما ، وكذلك بالنسبة لكتب ابن القيم وابن الجوزى وأمثالهم من أعلام السلف ، واحتلت الكتب التى توجه النقد للممارسات الصوفية ، مكانة هامة فى حركة إعادة الطبع والنشر الى جانب كتب العقيدة وأصول الدين .

ثالثاً : التيار التجديدى (الإصلاحى) : ويقصد به تلك الجهود التى وجهت أساساً لإصلاح الفكر الإسلامى وتصحيح النظر الى التراث وما يترتب عليه من ممارسات فى الحياة اليومية بهدف شحذ الفاعلية الإسلامية لتصبح قادرة على القيام بأعباء النهضة ورد التحدى الغربى ، ولا يمثل التيار التجديدى الإصلاحى بالمعنى السابق تياراً مستقلاً عن التيارين السابقين وإنما هو فى الغالب عبارة عن خلاصة جهودهما الموجهة لغرض الإصلاح بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ويمكن القول إن خلاصة جهود هذا التيار قد انطلقت من أن كل محاولة لإعادة بناء حضارة الإسلام ونهضة المسلمين لابد أن تقوم على أساس سيادة الفقه الخالص على الواقع السائد (كما يقول مالك بن نبى فى كتابه وجهة العالم الإسلامى ص٦٥) ولا شك أن هذا يقتضى رجوعاً الى الإسلام فى منابعه الأصلية بعد تخليصها مما شابها من أفكار وممارسات خاطئة .

وإذا كان الفضل يرجع الى الإمام محمد عبده فى تنشيط الحركة الإصلاحية وتجديد الفكر الإسلامى الحديث ، فإن هذا التيار بصفة عامة قد خط طريقه فى الضمير المسلم منذ عصر ابن تيمية على الأقل ، وتواصلت جهوده دون انقطاع فيما بعد فى مناطق متفرقة من العالم الإسلامى ، ومن هذه البيئة الثرية بتياراتها العديدة نشأت جماعة الإخوان المسلمين وبرز الإمام الشهيد حسن البنا .

* * *

الفصل الثالث

سقط الخليفة .. وصعد الإمام

قــدر لشرقنا العربى والإسلامى أن يعيش فى السنوات السابقة على قيام حركة الإخوان المســلمين باعتــبارها أبرز التعبيرات السياسية المعاصرة عن (ظاهرة الإسلام السياسى) ، عدة مــتغيرات ومعارك سياسية وفكرية هامة . لعل أبرزها هو سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية ، وتقســيم الــدول الإسلامية بعد اتفاقية (سايكس بيكو) بين القوتين العظميتين وقتها (انجلترا وفرنســا) ، هذا على المستوى السياسى الإسلامى العام ، وعلى المستوى الفكرى والثقافى ، بــدأت دعــوات التيار التغريبى (العلمانى) تنشط فى تواز مخيف مع قوة الهجمة الاستعمارية الغربية ، وبدأت الكتب والدعوات المعاندة ، بل والمضادة لروح الأمة وإسلامها تنشط بشكل بــارز ، وكــنموذج لهــا ما حدث فى الهند (كما سبق الإشارة) من أحمد خان ، وكما حدث فى مصــر مــن عــلى عبد الرازق وطه حسين ، وعلى سبيل المثال فقط سنأخذ كتاب (على عبد الرازق) كنموذج للمعارك الفكرية السياسية التى مهدت الطريق – مع عوامل أخرى – لظهور تيارات الإسلام السياسى (الإخوان كنموذج) وبقوة كرد فعل غاضب على هذا الهجوم على الإسلام .

الخلافة والموقف العام منها

فى ٣ مــارس ١٩٢٤ قام مصطفى كمال أتاتورك بالإعلان عن إلغاء الخلافة الإسلامية وعزل الخليفة محمد وحيد الدين ثم نفيه وأسرته وولى العهد عبد الحميد الى خارج البلاد واتخاذ أنقــرة مركــزاً للحركة وعاصمة للدولة الجديدة التى أسميت بتركيا ، إثر هذا التطور حدثت ردود أفعــال واسعة على امتداد العالم الإسلامى ، سنأخذ لها كنموذج دولة مثل مصر ، والتى كانت تعيش فى تلك الأثناء تطورات سياسية هامة ، إذ صدر دستور ١٩٢٣ والذى أتى بحزب

الوفد الى الحكم ، وتقلصت سلطات الملك نتيجة للمتغيرات الجديدة ، وبدا للجميع أن عهدا جديدا يتسم بالديمقراطية وبالدستورية قد بزغ ، فى هذه الأثناء تواترت الأنباء من تركيا لتعلن نـبأ إلغاء الخلافة الإسـلامية ، وتراوحت ردود الأفعال ، بين الاستنكار الكامل لما حدث أو التأييد الكامل له ، وتمثلت أهم هذه المواقف على الإطـلاق فى موقف حـزب الوفد أقوى وأكـبر الأحزاب المصرية قاطبة وقتها - ورجال الأزهر ، والأحزاب المؤيدة للملك ، وحزب الأحرار ، ومن استعراض مواقف بعض هذه القوى يتبين الآتى :

موقـف حزب الوفد : كان لحزب الوفد موقف عاطفى فى بداية الإعلان عن إلغاء الخلافة ، حين استنكرها على المستوى الدينى ، ولكن هذا الموقف العاطفى سرعان ما تعقلن من خـلال حسـابات دقيقة لزعامات الوفد آنذاك ورؤيتهم لحقيقة أهداف الملك (فؤاد وقتها) والمقـربين له وأطماعهم فى الخلافة ، وعليه فقد تطور موقف حزب الوفد من مسألة الخلافة ، حيـث أيـد فى البداية فكرة نقل الخلافة الى مصر ، ولكن جاء هذا التأييد عن طريق كتابه وصـحفه ، ولم يأت عن طريق زعامته يومئذ ، ولقد أيد نشاط الهيئة العلمية الدينية الإسلامية الكبرى ، وهى هيئة تشكلت من رجال الدين والأزهر ومنهم أبو الفضل الجيزاوى ومصطفى المراغى ، وعبد الرحمن قراعة ومحمد على الببلاوى وعبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق الصـوفية ، ومحمـد شاكر ورشيد رضا وحسين والى ويوسف نصر الدجوى وغيرهم ، والتى دعت الى مؤتمر إسلامى عام لمناقشة مسألة الخلافة ونقلها الى مصر ، وحددت له شهر مارس ١٩٢٥ وأصدرت مجلة باسم هذا المؤتمر .

لقـد أيـد الوفد نشاط الهيئة فى البداية ، ولكن سرعان ما شعر بأن دعوتها تتخذ أبعاداً خطيرة وتستهدف ضرب الوفد ، من أجل مصلحة الملك الذى وجد فى الوفد وفى سعد زغلول حـائلاً دون تحقيق مطامحه ، فلقد اتجهت دعوة الهيئة الى تكوين لجان ، والاتصال بكل الهيئات الرسمية لتكريس اتجاه نقل الخلافة الى مصر ، واتضح أمام الوفد أن الداعين للمؤتمر الإسلامى لـلخلافة على علاقة بالسراى إزاء هذا تبدى لوزارة الوفد ان مسألة الدعوة للخلافة ليست مجرد هيئة رسمية لها هدفها المحدود ، وليست مجرد مؤتمر يرجى انعقاده ، ولكنها أصبحت تنظيماً سياسـياً يـرعاه السراى من خلال حسين نشأت باشا وكيل الأوقاف وقتها والمحرك الفعلى

لنشاط الهيئة ويهدف الى ضرب حزب الوفد ، والخطورة فيه أنه كان ذا وجهة دينية ، واستغل سعد زغلول رفض الملك فى البداية وعدم تلهفه على نقل الخلافة الى مصر وسأله عن أمر هذه الـــلجان التى تنتشر فى البلاد باسمه فأنكر أمرها وادعى أنه لم يتغير رأيه الأول . فما كان من سعد زغلول الا أن أصدر أمراً الى وزير الداخلية لموظفى الأقاليم ينهاهم فيه عن الاتصال بتلك اللجان .

واســتكمالاً لدور الوفد أخرج المظاهرات التى تندد بدور حسين نشأت باشا فى مسألة الخلافة ، فأحدثت فعلها فى التأثير على الملك وجعلته يعدل عن استصدار أوامر مستقلة بعيدة عن سلطة الوفد تجاه هذه القضية ، وهكذا أيد الوفد القضية فى بدايتها عندما ولدت بعيدة عن أمور السياسة ، وانحصرت فى نطاق الرمز الدينى من خلال الهيئة الدينية العليا ، ولكنه اضطر الى رفضـــها عـــندما تحولت الى وسيلة لتقليص الدور الشعبى والسياسى الذى يقوم به الوفد فى إطار صراعه ضد الملك والإنجليز .

ب موقف رجال الدين : من الملاحظ على الحركة الدينية الإسلامية فى مصر منذ مطلع القـــرن التاســـع عشـــر عـــدم اتفاقها على موقف واحد إزاء القضايا السياسية والاجتماعية المختـــلفة ، فلقد تعددت النظرة ، وتفرعت المناهج واختلفت المواقف ، وهذا ما حدث أيضاً إبـــان طرح قضية الخلافة ، فلقد انقسم العلماء ، ورجال الدين الى فريقين . فريق : تتصدره الهيـــئة العلمية الدينية الإسلامية الكبرى ، وعلى الرغم من أنها ضمت بين أعضائها عدداً من رجـــال الأزهر ، فأنه لم يطبق بشأنهم أحكام القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ الصادر عن مجلس الأزهر الأعلى والتى تصل بالنسبة للطلاب الى درجة الفصل ، وبالنسبة الى للعلماء والمدرسين الى الإحالـــة الى مجـــلس التأديب فى حالة اشتراكهم فى عمل سياسى أوله اتصال بالسياسة أو الصحافة ، وقامت هذه الهيئة بدور المؤيد لتقلد ملك مصر خلافة المسلمين ، ودعت الى مؤتمر إسلامى يعقد بمصر فى مارس ١٩٢٥ والثابت أن المؤتمر قد انعقد بالفعل فى ١٣ مايو ١٩٢٦ برئاسة شيخ الأزهر ، وحضره ٣٥ مندوباً ولكنه لم يحقق أهدافه .

وفريق ثان مثله من داخل الأزهر ذاته حوالى أربعين من رجال الدين حيث وقعوا عريضة ذكـــروا فيها " أن مصر لا تصلح فى الوقت الحاضر دارا للخلافة ، وهى لا تزال محتلة بدولة

أجنبية ، والحكم فيها لا يزال بأيدى غير أبنائها ، وحكومتها أباحت المحرمات من خمر وبغاء وميسر قانوناً" وسار فى نفس الاتجاه دعوة شيخ الطريقة العزائمية – وهى طريقة صوفية – الشيخ محمد ماضى أبو العزائم الرافضة للخلافة لقيام الاحتلال والنفوذ الأجنبى بها ، أنه يجب العمل على إبقاء الخلافة فى تركيا وتقويتها ، فإذا لم يكن إبقاؤها هناك وجب انتخاب خليفة من دولة إسلامية لا تخضع للاحتلال ولا للنفوذ الأجنبى ، وأنه يجب إبعاد الملك فؤاد عن هذا الأمر واعتبار عبد المجيد خليفة حتى يختار غيره .

ولقد أثرت هذه الدعوة أيما تأثير ، وخاصة عندما انضم اليها الأمير عمر طوسون ودعا الى مؤتمر فى ٢٠ مارس عام ١٩٢٤ فى منزل أبى العزائم ، أسفر عن انتخاب لجنة تنفيذية تدعو الى مؤتمر إسلامى عام انتخب أبا العزائم رئيساً وعلى فهمى نائباً للرئيس ، وهو شقيق مصطفى كامل وأحد أقطاب الحزب الوطنى ، والمعروف بتأييده لفكرة الجامعة الإسلامية منذ أيامه الأولى .

أما عن أهداف هذا المؤتمر المصغر فهى الإعداد والدعوة الى مؤتمر إسلامى عام ، وتكوين اللجان الفرعية فى أنحاء البلاد الإسلامية للدعوة للمؤتمر ، ونشطت جماعة الشيخ محمد ماضى أبو العزائم فى تكوين لجانها وجمع التبرعات والاشتراكات ، مما أقلق الوفد ، فهذه الحركة سوف تضعف نفوذه باقامتها لتنظيم ذى مستويات واجتماعات دورية واشتراكات يجمعها من أعضائه فضلاً عن التبرعات ، وهى على اتصال بالحزب الوطنى وبالأمير عمر طوسون والمناوئين للوفد، وتعلن أن من مبادئها الطاعة التامة للخليفة ، وألا يكون الخليفة مصرياً مما يوزع ولاء المصريين ، وهو الأمر الذى يحرص عليه الوفد ، بل ويستمد منه شرعيته وبقاءه ، ولذا وقف الوفد ضد هذا الاتجاه – على الرغم من اتفاق الغايات وهى أبعاد الخلافة عن (ملك مصر : الملك فؤاد) ، بين الاتجاهين ، وهكذا تجمع رأى أغلبية رجال الدين – غير الرسميين – على رفض مسألة الخلافة لملك مصر .

معارك على عبد الرازق وطه حسين

يحدثنا التاريخ أنه قد دارت فى مصر خلال العشرينيات مناقشات تتعلق بإشكالية الدين والدولة والإسلام والسياسة بخصوص كتابين أثارا من الجدل القدر الكبير ، وهما كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ على عبد الرازق ، وكتاب (فى الشعر الجاهلى) لطه حسين ، وتتعرض الدراسة هنا بالتركيز الى أهم ما أثير بهذا الشأن .

فبالنسبة لكتاب طه حسين (فى الشعر الجاهلى) فقد أثار ضجة فى حينه ، ولكنها كانت أقل أثراً من الضجة حول الكتاب الثانى لذا سوف نقصر الحديث هنا على كتاب الشيخ على عبد الرازق ، وهو الكتاب الذى اكتسب أهميته الفكرية من التوقيت السياسى الذى قدم فيه ، ففى هذا الوقت (أبريل عام ١٩٢٥) كانت مصر ومعها العالم لإسلامى مهمومة بمسألة الخلافة - كما سبق أن رأينا - وكانت هى القضية الأولى المثارة . كما اكتسبها من التصور الجديد الذى قدمه لمسألة الخلافة وخلوصه الى عدم شرعيتها ٠

ينقسم الكتاب الى ثلاثة أجزاء ، يدور الجزء الأول منها حول الخلافة والإسلام ، والجزء الثانى حول الحكومة والإسلام ، والجزء الثالث حول الخلافة فى التاريخ ، يرى المؤلف أن فكرة الخلافة قد تنزه الكتاب الكريم عن ذكرها أو الإشارة إليها ، وكذلك أهملتها السنة النبوية ولم ينعقد الإجماع عليها ، أفهل يبقى لهم - يقصد الداعين اليها - من دليل فى الدين غير الكتاب أو السنة أو الإجماع ويرى أنه إذا كان الفقهاء قد أرادوا بالإمامة والخلافة ذلك الذى يريده علماء السياسة بالحكومة كان صحيحاً ما يقولون ، من أن إقامة الشعائر الدينية وصلاح الرعية ، يتوقفان على الخلافة بمعنى الحكومة " فى أى صورة كانت الحكومة ومن أى نوع مطلقة أو مقيدة ، فردية أو جمهورية ، استبداية أو دستورية ، ديمقراطية أو اشتراكية أو بلشفية، فلا ينتج لهم الدليل أبعد من ذلك" (على عبد الرازق - الإسلام وأصول الحكم - ص١٣٥) .

إن ضياع الخلافة فى رأى المؤلف لم يؤثر بشىء على أركان الدين وأوضاع المسلمين ومصالحهم على وجه كان يمكن للخلافة أن تتلافاه لو وجدت ، ويذهب الى التساؤل عما إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم مؤسس دولة ورئيس حكومة كما كان رسول دعوة دينية وزعيم وحدة دينية أم لا ؟ ويجيب بعد مناقشته لعدة آراء بأن " محمداً " ما كان إلا رسول لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها سلطة أو رغبة فى تأسيس حكومة ، وأنه لم يؤسس مملكة " وعليه يصبح الإسلام عند الشيخ على عبد الرزق ديناً فقط ، وينكر بالتالى مسألة الخلافة ، ويفصل بوضوح بين الدين والدولة ويؤكد :

" أنك إذا تأملت وجدت أن كل ما شرعه الإسلام ، وأخذ به النبى المسلمين من أنظمة وقواعد وآداب لم يكن فى شيء كثير ولا قليل من أساليب الحكم السياسى ولا من أنظمة الدولة المدنية ، وهو بعد إذا جمعته لم يبلغ أن يكون جزءاً يسيراً مما يلزم لدولة مدنية من أصول

سياسية وقوانين ، إن كل ما جاء به الإسلام من عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات ، فإنما هو شرع ديني خالص لله تعالى ولمصلحة البشر الدينية لا غير ، وسيان أن يكون منها للبشر مصلحة مدنية أم لا ، فذلك ما لا ينظر الشرع السماوى اليه ، ولا ينظر اليه الرسول (الإسلام وأصول الحكم – ص١٧٠) .

وينهى على عبد الرازق رأيه الى القول بتنافى العلاقة بين الإسلام والخلافة . إن الإسلام لا يعرفها كأساس من أسس الحكم فيقول : " والحق أن الدين الإسلامى برىء من تلك الخلافة التى يتعارفها المسلمون ، وبرىء من كل ما هيئوا حولها من رغبة ورهبة ، ومن عزة وقوة ، والخلافة ليست فى شيء من الخطط الدينية ، كلا ، ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة ، وإنما ذلك كله خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها إنما تركها لنا لنرجع فيها الى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة " . والكتاب بهذا المعنى يؤكد على حقيقة هامة ، وهى نفى كون الحاكم نائباً عن الرسول ، يقوم مقامه كما أنه ينفى وجوب الحكم الذى ارتبط تاريخياً بفكرة الخلافة ، وهو الحكم الفردى ، ولقد أدت هذه الأفكار الجديدة التى أتى بها الكتاب الى حملة ضخمة من الهجوم على الشيخ وكتابه ، وخاصة أن الكتاب قد صدر فى الفترة التى أعقبت إلغاء الخلافة فى تركيا وتطلع الملك فؤاد اليها . ولقد أفرزت هذه الحملة ضد الكتاب وصاحبه ومضمونه آثارًا عدة ، فعلى صاحبه نجدها قد أدت الى خروجه من زمرة العلماء بمقتضى المادة ١٠١ من قانون الأزهر ، ومن ناحية المضمون قام الشيخ محمد بخيت بالرد بكتاب عنوانه " حقيقة الإسلام وأصول الحكم " ، كذلك قام الشيخ محمد الخضر حسين ، بوضع مؤلف آخر بعنوان " نقد الإسلام وأصول الحكم " ، ولم يقف رأى العلماء عند هذا الحد . بل أرسل شيخ الجامع الأزهر ، محمد أبو الفضل الجيزاوى برقية الى مقام الملك فؤاد يشكره على " أن حفظ الدين فى عهد جلالة مولانا من عبث العابثين وإلحاد الملحدين وحفظت كرامة العلم والعلماء " .

ولكن الشيخ عبد الرازق لم يقف ساكناً تجاه هذه العاصفة فكتب فى جريدة السياسة مدافعاً عن موقفه الفكرى ووقف حزب الأحرار الدستوريين مع الشيخ فى معركته هذه ، وخاصة بعد طرد الملك لهم من الوزارة ، كما وقف معه حزب الوفد من خلال بعض كتابه أمثال : عزيز ميرهم ، وحسين عامر المحامى ، ومحمد كامل الحمامصى ، بعدما تحولت القضية

الى قضية تتعلق بحرية الفكر ، وما أشيع عن نية محاكمة الشيخ على كتابه ، وكانت النتيجة العملية لكل هذا ، هو استرداد الشيخ لكافة حقوقه الوطنية والأدبية التى أهدرت •

نشأة « الإخوان المسلمون » وقضية الإسلام السياسى

بعد هذه المعارك أتت جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ على يد مؤسسها الشيخ حسن البنا المولود عام ١٩٠٦ واستشهد عام ١٩٤٩ وتنوعت القضايا بشأنها نشأة وتطورا ومعارك فكرية وسياسية ، وسنأخذ موقتاً بعض المواقف لها تجاه قضية الإسلام السياسى والحكومة الإسلامية . حيث يتحدد تفكير حركة الإخوان المسلمين فى هذه الفترة القلقة من تاريخ مصر والعالم الإسلامى وبعد سقوط الخلافة بأربع سنوات تجاه العديد من القضايا وعلى سبيل المثال كانت لهم رؤى ومواقف تجاه ما يلى :

١ ـ **شمولية الإسلام** : حيث يؤكد حسن البنا مؤسس الحركة على أن الذين يظنون أن تعاليم الإسلام تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحى ، مخطئون فى ذلك ، فالإسلام – كما يقول – " عبادة وقيادة ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل وصلاة وجهاد ، وطاعة وحكم ومصحف وسيف ، لا ينفك واحد من هذين عن الآخر " (حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية – ص١٤٥) •

وبحكم نشأة هذه الحركة فى حقبة تعاظم فيها خطر حركة التغريب . فلقد كان رفض الإخوان التمييز بين الدين والدولة ، فكانوا أقرب الى دعاة السلطة الدينية ، على الرغم من قولهم بنيابة الحاكم عن الأمة ، وكأنهم فى النهاية يجردون الأمة من السلطات السياسية والتشريعية ويتحدثون عن قانون إلهى جاهز ، ومن ثم انحازوا لمفهوم الخلافة ودعوا اليه •

٢ ـ **الارتباط بفكرة الخلافة** : أوضح حسن البنا هذا الارتباط حين ذكر أن " الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية ، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام ، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير فى أمرها والاهتمام بها ، والأحاديث التى وردت فى وجوب نصب الإمام وبيان أحكام الإمامة ، وتفصيل ما يتعلق بها لا تدع مجالاً للشك فى أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير فى أمر خلافتهم ، والإخوان المسلمون لهذا يجعلون من فكرة الخلافة والعمل لإعادتها فى رأس منهاجهم •

٣ ـ الرأى فى دستور الدولة (دستور ١٩٢٣) : رأى حسن البنا أنه رغم عدم تعارض دستور ١٩٢٣ أو النظام النيابى المصرى فى قواعدهما الأساسية مع ما وضعه الإسلام فى نظام الحكم إلا أن هناك قصوراً فى عبارات الدستور وسوءاً فى التطبيق وتقصيراً فى حماية القواعد الأساسية التى جاء الإسلام بها وقام عليها الدستور أدت الى (ما نشكو منه من فساد ، وما وقعنا فيه من اضطراب فى كل الحياة النيابية) .

ويؤكد حسن البنا على غموض دستور ١٩٢٣ الذى (وقف بنا فى منتصف الطريق نصاً وتطبيقاً ، وجاء غامضاً مقتضباً غير واضح ولا مفصل) ، واستشهد بما أورده د. إبراهيم مدكور ومريت غالى من نقد له فى مذكرتهما (نظام جديد) على غموض الدستور .

٤ ـ الدعوة بالرجوع بالإسلام الى تعاليمه الأولى : خاصة وبعد أن التبس على الناس الدين الصحيح بما نسب اليه ظلماً وجهلاً ، وعندما يحدد حسن البنا المقصود بكلمة الإخوان المسلمين يقول : إنها " دعوة سلفية لأنهم يدعون الى العودة بالإسلام الى معينه الصافى من كتاب الله وسنة رسوله ، وهى طريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية ثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية " .

وكأن دعوة الإخوان بهذا المعنى هى تركيبة مفاهيمية ، تعمد مؤلفها أن يركبها بهذا الشكل لتتواءم والطبيعة الجماهيرية للحركة ، وهو ما كان بالفعل ، ولعل فى هذه التركيبة ما يفسر اتساع حجم الحركة جماهيرياً آنئذ .

٥ ـ الحكومة الإسلامية : يعد هذا العنصر من أهم مكونات أيديولوجية الإخوان المسلمين ، وفيه يتضح رؤية حركة الإخوان المسلمين قبل ١٩٥٢ ، لإشكالية العلاقة بين الدين والدولة ولقضية الإسلام السياسى ، وفى هذا المعنى يقول حسن البنا " أن الإسلام الحنيف يفترض الحكومة قاعدة من قواعد النظام الاجتماعى الذى جاء به الى الناس . فهو لا يقر الفوضى ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام " . وإذا كانت الحكومة الإسلامية هى المطلب الأساسى لدى الاخوان فقد كان يقتضى منهم موقفاً واضحاً من دستور ١٩٢٣ ومؤسساته ومن الأحزاب القائمة ، وبالنسبة للدستور أعلن الإخوان أن القرآن دستورنا فى مواجهة دستور ١٩٢٣ وغيره من القوانين الوضعية ، بل وأعلن حسن البنا أن دستور ١٩٢٣ غامض غير واضح ولا مفصل، على الرغم من إشارته الى اقتناعه بنظام الحكم الدستورى النيابى عموما على أن يتفق مع الإسلام ، وبالنسبة للأحزاب فهى فى رأيه : " سيئة هذا الوطن الكبرى ، وهى

أســاس الفساد الاجتماعى الذى نصطلى بناره الآن ، وهى ليست أحزاباً حقيقية بالمعنى الذى تعــرف بــه الأحزاب فى أى بلد من بلاد الدنيا ، فهى ليست أكثر من سلسلة من انشقاقات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هذه الأمة " .

هكذا يدور أدب الإخوان السياسى تجاه مسألة الأحزاب فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضــى ، وهم يرون أنه إذا كان الأمر كذلك "فلا ندرى ما الذى يفرض على هذا الشعب الطيــب المجاهد المناضل الكريم هذه الشيع والطوائف من الناس التى تسمى نفسها الأحزاب السياسية " .

وبعد نقد هذه الأحزاب يدعو الإخوان الى بديل أساسى ، وهو أن أمة وادى النيل أحوج ما تكون الى أكمل معانى الوحدة لتتجمع قواها ، أى أن فكرة الغاء الأحزاب واستبدالها بحزب واحد كانت أحد مكونات مفهوم الإخوان المسلمين بخصوص الأحزاب فى تلك الفترة .

أمــا بالنســبة لدعائم نظام الحكم الإسلامى كما يراها الإخوان فحددها حسن البنا فى ثلاث : مسئولية الحاكم " فالحاكم مسئول بين يدى الله وبين الناس وهو أجير لهم عامل لديهم " وحدة الأمة " والأمة الإسلامية واحدة ، لأن الأخوة التى جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصــول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها " ولا يمنع من وجهة نظرهم حرية الرأى وبــذل النصــح من الصغير الى الكبير ومن الكبير الى الصغير ، وذلك هو المعبر عنه فى عرف الإسلام ببذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " .

احترام إرادة الأمة ، حيث يرى الإخوان فى كلمات قائدهم أنه من حق الأمة الإسلامية أن تــراقب الحــاكم أدق مراقبة ، وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير ، وعليه أن يشاورها وأن يحــترم إرادتهــا وأن يــأخذ بالصالح من آرائها ، وربما تكون رؤية الإخوان المسلمين (للدولة الديــنية) أهــم الجوانــب التى تبرز موقفهم تجاه إشكالية الإسلام السياسى ، ولقد دار أدب الإخوان فى هذا الصدد حول مسألتين :

أولاهمـا : أنــه ليست هناك (طبقة دينية) فى الإسلام ، ولذا فلم يكن هناك خوف من الحكــم الدينى كما كان معروفاً فى أوروبا المسيحية . بل لقد ذهب حسن البنا الى أن رجال العقيــدة مختلفون حول العقيدة نفسها . ذلك لأنه وكما يذهب عبد القادر عودة فى كتابه " الإسلام وأوضاعنا القانونية " : " قيام الدولة على أساس دينى لا يقتضى أن يكون لرجال الدين أى سلطان خاص ، ولا يقتضى حمل الناس على عقيدة معينة . أفضل مثل لذلك هو الإسلام ،

فالإســـلام يوجـــب أن تقـــوم الدولة على أساس الدين الإسلامى ، ويوجب أن يكون الحكم والسياســـة والإدارة والتشريع وكل ماله أثر فى حياة الأمة مستمداً من الدين الإسلامى قائماً عـــليه ، وبالرغم من ذلك فإن الإسلام – فى الوقت نفسه – لا يعطى علماء الإسلام وفقهاءه أى سلطان " .

وثانيتهما : وتتعلق بالمقصود بكلمة (إسلام) لدى الإخوان المسلمين فهى ليست مرادفاً لـــلدين . فهى تشمل فى معناها الإجمالى " الدين والاقتصاد والمجتمع والسياسة .. الخ وبمعنى أدق فإن الدولة ليست مناقضة للدين ، وإنما كل منهما يعبر عن الإسلام " ويوضح حسن البنا أكـــثر حين يقول : إن "الإخوان ليسوا جماعة دينية وفقاً للمفهوم الغربى لهذه الكلمة ، فهى لا تعنى مالقيصر لقيصر ومالله لله فإن قيصر وما عليه لله وحده " .

ويـــرى الإخـــوان أنه لا وجه للقياس بالدولة الأوروبية ، فالدين الإسلامى أتى بشريعة كامـــلة واجب تطبيقها ، وهو يجعل الحكومة جزءاً من الدين ، ويرى الإخوان أن فكرة فصل الديـــن عـــن الدولة فى البلاد الإسلامية أدت الى الزام المسلمين بقوانين خارجة على أحكام الإسلام وإن كان لها ما يبررها فى دولها ، هذا وقد رأى (سيد قطب) فيما بعد أن جوهر الفارق فى مسألة الدولة بين الإسلام والمسيحية يعود الى أمرين : أن المسيحية قد ظهرت فى وقت كان فيه القانون الرومانى والعادات قد تأسست فى نفوس الناس وهذا اختلاف فى الأصل . هذا من ناحيـــة ، ومـــن ناحية أخرى يعود الى اختلاف فى القصد أو الغاية . إذ إن المسيح أتى أساساً ليـــزرع الحـــب وينادى بالتسامح – أى لينظم علاقة الإنسان بالله ، لذا اقتصر على الناحية الروحية أما العلاقات بين البشر أنفسهم وبين الناس والدولة فقد تركت للقانون الوضعى ، أما الإسلام فكان على العكس من ذلك ، وقام بتوحيد الحياة الدينية والدنيوية ، ولو افترضنا ذلك الفصل لكان معنى ذلك إنكاراً لمعناه الأساسى ولوجوده . (سيد قطب – العدالة الاجتماعية فى الإسلام – ص٢ – ٨) .

الإسلام السياسى والوطن لدى حسن البنا

كـــان للشيخ حسن البنا تأثيراته العديدة على الفكر الإسلامى المعاصر ، وعلى الحركة الإسلامية فى الوقت ذاته ، وتميز دون سواه من قادة الحركات الإسلامية باتساع أفقه ، وعمق نظرته ، ودقة أحكامه ، بشأن قضايا الواقع الإسلامى بإجمال ، وكان للحركة التى قادها (جماعة

الإخوان المسلمين من ١٩٢٨ وحتى الآن) إضافتها الفكرية والسياسية على الصعيدين العربى والإسلامى ، وفى سياق رصدنا لقضية الإسلام السياسى داخل أبيات الفكر الإسلامى المعاصر ، لا يمكننا تجاهل رؤية حسن البنا للقضية ، وهى رؤية سبق الإشارة الى طرف منها ونقوم هنا بالتفصيل فى بعض جوانبها حيث نرصد قدرته على التميز بشأن الإسلام السياسى بين جانبين :

الأول : هو الاستخدام السياسى للمفهوم فى إطار الحركة الوطنية ضد الاستعمار ولتحقيق الاستقلال ، وفى هذا الاستخدام تتجسد الجوانب الإيجابية لمفهوم (الإسلام السياسى والوطن والانتماء) التى يؤمن بها البنا إيماناً يجعلها تسمو الى أن تصبح فرضاً من الله هو الذى أمر به ، وجزءاً من تعاليم الإسلام ، ومن ثم فالإخوان كما يقول البنا : " أشد الناس تطرفاً فى الوطنية ، فى حب الخير للبلاد والجهاد فى سبيل تخليصها (من الاستعمار) وارتقائها " ، فهم لا يطيقون أن يكون فى أرض الإسلام مستعمر واحد ، ويعملون بالنفس والمال فى سبيل تحرير الوطن الإسلامى العام .

أما الجانب الثانى : الذى ميز البنا فهو رفض المضمون العلمانى للوطنية ولعلاقة الإسلام السياسية الذى يقيم علاقة الولاء بين الفرد والدولة – فى احد محاوره – على أساس الانتماء لرقعة من الأرض تكون إقليم الدولة . فى حين لا يقيم أى اعتبار للعقيدة كأساس لهذا الولاء بحجة الحفاظ على الوحدة الوطنية بين المسلمين وغير المسلمين ، ويرفض البنا هذا المضمون العلمانى للوطنية . لأنه يتصل بالبنية الأساسية لمفهوم الدولة كما تصورها البنا ، ولا يتردد البنا فى دحضه والتحذير من مخاطره . فالعقيدة – فى نظره – هى التى ترسم حدود الوطن والوطنية ، وليست " التخوم الأرضية أو الحدود الجغرافية " ويؤكد فى موضع آخر : " إن العقيدة الإسلامية تعتبر الأرض كلها وطناً واحداً " . وفى نفس الاتجاه ، وانطلاقاً من قناعات واحدة كان رأى حسن البنا بشأن الوحدتين العربية والإسلامية رؤية إذا ما قوبلت برؤية بعض القوى الإسلامية اليوم ، فإنها تصير أكثر تقدماً بمعايير الاستنارة واستشعار هموم الأمة والتحديات ، فحسن البنا يرى بالنسبة الى الوحدة العربية أن هذا الإسلام نشأ عربياً ووصل الى الأمم عن طريق العرب، ويرى أن الكتاب الكريم جاء بلسان عربى مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين ، وقد جاء فى الأثر : " إذا ذل العرب ذل الإسلام" وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسى وانتقل الأمر من أيديهم الى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن اليهم ، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه ، ويؤكد

حسن البنا أيضاً : أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفها النبى صلى الله عليه وسلم فـــيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضى الله عنه " ألا إن العربية اللسان ، ألا إن العربية اللسان " ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه ، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرها ، وهـــذا موقـــف الإخـــوان المسلمين من الوحدة العربية (حسن البنا - مقال موقف الإخوان المسلمين من الوحدة القومية والإسلامية - مجموعة الرسائل - دار شهاب - القاهرة) .

وتزداد القضية وضوحاً فى فكر حسن البنا ويرفع بشأنها أى تناقض بين الدوائر الانتمائية إذا مـــا كان الإسلام هو إطارها الصحيح ، وبخاصة بالنسبة الى مجتمع مثل مصر ، وهنا يأتى فكره اضحاً عندما يرى : " أن مصر هى قطعة من أرض الإسلام وزعيمة أممه ، وفى المقدمة من دول الإسلام وشعوبه " والمصرية لها فى دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها فى الكفاح والنضال .. إننا نعتز بأننا مخلصـــون لهذا الوطن الحبيب ، عاملون له ، مجاهدون فى ســـبيل خيره ، وسنظل كذلك ما حيينا ، معتقدين أن هذه هى الحلقة الأولى فى سلسلة النهضة المنشودة ، وأنها - (أى مصر) - جزء من الوطن العربى العام ، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام (والعـــروبة - وهـــى الحلقة والدائرة الثانية والتالية) - لها فى دعوتنا كذلك - مكانها البارز وحظهـــا الوافر ، فالعرب هم أمة الإسلام الأولى وشعبه المتخير ، وبحق ما قاله صلى الله عليه وسلم " إذا ذل العرب ذل الإسلام " ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضـــتها .. إن هـــذه الشعوب الممتدة من الخليج الى المحيط كلها عربية تجمعها العقيدة ، ويوحد بينها اللسان ، وتؤلفها الوضعية المتناسقة فى رقعة من الأرض متصلة متشابهة ، لا يحول بين أجزائها حائل ، ولا يفرق بين حدودها فارق .. ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام ، ولخير العالم كله ، ودعوتنا ذات مراحل ، ونرجو أن تتحقق تباعاً ، نرجو أن تقوم فى مصر دولة مسلمة ، تحتضن الإسلام ، وتجمع كلمة العرب ، وتعمل لخيرهم ، وتحمى المسلمين فى أكناف الأرض من عدوان كل ذى عدوان ، فواجب أن يعمل الإنسان لوطنه ، وأن يقدمه فى العمـــل على سواه ، وواجب أن نعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها باعتبارها الحـــلقة الـــثانية فى النهوض ، وواجب ان نعمل للجامعة الإسلامية باعتبارها السياج الكامل لـــلوطن الإســـلامى العـــام ، ولا تعارض بين الوحدات ، بهذا الاعتبار ، فكل منها يشد أزر الأخرى ، ويحقق الغاية منها !! (مجموعة الرسائل ص٨٨) .

* أخيراً ، لقد حاول حسن البنا أن يقدم تعريفاً جغرافياً للوطن ، يتسق تماماً مع مفهومه السـابق ، فـالوطن - حسب رأيه - فى عرف الإسلام يشمل القطر الخاص .. ثم يمتد الى الأقطار الإسلامية الأخرى . فكلها للمسلم وطن ودار ، ثم يرقى الى الدولة الإسلامية الأولى التى شادها الأسلاف بدمائهم ولا تزال آثارهم فيها ، وكل هذه الأقاليم يُسأل المسلم عنها بين يـدى الله إذ لم يعمل على استعادتها ، ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعـاً ، ويردف البنا فقرته السابقة بالآية الكريمة هى قول الله تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتـنة ويكون الدين كله لله " (سورة الأنفال : الآية ٣٩) وهذا التصور الذى تصوغه عبارات البـنا ، صـياغة مفهوم الوطن والوطنية والإسلام السياسى صياغة حركية تجعل قاعدة الدولة (إقلـيمها الأرضى) لا يستقر ولا يثبت الا فى حالة واحدة فقط وهى أن يشمل الدنيا كلها ، أمـا قبل ذلك فتظل الدولة الإسلامية - حسب المنطق الذى يقود اليه تصور البنا - فى حالة عدم استقرار طالما أنها لم تستكمل تحقيق رسالتها " كدولة عقدية إسلامية " .

إن هذه الرؤية برغم مثاليتها - وربما بسبب منها - ظلت تعد محور الاجتهادات الفكرية لكل من تلا الامام حسن البنا من قادة الحركة الإسلامية فى مصر وخارجها ، وصولاً الى تحقيق الدولـة الإسلامية العالمية ، أو ما يسميه بعضهم بالعالمية الثانية للإسلام السياسى ، وما أدراك ما هى هذه العالمية التى يقف على رأسها الآن (أسامة بن لادن) !!

* * *

الفصل الرابع

العصر الذهبى .. لـ (رهبان الليل .. وفرسان النهار)
(الإخوان المسلمون)

كانت الفترة من بداية الثلاثينيات وحتى استشهاد الشيخ حسن البنا عام ١٩٤٩ ، بحق هى العصر الذهبى (لرهبان الليل وفرسان النهار) كما كان البنا يسمى أتباعه ، فلقد انتشرت فيهــا الدعوة ، وتوسعت أركان الجماعة مادياً وبشرياً ، وتواصلت مع القصر (الملك الحاكم فى مصــر وقــتها) والإنجليز والقوى الوطنية جميعاً دون استثناء ، فى نسيج عبقرى من الذكاء السياسى صنعه رجل واحد اسمه حسن البنا ، رجل ترك - ولا يزال - بصماته على كافة قوى الــتيار الإسلامى العربى والمصرى حتى يومنا هذا ، ترى كيف كان ينظر البنا الى الجماعة التى كان يقودها ؟ وكيف كان ينظر الى قضية التغيير السياسى والى قضايا المجتمع الآخرى ، وكيف كان ينظر اليه الآخرون . خاصة كبار قادة ما يسمى بالإسلام السياسى العنيف ؟!

* * *

لقد كان الإخوان فى عرف البنا خليط فريد من الدعاة والثوار فهم (أى الإخوان) دعوة سلفية: لأنهم يدعون الى العودة بالإسلام الى معينه الصافى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عــليه وسلم ، وطريقة سنية : لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة فى كل شىء ، وحقيقة صوفية: لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب والمواظبة على العمل والإعــراض عن الخلق ، والحب فى الله والارتباط على الخير ، وهيئة سياسية : لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم من الداخل وتعديل النظر فى صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته الى أبعد حد ، وجماعة رياضية : لأنهم يعــنون بأجسامهم ويعلمون أن المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، ورابطة عــلمية ثقافيــة : لأن الإســلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وشركة

اقتصـــادية : لأن الإســـلام يعنى بتدبير المال وكسبه . وفكرة اجتماعية : لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامى ويحاولون الوصول الى طرق علاجها وشفاء الأمة منها .

كان هذا تعريف شمولى بجماعة الإخوان على لسان قائدها ومؤسسها حسن البنا .

لقد حدد حسن البنا طريق جماعة الإخوان من خلال مراحل ثلاث :

١ – مرحلة الدعاية والتعريف .

٢ – مرحلة التكوين وتخير الأنصار .

٣ – مرحلة التنفيذ والعمل .

وفى محيـــط الـــرد عـــلى تســـاؤل الكـــثير من الناس : هل فى عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة فى تحقيق أغراضهم والوصول الى غايتهم ، وهل يفكر الإخوان فى إعداد ثورة عارمة على النظام السياسى أو النظام الاجتماعى فى مصر ؟

يجيب البنا على هذه التساؤلات من خلال نظرات ثلاث :

الأولى : أأن القوة هى شعار الإسلام فى كل نظمه وتشريعاته (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

الثانية : إن الإخوان يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان ، ويلى ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح .

الثالثة : هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكى ؟

وهـــل مـــن الواجب ان يوازى الانسان بين نتائج استخدام القوة قبل أن يقدم عليها ، والـــثورة أعـــنف مظاهر القوة ، فنظر الإخوان اليها أدق وأعمق ، وبخاصة فى وطن كمصر (جـــرب حظه من الثورات فلم يجن من ورائها إلا ما تعلمون ، وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ، ولا يعتمدون عليها ، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها) .

وحول موقف الإخوان من الحكم وان كان فى منهاجهم أن يكونوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم والوسيلة الى تحقيق ذلك ؟

يجيب البنا : إن الإسلام الذى يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه، وإن الإخـــوان لا يطلبون الحكم لأنفسهم . فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء

وأداء هـــذه الأمانـــة والحكم بمنهاج إسلامى قرآنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه ، وعلى هذا فـــالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال ، فلابد من فـــترة تنتشر فيها مبادىء الإخوان وتسود ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة . وبالنسبة لمسألة الجهاد لم يحدد البنا فى رسائله التى أفاض فيها وتوسع حول هذه المسألة ، لم يحدد الجهة التى يجب أن يتجه الإخوان بالجهاد نحوها وترك الأمر عائماً .

وقد حدد البنا لأفراد الإخوان عشرة مفاهيم طالبهم بحفظها واعتبرها بمثابة أركان للبيعة الإســـلامية ، وهـــذه المفاهيم هى : [الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة] .

وبالنســـبة للأحـــزاب (وكما سبق وأشرنا) يقول البنا : الإخوان يعتقدون أن الأحزاب السياســـية المصرية جميعاً قد وجدت فى ظروف خاصة ولدواع أكثرها شخصى لا مصلحى ، ويعـــتقد الإخوان أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياهم وعطلت مصالحهم وأتلفت أخلاقهم ومزقت روابطهم ، وكان لها فى حياهم العامة والخاصة أسوأ الأثر ، ويعتقدون كذلك أن النظام النيابى ، بل حتى البرلمانى فى غنى عن نظام الأحزاب بصورها الحاضرة فى مصر (مذكرات الدعوة والداعية وكذلك رسائل حسن البنا) .

منهج التغيير عند الإخوان

يذهـــب الـــباحث د. إبراهيم غانم فى كتابه المتميز (الفكر السياسى للإمام حسن البنا) الى أن الفترة من ١٩٣٨ – ١٩٤٨ تعد فترة القفزة الكبرى والتغيير لدى الجماعة وألها شملت مجـــالات عـــدة قام الباحث بتعدادها ، ونذكر منها أن من أبرزها إعداد الجماعة لتكون أداة للـــتغيير قد شملت الجهود التى بذلت فى هذا المجال جانبين أساسيين ، الأول يتعلق ببناء الهيكل التنظـــيمى للجماعة ، والثانى يتعلق بالمضمون الفكرى الحركى الذى قامت عليه عملية تنشئة وتـــربية أعضائها . فبالنسبة للهيكل التنظيمى ، كانت الجهود الخاصة به مستمرة منذ تاريخ تأسيس الجماعة بالإسماعيلية سنة ١٩٢٨ ، ويمكن متابعة تلك الجهود وما صاحبها من تطورات مختلفة فى تكوين الجماعة من خلال سلسلة المؤتمرات التنظيمية العامة التى عقدها ، وقد بلغت ستة مؤتمرات (عُقد المؤتمر الأول بالإسماعيلية فى ٢٢ صفر سنة ١٣٥٢ وبناء على قرارات هذا

المؤتمـــر تم تأليف هيئة مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين لأول مرة ، كما تم وضع أول لائحة للاخوات المسلمات (انظر التفاصيل : مذكرات الدعوة والداعية ، ص١٥٠ ١٦١)، أما المؤتمر الثانى فقد عقد فى بورسعيد بتاريخ ٣ شوال سنة ١٣٥٢ وتعلقت أهم قراراته بنظام العضوية فى الجماعة وبتنظيم عمل مكتب الإرشاد ومجلس الشورى العام (انظر المصدر السابق ص١٦٣-١٦٤) وقد نشرت أعمال المؤتمر كاملة ، وانعقد المؤتمر الثالث بالقاهرة فى ١١ من ذى الحجــة ســنة ١٣٥٢ ، وهــو من أهم المؤتمرات حيث نوقشت فيه موضوعات كثيرة ، وحضره مندوبون عن الإخوان من معظم أقاليم البلاد (لمعرفة تفاصيل أعمال هذا المؤتمر انظر : مذكرات الدعوة والداعية ، ص١٨٢ ٢٠١) ، ثم كان المؤتمر الخامس الذى عقد بالقاهرة فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٥٧ واتخذت فيه مجموعة من القرارات كان أهمها ما اقترحه المؤتمر عــلى مكــتب الإرشاد العام بالإسراع فى تشكيل ثلاثة لجان . الأولى دستورية والثانية علمية والثالثة خاصة بدراسة قضية طرابلس (ليبيا) وتأييد فلسطين ، كما اتخذت فيه قرارات خاصة بإعــادة النظر فى تشكيلات الإخوان الداخلية، أما المؤتمر السادس والأخير الذى عقد فى أيام البنا ، فقد تم عقده بالقاهرة فى يناير سنة ١٩٤١ وفيه تحدث البنا عن وصول دعوة الإخوان الى مختلف الطبقات وتغلغلها فى الأوساط الاجتماعية المختلفة فى وادى النيل وفى بعض الأقطار العربية (انظر التفاصيل : حسن البنا ، المؤتمر السادس ، ضمن مجموعة الرسائل ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨) .

وكــانت هــذه المؤتمــرات - كمــا يقول د. غانم - فى مجملها من أهم الوسائل التى اســتخدمت فى التدريب على التعبئة العامة للأعضاء والأنصار على السواء ، كما كانت من أدوات التنشــئة السياســية خاصــة . فى مجال ممارسة الشورى عملياً ، وقد اتسعت القاعدة الاجتماعية للجماعة خلال فترة الحرب العالمية الثانية بشكل ملحوظ ، وقدر البنا سنة ١٩٤٨م عدد الأعضاء العاملين بنصف مليون عضو تقريباً ، وأشار الى أن الأعضاء المنتسبين والمؤازرين أضــعاف هذا العدد ، وكان أهم ما فى تزايد حجم العضوية بالجماعة هو انتشارها فى الطبقة الوســطى بالمجــتمع بصفة عامة ، وفى أوساط الطلبة بصفة خاصة على نحو ما اتضح بجلاء فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

ودون الدخول فى تحليل الهيكل التنظيمى والإدارى للجماعة فإن الدلالات العامة لتطوره خــلال عقدين من الزمان تحت الإشراف المباشر للبنا يشير الى ثلاثة أمور تتصل – من وجهة نظر غانم – بمنهج التغيير وخطواته العملية :

* أمــا الأمــر الأول : فهــو التأكيد على الممارسة الشورية داخل الجماعة ، وكانت المؤتمرات السالفة الذكر تتيح الفرصة لتلك الممارسة ، ومهما شابها من بعض أوجه القصور – وهو أمر لا تخلو منه أية تجربة فى بدايتها – فلقد كانت تمثل خروجاً وتميزاً عن النمط السائد فى التنظيمات السياسية الحزبية الاخرى التى عرفتها مصر فى تلك الفترة ، إذ كانت –فى أغلبها– لا تعرف الممارسة الديمقراطية لا فى تنظيماتها الداخلية ، ولا عندما كانت تتولى السلطة •

* والأمــر الثانى : هو الاهتمام بالمرأة والقضايا المتعلقة بها ، وقد ظهر هذا الاهتمام منذ الســنوات الأولى لتأسيس الجماعة بالإسماعيلية ، وكان من أجلى مظاهر هذا الاهتمام تكوين لجــنة للأخــوات المسلمات سنة ١٩٣٢ ثم إنشاء مدرسة أمهات المؤمنين فى أبريل ١٩٣٣ وكــانت هــذه المدرسة أول شعبة رسمية للأخوات المسلمات ، وتوالى بعد ذلك تكوين فرق الأخوات حتى صارت بجوار كل شعبة للإخوان شعبة للأخوات ، وقد حرص البنا على إسناد قيــادة التنظيم النسائى بين الأخوات الى مجموعة من الفتيات المثقفات ثقافة دينية ومدنية معاً ومــنهن تألفت الهيئة التأسيسية للأخوات ولجنة الإرشاد العامة لهن ، وقد انصرفت جهودهن أساساً الى مجالات الخدمة الاجتماعية والتربية والتعليم •

والملاحظــة الأساسية التى ترد على التنظيم النسائى بالإخوان هو أنه كان ضعيفاً وبطيء النمو إذا ما قورن بتنظيم الجماعة ككل •

أمــا الامر الثالث ، الذى يشير اليه التطور التنظيمى للإخوان بقيادة البنا فهو تميز جماعة الإخــوان عن سائر التنظيمات السياسية الحزبية الأخرى ، وقد حرص البنا أشد الحرص على تأكيد هذا التميز بوسائل شتى منها : استخدام الرموز والشارات والأناشيد الخاصة بالجماعة ، ومنها أيضاً دعوته الدائمة للإخوان لكى يلتزموا فى حياتهم الخاصــة والعامة بالتعاليم والآداب الإسلامية " فى العادات والملبس والمظهر" ليجسد – بذلك – الرد العملى على اتجاه تقليد نمط الحياة الغربية •

وبالنســبة للمضــمون الفكرى – الحركى لتنشــئة وتربية أعضاء الجماعة ، فقد كان لاســتمداده من منابع الثقافة الإسلامية أثر كبير فى تعميق شعورهم بالتميز عن سائر الهيئات

والتنظيمات السياسية الموجودة فى الساحة آنذاك ، كما كان للسبب نفسه دور كبير فى إثارة حماس الجماعة ودفعها لرفض الأوضاع القائمة التى تمثل - حسب الرؤية الإسلامية - خروجاً - فى جوانب كثيرة منها - على ما يفترضه التصور الإسلامى الصحيح ، وفى مقدمة تلك الأوضاع المرفوضة من هذا المنطلق: وجود الاحتلال الأجنبى من ناحية ، وغياب الحكم الإسلامى من ناحية أخرى ، وكان للبنا إسهام كبير فيها .

النظام الخاص : الجهاز السرى للإخوان

دون الدخول فى تفاصيل النشأة لهذا الجهاز الخاص بالإخوان المسلمين ، والتى يجمع الباحثون على أنها كانت عام ١٩٤٢ (انظر د. عبد العظيم رمضان ود. زكريا سليمان بيومى فى كتبهم الخاصة بالتاريخ لهذه الفترة) ، ودون الدخول فى الدفاع عنه أو الهجوم عليه كما فعل أنصار الإخوان (محمود الصباغ : حقيقة التنظيم الخاص ودوره فى دعوة الإخوان - القاهرة - دار الاعتصام ١٩٨٩) ، فإن ما يهمنا هنا جملة من الحقائق نود تأكيدها :

الحقيقة الأولى : أن هذا الجهاز قد أسس لفكرة الإسلام السياسى المسلح فى تاريخ مصر والمنطقة العربية والإسلامية .

الحقيقة الثانية : أن هذا الجهاز جاء كرد فعل على ممارسات القمع التى مورست تجاه الإخوان من الحكومات الحاكمة وقتها ، وبالتحديد حكومة سرى باشا والتى صادرت أنشطة الجماعة المختلفة بل وحرمانها من الدخول فى الانتخابات والمشاركة فى الفاعليات الاجتماعية .

الحقيقة الثالثة : أن هذا التنظيم الخاص كان يستهدف محاربة بريطانيا فى مصر ومحاربة الكيان الصهيونى فى فلسطين ، ولكنه أخطأ الهدف ، رغم وصول بعض طلائعه الى هناك عام ١٩٤٨ ، والخطأ جاء عندما مارس الاغتيال السياسى تجاه خصوم الإخوان مثل (النقراشى باشا رئيس وزراء مصر) والقاضى أحمد الخازندار .

وبالتوسع قليلاً فى هذا الجانب يفيدنا التاريخ ووثائقه بأن إجراءات القمع التى اتخذتها حكومة سرى باشا ضد جماعة الإخوان ومصادرتها لأنشطتها المختلفة ، قد نجم عنها رد فعل تمثل فى الاتجاه بقوة عكسية نحو العمل السياسى من خلال مؤسسات الحكم القائم كالمشاركة فى الانتخابات والترشيح لعضوية البرلمان ، وكان ذلك فى مطلع الأربعينيات فى ظل ظروف الحرب العالمية الثانية.

وتؤكد المعلومات المتوفرة الآن أن تلك الفترة (مطلع الأربعينيات) شهدت أيضاً نشأة النظام الخاص أو الجهاز السرى ، والأرجح أن تلك النشأة – كما سبق وأشرنا – كانت سنة ١٩٤٢ وأن صاحب الفكرة والمبادرة الى تكوين الجهاز الخاص هو حسن البنا نفسه ، وهو ما تنص عليه رواية الإخوانى الشهير محمود عبد الحليم أحد الذين دعاهم البنا للمساهمة فى وضع اللبنات الأولى للنظام ، وهو يضع تاريخاً مختلفاً لنشأة التنظيم ويقول إنه : " كان فى عام ١٩٤٠ حين دعا (حسن البنا) خمسة منا هم صالح عشماوى وحسن كمال الدين وحامد شريت وعبد العزيز أحمد ومحمود عبد الحليم ، وعرض علينا الدواعى التى رآها تقتضى الاستعداد وإنشاء نظام خاص تواجه الدعوة به مسئوليتها فى المستقبل ، واقتنعنا برأيه فكون منا الخمسة قيادة هذا النظام " .

ومن خلال المذكرات التى كتبها عدد من أعضاء وقادة النظام الخاص سابقاً وأيضاً من خلال عدة لقاءات أجراها الباحث إبراهيم البيومى غانم مع عدد آخر منهم ، يتضح أن الجميع يؤكدون على أن الجهاز الخاص قام بعمليات متتالية بعضها استهدف الوجود البريطانى والبعض الآخر كان من قبيل الاعداد والتجهيز لمواجهة الصهيونية فى فلسطين ، وتصاعدت هذه العمليات بشكل سريع خلال عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ وبدأت تظهر بوادر الخلل الهيكلى فى تنظيم وقيادة الجماعة نظراً لوضع الازدواجية الذى صارت اليه فى ظل وجود قيادة علنية وأخرى سرية تابعة للعلنية ولكنها تمتلك القوة المسلحة ، فاتجه بعض أعضاء الجهاز الخاص لتنفيذ عمليات اغتيال ضد بعض الشخصيات والمسئولين الحكوميين (مثل القاضى أحمد الخازندار ورئيس الوزراء محمود النقراشى) ويشير د. ابراهيم البيومى غانم فى كتابه الى أن البنا قد استنكر وقوع مثل هذه الحوادث وأدانها فى حينه . كما أدان الذين قاموا بها الى درجة اعتبرهم لا يمتون الى الإخوان المسلمين بصلة ، ورغم ذلك فقد ألحقت التهم بالجماعة ككل وأصدر النقراشى – قبيل اغتياله – قراراً عسكرياً بحل الجماعة استند فيه الى تلك الأعمال التى نظر اليها على أنها كانت تستهدف قلب نظام الحكم بالقوة .

ولقد فند البنا – وفقاً لغانم – كافة الاتهامات التى ألصقت بجماعته ، والتى تدينها بالعمل على قلب نظام الحكم بالقوة ، وأعاد التأكيد على ما سبق أن ذكره مراراً وتكراراً من (أن العنف ليس من وسائل الإخوان وأن وسائلهم ظاهرة معروفة ، فهذه المحاضرات والدروس والرسائل والصحف والأندية والدور والمساجد والمنشآت ناطقة بأن وسائل هيئة الإخوان المسلمين لم تتعارض مع القانون فى يوم من الأيام) .

وبالرغم من أن الوثائق الموجودة عن سنة ١٩٤٨ تبين بوضوح أن الإخوان كانوا يحملون قدراً كبيراً من السخط على النظام القائم ، كما تبين أنهم قد وصلوا الى درجة كبيرة من القوة – مقارنة بالقوى السياسية الأخرى – حتى أن البنا نفسه صار يؤكد على أنهم يعبرون عن الشعب المصرى بل عن الأمة العربية والإسلامية ، رغم كل ذلك إلا أنه لم يثبت – من وجهة نظر د. غانم – بشكل جازم أن الجماعة كانت تدبر للإطاحة بالحكومة المصرية ، وهو ما أكده أيضاً حكم هيئة المحكمة فى القضية الشهيرة بقضية السيارة الجيب .

إلا أن محمد حسنين هيكل يختلف مع هذا الرأى ويرى فى كتابه (خريف الغضب) أن حسن البنا كان واعياً بالمخاطر التى تحيط به ، كما انه كان يعرف ان هناك قوى كثيرة ترغب فى تصفية حركته أو استيعابها ، وهكذا فإنه أنشأ جناحاً سرياً من الإخوان المسلمين أطلق عليه اسم النظام الخاص ، وتم تسليح هذا النظام الخاص وتدريبه ليصبح قوة قادرة على الضرب والردع ، ولقد كان الشيخ حسن البنا – وبعض أنصاره – يقولون إن هذا النظام الخاص بتدريبه وتسليحه ، يعد لمواجهة قوة الاحتلال ، ولكن الواضح أن هذا النظام الخاص كان يُعد للعمل الداخلى ، فلم يكن حجمه أفراداً وسلاحاً وتدريباً قادراً على أن يمثل أى تحد حقيقى لقوات الاحتلال البريطانى ، ولقد أحيط (النظام الخاص) بطقوس غامضة تؤكد بدورها غموض أهدافه ، فقد كان الجاهزين للانضمام له يؤخذون لكى يحلفوا يمين السمع والطاعة للمرشد العام داخل غرفة مظلمة وعلى مصحف ومسدس ، وبعدها يصبحون على استعداد لتنفيذ أى أمر مهما كان دون مساءلة أو تردد ، وفى ظروف الفوران السياسى التى سبقت حرب فلسطين وما اكتنفها من تحركات ومناورات ، فإن التنظيم العام للإخوان المسلمين بدأ يضعف بينما كان النظام الخاص يحتفظ بعنفه وصلابته ، ولقد قام أفراد هذا النظام بهجمات إرهابية على بعض المواقع التى تصوروها رموزاً للانحراف ، فألقيت قنابل على بعض دور السينما والمحلات الأجنبية والنوادى الليلية وما شابهها ، وفى مارس ١٩٤٨ ضرب النظام الخاص أول ضربة عشوائية تثير القلق ، ففى هذا الشهر أصدر أحد القضاة فى مصر ، وهو المستشار أحمد الخازندار أحكاماً بالسجن على بعض الذين ثبت عليهم القيام بهذه الأعمال الإرهابية ، وإذا بالنظام الخاص يقرر اغتيال المستشار الخازندار ويقتله فعلاً أمام بيته ، وتصاعدت المواجهة بين الإخوان المسلمين والحكومة ، وقرر محمود فهمى النقراشى باشا – رئيس الوزراء فى ذلك

الوقـت – حـل جماعة الإخوان المسلمين لأنها تمثل فى رأيه خطراً على النظام العام فى مصر ، وصدر أمر الحل يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، وتبعه أمر آخر بمصادرة كل أموالها وممتلكاتها ، وبعد ثلاثـة أسـابيع من هذا القرار جرى اغتيال النقراشى باشا فى مدخل وزارة الداخلية بواسطة شاب من أعضاء التنظيم الخاص تنكر فى زى ضابط بوليس •

كـان حسن البنا – فيما يبدو – قد أحل اغتيال النقراشى ، لكنه لم يلبث أن غير رأيه مدركاً ان اغتيال رئيس الوزراء أمر أخطر من أن يمضى بغير عقاب ، ولعله تصور ان العقاب يمكـن أن يناله شخصياً ، وبتدبير سلطات لا يقوى على مواجهتها ، لكن تغييره لرأيه جاء – كما يقول هيكل – متأخراً ، فلقد مضى النظام الخاص فى خطته ونفذ بنجاح عملية الاغتيال ، وتـولى رئاسة الوزارة إبراهيم عبد الهادى باشا ، وكان حسن البنا يشعر بالحلقة حوله تضيق يومـاً بعد يوم ، ولقد حاول ان يتنصل من مسئولية الاغتيال ، ومضى أكثر حين أصدر بياناً بإدانـتها ، وكان عنوان بيانه الشهير فى ذلك الوقت هو " ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين " ، يقصد بذلك من قاموا بالاغتيال ، ولم يكن ذلك كله كافياً لإنقاذه ، فقد رتب رئيس الوزراء بالتعاون مع القصر والإنجليز ضربة انتقام وجهت الى حسن البنا ذاته ، وعهد الى القائد الخاص بحـرس الحكومـة بمهمة اغتيال البنا ، واستعان الضابط الكبير المكلف بالاغتيال ، وكان اسمه القائمقام محمد وصفى – باثنين من جنود وزارة الداخلية جىء بهما من صعيد مصر ، وأعطيا السـلاح الـلازم ، وقاما بالفعل بضرب البنا بالرصاص أثناء خروجه من مبنى جماعة الإخوان المسـلمين فى السـاعة التاسعة من مساء يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ لم يكن ابراهيم عبد الهادى والقصـر والإنجليز معه ، مستعدين للمساومة ، وتعرض الإخوان المسلمون – وفقاً لهيكل – لاضطهاد لا حـدود له لازال مستمراً حتى يومنا هذا رغـم انفراجة الديمقراطية التى تعيشها مصر •

شهادات فى حق البنا

لا يكتمل هذا الجزء من البحث عن (حسن البنا) وما قام به من عمل كبير وهام ، تمثل فى تأسـيس أكبر جماعة إسلامية سياسية معاصرة دون تأمل لشهادات عدد من رموز الإسلام السياسى التى كان لها هى أيضاً دورها وتأثيرها الفعال فى بلاد العرب والإسلام •

تـــرى كيـــف رأى (سيد قطب) سيد الدعاة للإسلام السياسى المسلح ، وأبو الحسن الـــندوى (شـــهادة آســـيوية خـــارج نطـــاق المنطقة العربية) وأحد أبرز منظرى هذا الاتجاه الإسلامى ٠٠ كيف رأيا حسن البنا ، وتجربته ؟

شهادة سيد قطب

يقـــول الشـــهيد سيد قطب عن الشهيد حسن البنا : " فى بعض الأحيان تبدو المصادفة العابـــرة كأنها قدر ومقدور ، وحكمة مدبرة فى كتاب مسطور ٠٠ حسن البنا ٠٠ إنها مجرد مصـــادفة أن يكون هذا لقبه ، ولكن من يقول : إنها مصادفة ؟ . والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هى البناء ، وإحسان البناء ، بل عبقرية البناء ؟

لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثيراً من الدعاة ٠٠ ولكن الدعاية غير البناء ٠٠ وما كل داعية يملك أن يكون بنَّاء ، وما كل بنَّاء يوهب هذه العبقرية الضخمة فى البناء ٠

هـــذا البناء الضخم ٠٠ الإخوان المسلمون ٠٠ أنه مظهر هذه العبقرية الضخمة فى بناء الجماعات ٠٠ إنهم ليسوا مجرد مجموعة من الناس ، استجاش الداعية وجداناهم ، فالتفوا حول عقيـــدة ٠٠ إن عـــبقرية البـــناء تبدو فى كل خطوة من خطوات التنظيم ٠٠ من الأسرة الى الشعبة ، الى المنطقة الى المركز الإدارى الى الهيئة التأسيسية الى مكتب الإرشاد ٠

هـــذا من ناحية الشكل الخارجى ، وهو أقل مظاهر هذه العبقرية ، ولكن البناء الداخلى لهـــذه الجماعة أدق وأحكم ، وأكثر دلالة على عبقرية التنظيم والبناء ٠٠ البناء الروحى ٠٠ هـــذا الـــنظام الـــذى يربط أفراد الأسرة وأفراد الكتيبة وأفراد الشعبة ٠٠ هذه الدراسات المشـــتركة والصـــلوات المشتركة ، والتوجيهات المشتركة ، الرحلات المشتركة والمعسكرات المشـــتركة ، وفى النهاية هذه المشاعر المشتركة والاستجابات المشتركة التى تجعل نظام الجماعة عقيدة تعمل فى داخل النفس ، قبل أن تكون تعليمات وأوامر ونظماً ٠

والعـــبقرية فى استخدام طاقة الأفراد ، طاقة المجموعات ، فى نشاط لا يدع فى نفوسهم ولا يدعهم يلتفتون هنا أو هنالك يبحثون عما يملأون به الفراغ ٠٠ إن مجرد استثارة الوجدان الدينى لا تكفى ٠٠ وإذا قصر الداعية همه على هذه الاستثارة فإنه سينتهى بالشباب خاصة الى نوع من الهوس الدينى ، الذى لا يبنى شيئاً ، وإن مجرد الدراسة العلمية للعقيدة لا تكفى ، إذا قصر الداعية همه على هذه الدراسة ، فإنه سينتهى الى تجفيف الينابيع الروحية التى تكسب هذه

الدراسة نداوتها وحرارتها وخصوبتها ، وإن مجرد استثارة الوجدان والدراسة معا لا يستغرقان الطاقة ، فستبقى هنالك طاقة عضلية ، وطاقة عملية ، وطاقة فطرية أخرى فى الكسب والمتاع والشهوة والعمل والقتال .

وقـد استطاع حسن البنا أن يفكر فى هذا كله ، فيجعل نشاط الأخ المسلم يمتد – وهو يعمـل فى نطـاق الجماعة – الى هذه المجالات كلها ، بحكم نظام الجماعة ذاته ، وأن يستنفد الطاقـات الفطرية كلها ، فى أثناء العمل للجماعة ، وفى مجال بناء الجماعة ، استطاع ذلك فى نظـام الكـتائب ، ونظام المعسكرات ، ونظام الشركات الإخوانية ، ونظام الدعاة ، ونظام الفدائيـين ، الذين شهدت معارك فلسطين ، ومعارك القنال نماذج من آثاره ، تشهد بالعبقرية لذلك النظام ، عبقرية البناء فى تجميع الأنماط من النفوس ، ومن العقليات ومن الأعمار ، ومن البيـئات .. تجميعهـا كلها فى بناء واحد ، كما تتجمع النغمات المختلفة فى اللحن العبقرى وطـبعها كلها بطابع واحد يعرفون به جميعاً ، ودفعها كلها فى اتجاه واحد على تباين المشاعر والإدراكات والأعمار والأوساط ، فى ربع قرن من الزمان .

ترى أكانت مصادفة عابرة أن يكون هذا لقبه ؟ أو أنها الإرادة العليا التى تنسق فى كتابها المسطور بين أصغر المصادفات وأكبر المقدورات فى توافق واتساق ؟

ويمضـى حسـن البنا الى جوار ربه ، يمضى وقد استكمل البناء أسسه ، يمضى فيكون استشهاده على النحـو الـذى أريـد له : عملية جديدة من عمليات البناء .. عملية تعميق للأسـاس ، وتقوية الجدران ، وما كانت ألف خطبة وخطبة ، ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهب الدعوة فى نفوس الإخوان ، كما ألهبتها قطرات الدم الذكى المراق .

إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع ، حتى إذا متنا فى سبيلها دبت فيها الروح وكتبت لها الحياة . وحينما سلط الطغاة الأقزام الحديد والنار على الإخوان ، كان الوقت قد فات ، كان البناء الذى أسسه حسن البنا قد استطال على الهدم ، وتعمق على الاجتثاث وكان قد استحال فكرة لا يهدمها الحديد والنار .

إنها عبقرية البناء ، تمتد بعد ذهاب البنّاء .

الـنص الكـامل نقلاً عن (دراسات إسلامية لسيد قطب . أجزاء من مقال (حسن البنا وعبقرية البناء ص٢٢٥ – ٢٢٨)

شهادة أبى الحسن الندوى

يقول الندوى فى شهادته : [إن الذى عرف الشرق العربى الإسلامى فى فجر القرن العشرين ، وعرف بصفة خاصة ما أصيب به هذا الجزء الحساس الرئيسى من جسم العالم الإسلامى من ضعف فى العقيدة والعاطفة ، والأخلاق والاجتماع ، والإرادة والعزم والقلب والجسم ، وعرف الرواسب التى تركها حكم المماليك وحكم الأتراك وحكم الأسرة الخديوية، وما زاد اليها الحاكم الأجنبى الإنجليزى ، وما جلبته المدنية الإفرنجية المادية والتعليم العصرى اللاديني ، والسياسة الحزبية النفعية ، ومازاد هذا الطين بلة من ضعف العلماء وخضوعهم للمادة والسلطة ، وتنازل أكثرهم عن منصب الإمامة والتوجيه ، وانسحابهم عن ميدان الدعوة والإرشاد ، والكفاح والجهاد ، واستسلامهم للأمر الواقع وخفوت صوت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

إن كل من عرف ذلك عن كثب لا عن كتب وعاش متصلاً به ، عرف فضل هذه الشخصية التى قفزت الى الوجود ، وفاجأت مصر ثم العالم العربى والإسلامى كله بدعوتها وتربيتها وجهادها . حسن البنا الذى امتلك قوة نافذة ، جمع الله فيها مواهب وطاقات ، قد تبدو متناقضة فى عين كثير من علماء النفس والأخلاق ، ومن المؤرخين والناقدين : هى العقل الهائل النير ، والفهم المشرق الواسع ، والعاطفة القوية الجياشة ، والقلب المبارك الفياض ، والروح المشبوبة النضرة ، واللسان الذرب البليغ ، والزهد والقناعة - دون عنت - فى الحياة الفردية ، والحرص وبعد الهمة - دونما كلل - فى سبيل نشر الدعوة والمبدأ ، والنفس الولوعة الطموح ، والهمة السامقة الوثابة ، والنظر النافذ البعيد ، والإباء والغيرة على الدعوة ، والتواضع فى كل ما يخص النفس ، تواضعاً يكاد يجمع الشهادة عارفوه ، حتى لكأنه - كما حدثنا كثير منهم - مثل رفيف الضياء : لا ثقل ولا ظل ولا غشاوة . وقد تعاونت هذه الصفات والمواهب فى تكوين قيادة دينية اجتماعية ، لم يعرف العالم العربى وما وراءه قيادة دينية إسلامية أقوى وأعمق تأثيراً وأكثر إنتاجاً منها منذ قرون ، وفى تكوين حركة إسلامية يندر أن تجد - فى دنيا العرب خاصة - حركة أوسع نطاقاً وأعظم نشاطاً ، وأكبر نفوذاً وأعظم تغلغلاً فى أحشاء المجتمع وأكثر استحواذاً على النفوس منها .

وقد تجلت عبقرية الداعى (حسن البنا) مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها - فى ناحيتين خاصتين لا يشاركه فيهما إلا القليل النادر من الدعاة والمربين والزعماء والمصلحين .

أولاهما : شــغفه بدعوته وإيمانه واقتناعه بها وتفانيه فيها وانقطاعه اليها بجميع مواهبه وطاقاته ووسائله ، وذلك هو الشرط الأساسي والسمة الرئيسية للدعاة والقادة الذين يجرى الله على أيديهم الخير الكثير ٠

والـناحية الـثانية : تــأثيره العميــق فى نفوس أصحابه وتلاميذه ، ونجاحه المدهش فى الــتربية والإنتاج : فقد كان منشىء جيل ، ومربى شعب ، وصاحب مدرسة علمية فكرية خــلقية ، وقــد أثر فى ميول من اتصل به من المتعلمين والعاملين ، وفى أذواقهم ، وفى مناهج تفكيرهم ٠٠ (جاءت هذه الشهادة فى تقديم كتاب مذكرات الدعوة والداعية للشيخ حسن البنا) ٠

* * *

هذه الشهادات وغيرها تؤكد ملامح التميز فى شخصية الشيخ حسن البنا ، الذى كان لاستشــهاده - مثلما كان لحياته - دور فعال فى تنشيط تيار الإسلام السياسى ، الذى كان على أبواب مرحلة انتقالية هامة فى تاريخ المنطقة العربية ، وبلد المنشأ للجماعة (مصر) ، حين كانت ثورة عبد الناصر تطرق الأبواب ، وحين كان المشروع الصهيونى يبدأ دورة اكتماله بعد إعــلان دولته فى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، فى فلسطين ، التى ستصبح فيما بعد هى قطب الرحى بالنسبة لحركات الإسلام السياسى العربية وغير العربية .

* * *

الفصل الخامس

الإسلام السياسى من البيات الشتوى فى الستينيات إلى صحوة الفجر العنيف فى السبعينيات

كانت الفترة من ١٩٥٢ ١٩٧٠ ، فترة كمون وبيات شتوى إذا جاز التعبير لتيارات الإسلام السياسى على امتداد المنطقة العربية والإسلامية ، ربما يعود ذلك الى ثورات العسكر وانقلاباقم التى تخلصت من الاستعمار وأجلت الى حد كبير تناقضات الداخل وثوراته، بل وصادر بعضها على قوى التغيير وأودع أغلبها سجونه ، وجفف بعضها منابعها ، ايماناً منه بأنه كى تقتل (الناموس والذباب) - على اعتبار نظرقم الى معارضيهم - لا تصلح أدوات الرش (والمبيدات) بل لابد من تجفيف المستنقع بالكامل هكذا يرى بعض أعداء الإسلام السياسى من الحكام وتابعيهم من المثقفين ؛ وجاءت السبعينيات ، وقد أخفقت أغلب مشاريع الاستقلال . بل وانكسر بعضها انكساراً حاداً مثلما حدث مع مشروع جمال عبد الناصر إثر هزيمة ١٩٦٧ الفادحة ، والتى حاول عباقرة التزييف السياسى أن يخففا منها ومن آثارها فأسموها (نكسة) بدلاً من هزيمة !!

* جاءت السبعينيات وخروج المارد من القمقم ، وبدأ يبحث لنفسه عن موضع قدم داخل خريطة الوطن ، ذلك الوطن الذى لفظه ، وسجنه ، وحاربه ، خرج المارد الإسلامى السياسى، متمثلاً فى جماعات إحياء وثورة وعنف ، أرادت أن ترفض وتحتج على أوضاع اقتصادية وسياسية وحضارية شديدة الظلم فثارت ، وشاب ثورقما ، غضب ، وعشوائية فى الفعل ، فانحرفت بالإسلام الذى تحمله كراية ، مُؤسسة لفقه العنف والغلو فى الإسلام خلال هذه الحقبة التاريخية ، وفى هذا الجزء من البحث الذى سنخصصه عن مصر السبعينيات سوف نبحث عن أسباب الإحياء والغضب أو الثورة لدى قوى الإسلام السياسى من إخوان مسلمين الى جماعات إسلامية متشددة (الجهاد - التكفير - الجماعة الإسلامية) وكيف ولماذا ركز الإخوان على

الــريف والأوســاط الــبرجوازية الصغيرة فى حين انطلقت لجماعات الى الهوامش والفقراء لتجيشهم وتمذهبهم بمذهب العنف والثورة ؟ .

* * *

إن قضية الإحياء الإسلامى فى مصر خلال حقبة السبعينيات لا تنفصل من وجهة نظرنا عن مسار حركة الإحياء الإسلامى فى مجمل أنحاء العالم الإسلامى بوجه عام وعن مسار حركة الإحياء الإسلامى فى مصر منذ نحو مائتى عام مضت بوجه خاص ، فلقد عرف المجتمع المصرى هذه القضية مع أوائل القرن التاسع عشر ، وتحديداً مع قدوم الحملة الفرنسية الى مصر من عام (١٧٩٨ ١٨٠١) وبدء المواجهة مع النموذج الغربى سياسياً وعسكرياً وعلمياً كما سبق وذكرنا فى الأجزاء السابقة .

ومع تزايد التحدى الأوروبى ممثلاً فى الوجود البريطانى العسكرى والسياسى داخل مصر تــنوعت ردود الفعل وتباينت ، على المستويين الفكرى والعملى ، ومع مجىء ثورة ٢٣ يوليو تميــز إدراك القيــادة السياســية فى مصــر إبان الفترة (١٩٥٢ - ١٩٧٠) وتحديداً إدراك عــبد الناصر ، باعتباره قمة هذه القيادة بوحدة الإدراك تجاه العلاقة بين الدين والدولة وباقى تفريعات الإحياء الإسلامى وإن اختلفت أساليب ومستويات طرحها وفقاً للتطورات السياسية الاجتماعية التى واجهها المجتمع داخلياً وخارجياً وتميز الإدراك الناصرى برؤية توظيفية للإسلام السياســى مــن خــلال الوعى بالوظيفة الاجتماعية للدين وبدوره فى قضايا التنمية والتعبئة السياسية والقومية العربية والصراع الخارجى.

أما بالنسبة للمستوى التطبيقى فإن سلوك النظام السياسى تجاه جماعة الإخوان المسلمين كممثل حى لحركة الإسلام السياسى وقتئذ من خلال أحداث صدامى ١٩٥٤و١٩٦٥ يؤكد سيطرة أسلوب المواجهة المباشرة ، حيث كان التحرك يأتى دائماً من جانب الإخوان أولا قبل تحرك النظام ، وحيث المتغيرات والأوضاع الداخلية والخارجية المحيطة بالنظام السياسى وقتئذ ، لم تكن لتســمح له بأن يخلق تفجيراً وعدم استقرار قد يخسر كثيراً ، والملاحظ أن الصدامين فى المحصلة الأخيرة كانا فى غير صالح طرفى العلاقة ، عبد الناصر والإخوان المسلمين ، حيث خسر عبد الناصر عنصراً هاماً على مستوى الجبهة الداخلية بشكل لم يدركه إلا مع هزيمة ١٩٦٧ ،

وإن كـان كسـب كثيراً إبان الأزمة وخاصة صدام ١٩٥٤ ، أما الإخوان فإنهم فقدوا على المسـتوى الذاتـى عديداً من القيادات المؤثرة فى الهيكل التنظيمى للجماعة ، وعلى المستوى القومى فقدوا بشكل نسبى ولاء الجماهير نتيجة سلوكهم السياسى من ناحية ، وما تعـرضوا له من تعذيب بدنى فى السجون والذى ولد خوفاً يمتزج بالتعاطف المشاعرى لدى الجماهير من العاقبة المنتظرة إن هم سلكوا ذات المنحى . هذا من ناحية أخرى .

أما بالنسبة لعلاقة النظام السياسى بالمؤسسات الدينية الرسمية كالأزهر والطرق الصوفية ، والمحـاكم الشرعية والمجالس الملية القبطية ، وغيرها فلقد تميزت بسيطرة ثلاث سمات أساسية على مدركاته وسلوكه تجاهها :

أولها : سمة الإلغاء أو التطوير لمؤسسات قائمة كالأزهر الذى قام بتطويره وإعادة تنظيم دوره السياسـى والاجـتماعى الدينى وفق القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ أما الإلغاء فكان الـنموذج الأكثر وضوحاً هو إلغاء التقاضى أمام المحاكم الشرعية والمجالس الملية القبطية وفق القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ .

وثانيتها : هـى إنشاء مؤسسات جديدة : كالمؤتمر الإسلامى والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وثالثتها : هـى التوجيه السياسى لمؤسسات قائمة بالفعل كالطرق الصوفية ، ، ولقد سـيطر على النظام تجاه هذه الأساليب الثلاثة اقتناع مؤداه ضرورة مواكبة المؤسسات الدينية الـرسمية لعمـليات التنمية والتطور الاجتماعى والسياسى التى يعيشها المجتمع المصرى ، وهو ما حدث أيضاً مع قضايا مثل التعليم والمرأة وقوانين الأحوال الشخصية .

هـذا عـن الملامح العامة لقضية الإحياء الإسلامى والإسلام السياسى فى مجال علاقتها بالـنظام السياسى وبالمجتمع خلال الفترة السابقة على عام ١٩٧٠ أما الفترة التالية لهذا العام وحـتى اغـتيال السادات عام ١٩٨١ فقد تميزت بتصاعد حاد فى مستويات وأبعاد وحجم الحـركة الإسلامية ذات التوجهات السياسية ، والتى سنقصر عليها التحليل دون التطرق الى المؤسسات الدينية الرسمية التى لم تشـارك بقوة فى حركة الإحياء السـياسى الدينى خاصة إذا

مـــا فمهت هذه الحركة بمعنى البعث الإسلامى من خلال آليات الصدام مع السلطة ، والقوى العـــلمانية على اختلافها ، وسنذكر تلك المؤسسات فى السياق الذى يحتاجه البحث ، وأيضاً لكونـــنا ننظر الى حركات الإسلام السياسى باعتبارها حركة اجتماعية تهدف الى تغيير النظم الاجتماعية السائدة . سواء من خلال إصلاحها من الداخل مثل الإخوان المسلمين ، أو تغييرها كـــلية مثل (الجهاد الإسلامى) ، إن حركات الإسلام السياسى هنا تعد تطبيقاً حياً للحركات الاجـــتماعية الديـــنية ، وحـــركات الإحياء ، والحركات الثورية التى ترمى الى تغيير النظام الاجـــتماعى الســـائد ، من هنا فإن هذا الجزء من الدراسة يتجه الى معالجة الإحياء الإسلامى والسياســـى فى السبعينيات داخل المجتمع المصرى كنموذج للمجتمعات العربية والإسلامية من خـــلال بروز حركة الإسلام السياسى الى الحد الذى وصل الى اغتيالها رئيس الجمهورية ذاته (أنور السادات) .

عوامل الغضب الإسلامى

تـــنوعت الـــرؤية بالنسبة للعوامل المؤدية للإحياء السياسى الإسلامى الغاضب فى مصر خلال حقبة السبعينيات تماماً مثلما تنوعت بالنسبة لباقى أجزاء العالم الإسلامى .

فمـــن كـــتابات تـــرجعها الى إخفاق قوى المعارضة غير الإسلامية فى اكتساب قاعدة جماهيريـــة ، الى جـــانب فشل الأيديولوجيات العلمانية – كما سبق الإشارة – فى التوفيق بين القيم الإسلامية وعمليات التحديث ، ومن كتابات ترجعها الى عنف وبشاعة التعذيب الجسدى الذى تعـــرض له الشباب المسلم بعد عام ١٩٦٥ عام الصدام الثانى بين عبد الناصر والإخوان المسلمين ، وعندما خرجوا فى السبعينيات كانت آثار التعذيب واضحة على تعبيراتهم الفكرية وعـــلى مجمل مقولاتهم ، وظهرت لأول مرة مقولات تكفير الحاكم والنظام السياسى القائم ، وأحياناً المجتمع كله .

ومـــن دراســـات أخرى ترجع القضية الى الانفتاح الاقتصادى وما ترتب عليه من آثار سياســـية واجـــتماعية ونفسية أدت الى حالة من الاغتراب الفكرى والاجتماعى لدى شرائح عديـــدة مـــن الشـــباب هى نفسها التى قامت بالإحياء وتحركت صوب الإسلام وصوب قيم

الإيمان بنفس القوة والعنف التى كان يتحرك بها النظام السياسى والمجتمع صوب الانفتاح على الغرب .

ومن دراسات ثالثة ترى التعذيب والعنف الذى مورس على بعض قوى الإسلام السياسى وتغرب القيادات السياسية وفقدان القدوة أسباباً لصعود حركة الإحياء الإسلامى ، وغيرها من الدراسات التى أرجعت القضية الى أسباب عديدة إقليمية ودولية ، وفى ضوء هذه التفسيرات المختلفة للقضية فإننا سوف نوجز الحديث عن العوامل المؤدية اليها فى المحاور التالية :

أولاً : العوامل التاريخية : جذور الإسلام السياسى .

ثانياً : العوامل الاقتصادية والسياسية .

أولاً : العوامل التاريخية : جذور الإسلام السياسى فى مصر

إن قضـــية مـــثل الاحياء الإسلامى فى السبعينيات لا يصلح التحليل المجزأ للإلمام بكافة جوانبها ، ويزداد الأمر صعوبة إذا ما انسحب الحديث على مجتمع كالمجتمع المصرى ذى طبيعة خاصة ومعقدة فى عناصرها ، ويلعب الدين فيها دوراً أساسياً فى تشكيل الحياة والقيم والمفاهيم مـــنذ عهد الفراعنة وحتى اليوم ، ويمكن تحديد تلك العوامل فى ثلاثة رئيسية هى (١) خاصية الـــتدين تاريخيـــاً (٢) التواصـــل بين تنظيمات العنف داخل الحركة الإسلامية (٣) كتابات أبـــو الأعـــلى المـــودودى وسيد قطب كعامل فكرى / تاريخى للإحياء الإسلامى الغاضب ، وبتفصيل هذه العوامل يستبين ما يلى :

خاصية الـتدين عند الشعب المصرى والعربى : على الرغم من أن الديانة الرسمية للدولة أيام الفراعنة كانت ديانة ترتبط بالملك الى حد بعيد ، فالملك هو الذى يستطيع أن يرى الإلـــه ، والمـــلك هـــو وحده الذى يستطيع أن يتحدث الى الإله ويقوم على خدمته وعبادته ويستشـــيره ، ولـــما كـــان الملك يعتبر من صلب الإله فهو ابنه وهو نائبه وهو الذى يعبر عن مشيئته ، وهو الذى يتمتع بالامتيازات والنعم الإلهية ، أى أن المشيئة الإلهية صارت هى المشيئة المـــلكية ، بالتالى صار الملك الإله معصوماً لا يجرؤ أحد على عصيانه خشية الحرمان من الحياة ليـــس فقـــط فى عالمنا فى الدنيا بل فى العالم الآخر ، وعن طريق الملك انتقلت بعض هذه النعم

والامتيازات الى الأمراء ونواب الملك والكهنة الذين سيقومون على خدمة الملك وتنفيذ أوامره وتعليماته ، على الرغم من كل ذلك فإنه يجب أن نوضح أيضاً أن الشعوب القديمة كانت تعتقد اعـتقاداً جازماً فى هذه الآلهة ويحترمون رغباتها ويعملون على إرضائها خشية أذاها ، وان هذه الآلهة هى التى وضعت القوانين الأخلاقية التى يجب أن تطاع حتى لا يهلك الانسان . بل كان كل إنسان يدعى أنه لم يرتكب إثماً حتى ينجو من العقاب أو الفناء التام .

وفى العصر المسيحى اتجه الشعب المصرى الى الديانة المسيحية كديانة توحيد تفرض نوعاً مـن القيم والأخلاقيات فى نطاق تعامل الفرد مع المجتمع ومع الحاكم ، ولقد بدأت المسيحية فى الإسـكندرية ثم انتشـرت مـنها الى مختلف أنحاء مصر رغم الاضطهاد الذى مورس على معتنقيها من قبل الحكام البيزنطيين ، ومع عام ٣١٣م تغير الوضع باعتناق الإمبراطور الرومانى قسطنطين المسيحية ، مما أدى الى تحول الكثيرين من سكان مصر اليها وتركوا ديانتهم القديمة ، وفى عام ٣٨٠م اعتبرت المسيحية ديناً رسمياً لمصر ، ولقد ساعد على انتشار المسيحية فى مصر كره المصريين للحكم الرومانى ، عدو المسيحية فى بداية انتشارها ، فضلاً عن أن المسيحية كان لهـا شـبه كـبير بعبادة إيزيس وأوزوريس ، وحورس فى الموروث الفرعونى المصرى ، وجاء الإسلام فاتحاً فدخل فيه طواعية الشعب المصرى الذى امتاز – مثل غالبية الشعوب العربية – بخاصية التدين الفطرى التى استمرت حتى يومنا هذا .

خريطة العنف الإسلامى

بوجه عام يمكن رصد عدد من الحقائق بشأن التنظيمات القائلة بالعنف المسلح فى مواجهة النظام السياسى كوسيلة أساسية لنشر دعوتها ورسالتها الإسلامية التى تعتقدها منذ الأربعينيات من القرن الماضى حتى نهاية سبعينيات هذا القرن :

أ – باسـتثناء ، انشـقاق " شباب محمد " عن جماعة الإخوان المسلمين فى الأربعينيات وانتهاجهم لأسلوب العنف وإنشاء الجهاز الخاص للإخوان عام ١٩٤٠ والذى فصلنا دوره فى الأربعـينيات وحـادث المنشـية الخاص بمحاولة اغتيال عبد الناصر ، لم يرد استخدام العنف المقصود مع السلطة لدى الجهاز الخاص لتنظيم الإخوان المسلمين حتى عام ١٩٥٨ تقريباً .

ب - فى عـــام ١٩٥٨ ظهر الشاب المسلم نبيل البرعى الذى خرج من جماعة الإخوان مـــن داخل السجون ، وطالب بالعنف المسلح ، واتخذ من أفكار ابن تيمية منهاجاً للحركة ، وفـيما بعــد انضــم اليــه كل من إسماعيل الطنطاوى ، محمد عبد العزيز الشرقاوى ، أيمن الظواهرى ، حسن الهلاوى ، علوى مصطفى ، وأصبح إسماعيل الطنطاوى قائدا لهذه المجموعة نظراً لإمكاناته الفكرية .

جـ - فى عام ١٩٧٣ انشق علوى مصطفى ومعه بعض أعضاء التنظيم وأقاموا تنظيماً جديــداً سمى (بتنظيم الجهاد) وقرر الدخول فى حرب مع اليهود على حدود القناة وانضم اليه المـــلازم عصام القمرى (الذى أصبح فيما بعد من أبرز وأخطر عناصر جماعة الجهاد الإسلامى الذى قاد عملية اغتيال السادات فى عام ١٩٨١ثم قتل هو ذاته فى الثمانينيات فى عملية هروب من السجن سميت بالهروب الكبير .

د - فى نفس العام تقريباً أنشأ الدكتور صالح سرية تنظيمه الذى عرف فيما بعد بتنظيم الفـــنية العسكرية ، وانضم اليه من العناصر القديمة (حسن الهلاوى) الذى كان يقود مجموعة الجيزة فى التنظيم القديم ، وقد أعدم الدكتور سرية عام ١٩٧٥ بعد اتهامه بمحاولة قلب نظام الحكم .

هـــــ - فى عـــام ١٩٧٥ أنشأ وكيل نيابة ذو اتجاهات إسلامية يدعى يحيى هاشم ضم حوالى ٣٠٠ عضو من الإسكندرية حاول بهم اقتحام السجن الموجود به الدكتور صالح سرية وزملاؤه إلا أنه فشل وقتل فى الاشتباك يحيى هاشم نفســه الذى كان يعتنق أفكار الدكتور صالح سرية ، الداعية الى الجهاد المسلح ضد الحاكم .

و - وفى عام ١٩٧٧ ظهر للوجود تنظيم التكفير والهجرة لشكرى أحمد مصطفى الذى أعــدم عـــام ١٩٧٨ وبين عامى ١٩٧٧ ١٩٧٩ أنشأ شاب مسلم يدعى مصطفى يسرى تنظيماً مسلحاً فى القاهرة ، وقد تم اعتقاله وتصفية تنظيمه عام ١٩٧٩ .

ز - عام ١٩٧٩ تكونت جماعة الجهاد الإسلامى من ثلاث مجموعات :

الأولى : بقيادة محمد عبد السلام فرج وعبود الزمر .

الثانية : بالوجه القبلي بقيادة ناجح ابراهيم وكرم زهدى وفؤاد الدواليبى .

الثالثة : بقيادة سالم الرحال الأردني الجنسية وتولى كمال السعيد حبيب (خريج كلية الاقتصاد والعلوم السياسية عام ١٩٧٩) القيادة خلفاً له بعد ترحيله الى الأردن ، وكان من نصيب جماعة الجهاد اغتيال السادات عام ١٩٨١ ومعه ١٠٠ قيادة أمنية وسياسية مصرية واصابة ٢٠٠ قيادة آخرى .

ثورية سيد قطب والمودودى

كان لرؤية المفكر الإسلامى أبي الأعلى المودودى الباكستانى الأصل تأثيرها الفعال فى بلورة فكرة الجهاد ، والتمايز الفلسفي والسياسى الذى ميز الحركة الإسلامية فى أغلب بلدان العالم الإسلامى ، وتعلم على كتبه العديد من المفكرين الإسلاميين فى مصر ، وفى مقدمتهم سيد قطب ، وقد تمثل تأثير المودودى فى طرحه رؤية ذات أربعة مستويات مثلت النموذج الذى احتذاه الكثيرون وقالت به تنظيمات الإحياء الإسلامى السياسى فى السبعينيات وهذه المستويات هى حاكمية الله ضد حاكمية البشر ، وأن ألوهية الله فى مواجهة ألوهية البشر ، ثم ربانية الله فى مقابل العبودية لغيره من البشر ، وأخيراً وحدانية الله فى مقابل الاعتماد على أى مصدر آخر فى تسيير أمور الحياة ، ولقد سبق التفصيل فى هذه الرؤية .

أما قطب فتتبلور أهم أفكاره فى كتابه " معالم فى الطريق " وهو يرى فى هذا الكتاب أنه حين تكون الحاكمية العليا فى مجتمع لله وحده متمثلة فى سيادة الشريعة الإلهية تكون هذه هى الصورة الوحيدة التى يتحرر فيها البشر تحرراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر ، وتكون هذه هى الحضارة الإنسانية ، وحيث إن المجتمع الذى يجتمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة واختيارهم الذاتى ، أما المجتمع الذى يجتمع فيه الناس على أمر خارج عن إرادتهم الإنسانية ، فهو المجتمع المتخلف أو بالمصطلح الإسلامى هو المجتمع الجاهلى ، وحيث المعركة وفقاً لهذا المنهج بين المسلمين وخصومهم ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية ولا معركة عنصرية ، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها وسهل حل إشكالها ، ولكنها فى صميمها معركة عقيدة ، إما كفر أو إيمان وإما جاهليةأاو إسلام ، ويرى أيضاً ن هدف الإسلام لم يكن

فى يــوم من الأيام هو تحقيق القومية العربية ولا العدالة الاجتماعية ولا سيادة الأخلاق ، ولو كـــان الأمر كذلك لحققه الله فى طرفة عين ، ولكن الهدف هو إقامة مجتمع الإسلام لذى تطبق فيه أحكام القرآن تطبيقاً حرفياً ، وأول هذه الأحكام أن يكون الحكم نفسه لله وليس لأى بشر أو جماعة ، وأن أى إنسان ، بل أى مسئول إنسان ينازع الله فى سلطته . بل إن الشعب نفسه لا يملك حكم نفسه لأن الله هو الذى خلق الشعوب وهو الذى يحكمها بنفسه •

ويرى سيد قطب أن الجهاد عن طريق طليعة مؤمنة وجيل قرآنى هو الحل لتلخيص المجتمع من حكم الطاغوت ، ويلاحظ أن هذه العبارة ذاتها هى التى كان يصف بها خالد الإسلامبولى وزمـــلاؤه السادات ، مستخدمين ذات الألفاظ تقريباً التى قال بها الشيخ سيد قطب ، بما يعنى أن تأثير ما قبل عام ١٩٦٤ ترك صداه عام ١٩٨١ مروراً بحقبة السبعينيات وهو تأثير يفسر الى حد بعيد بعضا من أسباب حركة الإحياء السياسى الإسلامى فى أكثر من دولة داخل العالم الإسلامى •

ومفهـــوم الجاهـــلية عند سيد قطب وفقاً للمستشرق الفرنسى" لجيل كيبل " يعد حجر الزاوية لكل البناء النظرى لكتاب "معالم فى الطريق" ويميز الكاتب من خلال تحليله لفكر سيد قطب بين مرحلتين :

أ – مرحلة التعمق الروحى للطليعة التى ستحمل عبء بناء الأمة الإسلامية •

ب – مرحلة المعركة ضد المجتمع الجاهلى •

وهاتان المرحلتان هما ما يقصده قطب بالجهاد الإسلامى •

إن العالم المعاصر وفقاً لكتابات سيد قطب يعيش جاهلية جديدة ، والمسلم مجبر بحكم دينه أن يقـــوم ما اعوج فى هذا العالم ، ولكى يبدأ المسلم فى رسالته نحو العالم لابد من طليعة قرآنية ممتازة تمتاز برسوخ العقيدة يكون هدفها إعادة التجربة المحمدية بمراحلها المختلفة :

المرحلة الملكية وتكون بثورة ثقافية تعبّد الطريق •

المرحـــلة المدنيـــة : وتكون بإقامة الدولة الإســـلامية – أى الحاكمية ، وذلك بتطبيق شرع الله .

ثانيًا : العوامل السياسية والاقتصادية المؤدية للإسلام السياسي

ساهمت عدة عوامل اقتصادية وسياسية فى دفع حركة الإحياء الإسلامى خطوات للأمام ، وتمثلت تلك العوامل فى نتائج حرب ١٩٦٧ ، يليها الانفتاح الاقتصادى ، ثم الصلح مع إسرائيل عام ١٩٧٧ وفيما يلى كلمة موجزة عن كل واحد من هذه العوامل :

نتائج حرب ١٩٦٧

كانت محصلة حرب ١٩٦٧ ، احتلال أراضى ثلاث دول عربية (مصر – الأردن – سوريا) فى وقت واحد ، واحتلال القدس ، وقدرت المساحة التى احتلتها اسرائيل من مصر (٦١,٠٠٠ كيلو متر مربع وهى مساحة سيناء) وقتل فيها ١١,٥٠٠ قتيل ، وخسر الطيران المصرى ٩٥% من قوته ، وتم تدمير ٨٥% من معدات القوات البرية ، ووفقاً لرواية محمود رياض فإنه فى يوم ١٩٦٧/٦/١١ لم يكن بالقاهرة سوى ٧ دبابات .

قُبَيْل رحيل عبد الناصر وتولى السادات لمقاليد السلطة ، امتزجت عدة عوامل فى وقت قياسى جداً لتعجل بعملية التحول نحو تكوين مركب سياسى/اقتصادى/اجتماعى جديد ساهم فى صعود التيار الإسلامى الأصولى ، الذى قاد من بعد حركة الإسلام السياسى فى السبعينيات، ومن تلك العوامل : انفصال سوريا عام ١٩٦١ وفشل الوحدة مع العراق عام ١٩٦٣ وانحسار مد القومية العربية والتحول عن الاشتراكية بعد هزيمة ٦٧ وهى الهزيمة التى كانت سبباً من أسباب تآكل الولاء للدولة وانتشار التنظيمات السرية وزعزعة مفهوم الاستقرار السياسى ، ثم وفاة عبد الناصر عام ١٩٧٠ وإقرار صيغة الانفراج الدولى عام ١٩٧٢ ثم التأثيرات السلبية للمال النفطى ، وهى العوامل التى دفعت بالسادات الى محاولة خلق بدائل اقتصادية وسياسية أخرى مثل محاولة تصفية القوى الناصرية والشيوعية داخل الجامعات والنقابات المهنية من خلال تقوية الاتجاه الإسلامى أو محاولة إيجاد بدائل للحرب وبالسلام وفقاً لمفهومه .

ومن النتائج الهامة لحرب ٦٧ الانتعاش الملحوظ فى الاتجاه الإسلامى المسيحى بما تضمنه هذا من تآكل حجم الولاء للدولة وبدء تكون تنظيمات سرية عديدة ، وبروز عوامل عدم

الاستقرار السياسى التى ارتبطت فى أغلبها بانتعاش التوجه الإسلامى ، ومن المظاهر التى تؤكد هـذا الانتعاش العام الى الشعب المصرى عقب ٦٧ أنه عند وضع دستور ١٩٧١ وصل الى مجلس الشعب ومشيخة الأزهر العديد من البرقيات تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية فى البلاد، فأصـدر وقتها شيخ الأزهر بياناً بهذا الشأن (يونيو ١٩٧١) وأصدر مجلس الشعب ثم المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى قراراً بأن تكون الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ، ولكن لجنة صياغة الدستور جعلتها مصدراً رئيسياً مفترضة وجود مصادر أخرى للتشريع .

الانفتاح الاقتصادى

ارتبطت سياسة الانفتاح الاقتصادى التى عرفتها مصر أوائل السبعينيات بالوثيقة الرسمية المسـماة ورقة أكتوبر التى قدمها السادات فى مايو ١٩٧٤ من الناحية الرسمية والتى لم تقدم فى واقـع الأمـر تحليلاً تفصيلياً أو محددا لمفهوم الانفتاح وأبعاده .بل تضمنت فقط الإشارة الى الإمكانـات المتاحة للاستعانة بالاسـتثمارات العربية والأجنبية فى عملية التنمية . كما أنها لم تطرحها باعتبارها سياسة بديلة للسياسة الاقتصادية التى تتبناها مصر منذ الستينيات بمكوناتها المختلفة ، بل حرصت الورقة فى مجموعها على التأكيد على الاستمرار فى تبنى منطلقات وأسس تلك السياسة .

وفى الأشـهر التى تلت حرب أكتوبر ، حرص الرئيس السادات فى خطبه وأحاديثه عند تعرضه لمفهوم الانفتاح الاقتصادى ، أن يؤكد على تلك المنطلقات العامة التى طرحتها الورقة- أى التأكيد على أن الانفتاح لا يتناقض مع الاشتراكية ، وعلى ضرورة أن تأتى الاستثمارات العـربية والاجنبية فى إطار خطة واضحة ذات أولويات محددة ، وعلى ان الانفتاح هو انفتاح على الغرب والشرق على حد سواء .

وباسـتثناء هذه المبادىء العامة ، لم تقدم ورقة أكتوبر ولا الرئيس السادات فى تصريحاته تحديـداً واضحاً لمفهوم الانفتاح وما يثيره من قضايا ، والحقيقة أن كل التعريفات التى قدمها الرئيس السادات لسياسة الانفتاح الاقتصادى فى عامى ١٩٧٤، ١٩٧٥ كانت تعريفات عامة وغامضة.

بـــل إن سياســـة الانفـــتاح الاقتصادى كما طبقها السادات تعتبر بمثابة انقلاب على المقومات الأساسية للمجتمع ، وهي جزء لا يتجزأ من مفهوم السلام الأمريكي – الاسرائيلي ، حيـــث إنهـــا كسياسة أتت مواكبة لعمليات فض الاشتباك الأول والثانى بين القوات المصرية والإســـرائيلية عـــلى يـــد هـــنرى كيسنجر ، وما سمى وقتها بمفاوضات الكيلو ١٠١ وهى السياسيات التى أدت فيما بعد الى مبادرة القدس عام ١٩٧٧ .

وبالنســـبة لكونها انقلاباً على المقومات الأساسية للمجتمع ، فإن ذلك يتضح من الكثرة الملحوظة للتشريعات والقرارات المتعلقة بتلك السياسة ، إذ بعد أن أعلنت الحكومة لأول مرة فى بيانها أمام مجلس الشعب (٢١ أبريل ١٩٧٣) عن الانفتاح الاقتصادى أنبرت لجنة مشتركة مـــن مجلس الشعب يرأسها محمود أبو وافية ، ومصطفى كامل مراد ، ووضعت برنامجاً شاملاً تحول الى قانون وافق عليه مجلس الشعب وأعطاه رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ بعنوان " قانون نظام استثمار رأس المال العربى والأجنبى والمناطق الحرة " .

وكـــان هذا القانون يعد بمثابة البداية الحقيقية لسياسة الانفتاح الاقتصادى التى ساهمت بدورهـــا فى صعود حركة الإسلام السياسى ، ويتطلب فهم سياسة الانفتاح استعراض مواده المتعلقة بالمقومات الأساسية للاقتصاد المصرى ، وهى المواد التى أدت الى عودة قطاع كبير من الطـــبقة الـــراسمالية الى مجالات اقتصادية عديدة مثلت فى مجملها انقلاباً حقيقياً على الركائز الأساسية للمجتمع مثل مجالات التصنيع والتعدين والطاقة والسياحة والنقل (مادة ١ فقرة ١من القـــانون) واستصـــلاح الأراضى البور والصحراوية واستزراعها بدون حد ، ذلك عن طريق تأجيرهـــا لمـــدة خمسين عاما يجوز مدها الى خمسين أخرى ، ومشروعات تنمية الإنتاج الحيوانى والثروة المائية (مادة ٣ فقرة ٢١) والإسكان والامتداد العمرانى (مادة ٣ فقرة ٣) وشركات الاستثمار (مادة ٣ فقرة ٥) والبنوك التجارية (مادة ٣ فقرة ٦) .

ثم حرم القانون تأميم المشروعات التى تقع فى نطاقه أو مصادرتها (المادة ٧فقرة ب) وحرم الحجـــز على أموالها أو تجميدها أو مصادرتها أو فرض الحراسة عليها من غير الطريق القضائى (المادة ٧ فقرة ٢) واعتبرها شركات قطاع خاص أيا كانت الطبيعة القانونية للأموال الوطنية

المساهمة فيها ، فلا تسرى عليها التشريعات واللوائح والتنظيمات الخاصة بالقطاع العام أو العاملين فيه (المادة ٩) فلا يشترك العامل فى مجالس إدارتها (المادة ١٠) ولا يشتركون بنسبة محددة قانونا فى أرباحها (المادة ١٢) ولا يشترط نسبة خاصة من المصريين فى مساهمتها (المادة ١٢ فقرة ٣) ولا تخضع لرقابة التنفيذ (المادة ١٣) ولا لتراخيص الاستيراد (المادة ١٥) ولا للضرائب عن الأرباح التجارية والصناعية وملحقاتها (ضريبة الدفاع) لمدة خمس سنوات اعتبارا من أول ضريبة مالية لبداية الإنتاج (المادة ١٦) ولا تخضع أرباحها الموزعة لضريبة الايراد العام بحد أقصى ٥% من رأس المال (المادة ١٧) وتعفى الفوائد المستحقة على قروضها من جميع الضرائب والرسوم (المادة ١٨) ولا تخضع مبانى الإسكان الإدارى وفوق المتوسط لأى حد فى القيمة التجارية (المادة ١٩) وتحول اجور ومكافآت الأجانب فى الخارج فى حدود النصف (المادة ٢٠) ويحول رأس المال نفسه بعد خمس سنوات على أقساط (المادة ٢١) .

بعد صدور هذا القانون توالت التشريعات والقرارات لتحقيق أهداف سياسة الانفتاح واشتركت فيها كل المؤسسات حتى رئاسة الجمهورية ، فقد أصدر مجلس الشعب يوم ٢٥ يوليو ١٩٧٤ القانون رقم ٩٤ لسنة ١٩٧٤ بتفويض رئيس الجمهورية فى إصدار قرارات لها قوة القانون فى شئون الاستيراد والتصدير . باستثناء من القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٣ الذى كان ينص فى مادته الأولى على أن يكون استيراد السلع من خارج الجمهورية بقصد الاتجار أو التصنيع مقصوراً على شركات وهيئات القطاع العام أو تلك التى ساهم فيها القطاع العام وكان بذلك أحد أركان التحول الاشتراكى .

أما بالنسبة للآثار الاجتماعية الضارة التى نتجت عن سياسة الانفتاح الاقتصادى فيجملها بعض الاقتصاديين فى خمس نتائج هى :

أ – اتساع الفوارق الطبقية .

ب – ظهور الحلول الفردية ومحنة الانتماء وانهيار هيبة السلطة .

جـ – شيوع عبادة المستورد وأزمة الثقة فى النفس .

د – السلوك الطفيلى .

هـ الانحطاط الثقافى .

سياسة الصلح مع إسرائيل

لعبت سياسة الصلح مع (إسرائيل) دوراً رئيسياً فى إعطاء حركة الإحياء الإسلامى فى السبعينيات مبررا دينيا قويا لمعارضة النظام ولمحاولة ضربه ، لأنه فرط فى واجب دينى وهو واجب تحرير القدس ، وأدت سياسة الصلح مع إسرائيل التى قننتها اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ الى تدهور العلاقة بين النظام السياسى وبين حركة الإسلام السياسى على اختلاف نظيماتها وتحديداً الجماعات الإسلامية بالجامعة ، والتى شرعت فور زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ ثم توقيعه لاتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ فى إحداث اضطرابات وتظاهرات فى عدد من الجامعات العربية - وفى مصر بخاصة - الرئيسية مثل (القاهرة - عين شمس - أسيوط) نتج عنها سوء العلاقات مع النظام السياسى ، وساعد فى تصعيدها ، الموقف المعادى للسادات من الثورة الإيرانية . فضلاً عن محاولات توظيفه لقضية تطبيق الشريعة الإسلامية لأهدافه السياسية .

ولعل أهم الجوانب التى أثر فيها منهج السادات فى الصلح مع إسرائيل هو قضية الهوية والانتماء لدى أجيال متتابعة من الشباب المصرى ، أحدثت لديهم سياسة الصلح مع إسرائيل هزة عنيفة فيما يؤمنون به من قيم إسلامية ، ولما تمثله تلك السياسة من انهيار بعض ركائز الهوية العربية والإسلامية التى كانت سائدة من قبل .

وفى أقل من ثلاثة أعوام على زيارة السادات للقدس قام بسلسلة من الاتفاقات مع إسرائيل مثلت صدمات قوية للضمير الوطنى والإسلامى فمثلاً فى مايو ١٩٨٠ تم توقيع الاتفاقية الثقافية وأنشىء المركز الأكاديمى الاسرائيلى عام ١٩٨٢ والذى اتجه الى محاولة زعزعة الهوية القومية فى مصر من أساسها من خلال شبكة علاقاته واتصالاته بالمؤسسات والهيئات العلمية والإعلامية والشعبية المصرية ، ومن خلال أبحاثه الهامة الخطيرة وتلاها اتفاقات فى مجال النفط والزراعة والاقتصاد والسياحة وغيرها .

ورغم ما حدث من محاولات لضرب الهوية العربية لمصر نتيجة لسياسة الصلح مع إسرائيل ، فان بعض الدراسات الميدانية أثبتت أن تلك المحاولات لم تنل من التوجهات الأساسية

لدى المثقفين المصريين فى نطاق عدائهم لإسرائيل وإن أثرت سلباً على القطاعات الشعبية ، ففى إحدى الدراسات الميدانية بعد " التطبيع " عندما سئل المبحوثون (عددهم ٢٠٠ مبحوث) عما إذا كـــانوا يعتقدون أن المصريين والإسرائيليين سيستطيعون التعايش بشكل عادى فى المستقبل القـــريب أو فى المســـتقبل البعيد ، أو لن يستطيعوا ذلك ، جاءت الاجابات كما يلى : ٧٥% أجابوا بأنه لن يحدث تعايش فى المستقبل القريب و٦٠% رأوا أنه لن يحدث تقارب فى المستقبل الـــبعيد ، و٧٥،٥% من المبحوثين رأوا أن إسرائيل غير قادرة على بناء علاقات طبيعية تقبل فى إطارها التعايش مع الشعوب العربية بما فيها الفلسطينيون ، و٧٨،٥% من عينة المبحوثين رأت أن إسرائيل وأمريكا شىء واحد فى مجال عدائهم للعرب . وهو ما أثبتت الأيام والسنوات الـــتالية صدقه (هذه الدراسة للدكتورة / سلوى العامرى ، وهى رسالة دكتوراه تحمل عنوان تصورات المثقفين المصريين لخصائص بعض الجماعات القومية – جامعة عين شمس – ١٩٨٥ – ص٢٤١ – ٢٧٦) .

ان مـــا نود التركيز عليه فى نهاية هذا الجزء ثمن دراستنا أن هذه السياسات بشأن قضية فلسطين وما تبعها من أزمة أصابت الهوية العربية والإسلامية لدى الشعب المصرى ، قد ساهمت فى دفع حركة الإسلام السياسى خطوات الى الأمام من منطلق أن القضية الفلسطينية هى محور تفـــاعلات الحركة الإسلامية المعاصرة ، وأنها تمثل بالنسبة للإحياء الإسلامى الجوهر الأساسى والفكـــرى الذى تلتف حوله تنظيمات حركة الإحياء الإسلامى على اختلافها . ومن هنا كان من الطبيعى أن يكون من مبررات خالد الإسلامبولى فى قتل السادات انه " تصالح مع اليهود "، وأن تعـــلق لافتات كتبت بلون الدم على الأقفاص الحديدية المودع بداخلها المتهمون . وعلى جدران المحكمة أثناء محاكماتهم عام ١٩٨٢ وان يكون أبرز ما احتوته هذه اللافتات هو المطالبة بعودة القدس مثل [خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود] و[إن الأقصى قد نادانا من سيعيد القدس سوانا] فضلاً عن الشعارات السياسية المؤيدة لمطالبهم .

* * *

* وبعـــد ، مما لا شك فيه أن هذه العوامل السياسية والاقتصادية والحضارية كانت هى الأرضـــية الـــتى فرخت جماعات الغضب الإسلامى ، وساهمت ضمن عوامل أخرى فى إلهاب مشـــاعر الإســـلاميين وتفجـــير طاقـــتهم ، ليس فى مصر فحسب بل فى باقى بلادنا العربية والإســـلامية ، فكان الصعود القوى لفجر هذه التيارات الإسلامية العنيفة بعد البيات الشتوى الطويل خلال الحقبة الناصرية وكان دورها المؤثر فى عهد السادات كما سنرى .

* * *

الفصل السادس

الإخوان . وعصر السادات
من التعاون .. إلى الصدام والقتال

الإخوان فى السبعينيات ، بالتأكيد غير الإخوان فى الأربعينيات ، هكذا يقول العقل والمنطق، إلا أن هذا لم يتحقق كاملا فى بلد (المركز والمرشد)، فى مصر فلقد خرج الإخوان من السجون على يد السادات بعد أن قضوا قرابة عشرون عاما فى سجون ناصر، ومارسوا فى السياسة نفس منهج الأربعينيات ، وقدموا الإسلام السياسى ، وفقا لأدبيات مؤسسها ، واسترشاداً به ، رغم تغير الأوضاع والأحوال ، إلا أن الأمر لم يعدم ، تطورات فى الأداء ، وتغيرات فى الوسائل تجاه قضايا الأمة ، وبخاصة قضية الصراع العربى - الصهيونى ، تلك التى شهدت حدثين كبيرين خلال حقبة السبعينيات الأول : هو حرب أكتوبر/ تشرين ١٩٧٣ والثانى : هو زيارة السادات للقدس ١٩٧٧ وتوقيعه اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٩ وما استتبعها من تحولات درامية أثرت كثيراً فى دور وموقع مصر، وسياستها فى المحيط العربى والإسلامى ، ترى كيف تعامل الإخوان مع هذه الفترة بقضاياها الساخنة ورجالها المثيرين للجدل ؟

* * *

يجمع المراقبون على أن الإسلام يلعب دائماً دوراً نشطاً فى الحياة السياسية بالمنطقة العربية منذ قدوم عبدالناصر للسلطة فى مصر عام ١٩٥٤م، وأن الاهتمام أخذ يتزايد مع حقبة السبعينيات ، وصار صراعاً بين توجهات تحديثية وأخرى سلفية، وتبدى ذلك فى دستور ١٩٧١م الذى نص على أن تكون الشريعة الإسلامية مصدراً رئيسيا للتشريع. ولكن مع انتهاء حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، وتحديدا فى ابريل ١٩٧٤م ، بدأت أولى الصدامات العنيفة

بين النظام السياسى وإحدى قوى التيـار الإسلامى الأصولى، والتى تقول بالعنف والجهاد أداة وحيدة لتحقيق الدولة الإسلامية القادمة - كما سنرى - .

وبالنسبـة للإخوان المسلمـين فإنهم يعـدون التنظيم الأم الذى خرجت من تحت عـباءته كافة القوى والتنظيمـات الإسلامية أواخر الستينيات ، وأوائل السبـعينيات ، وسوف نعالج فى هذه الجزئية مكونات رؤية الإخوان الفكرية من خلال النقاط التالية :

١ - رؤية الإخوان خلال السبعينيات لقضية الصراع مع إسرائيل .

٢ - رؤية الإخوان للعلاقات مع أمريكا .

٣ - رؤية الإخوان للفوارق بينهم وبين الجماعات الإسلامية الأخرى .

٤ - رؤية الإخوان للعلاقة بين الدين والدولة والموقف من السادات ..

ملابسات فى موقف الإخوان من إسرائيل

يُلاحظ بداية أن موقف الإخـوان المسلمين من القـضية الفلسطينيـة بتطوراتها المتلاحـقة خاصة فى النصف الثانى من السبعينيات جاء رافضاً لكل تقارب مع إسرائيل . على اعتبار أن الصراع معـها صراع دينى ولقد حظت (مـجلة الدعوة) لسان حال الإخوان المـسلمين ، بعد إعادة إصـدارها ، بأشكال مختلفة لإبراز هذا الـرفض. ولكن مع وجود هذا الرفض يلاحظ الباحث أيضا مـوقفا متناقضا لمرشـد الإخوان نشرته مجلة المختار الإسـلامى العدد ٤٣ يونيو ١٩٨٦ نقلا عن مجلة (العالم) ومجلة (الحوادث) الصـادرة فى لندن حيث يقول الشيخ عمر التلمـسانى فى حـواره : «إننى لا أرفض التفـاوض مع إسرائيل علـى أساس رد الحقـوق إلى أصحابها . كـان يكفينى هذا الحديث . مامعنى رد الحقوق إلى أصـحابها ؟ أن تعود فلسطين إلى أصحابها ، إن الرسول ﷺ شرع لنا التفـاوض ، فتفاوض مع اليهود عندما دخل المدينة ، وتفاوض مع المـشركين فى المديـنة وفى كل هذه المسائل لم يجـد هناك حرجـاً شرعيـاً يمنع التفاوض فى مثل هذه المسائل .

هذه الموافـقة الضمـنية على التـفاوض مع اليـهود قولا تـعنى من وجهـة نظرنا موافـقة

الإخوان المسلمين - أو مرشدهم - على اتفاقيات كامب ديفيد، فالموافقة على التفاوض شيء والموافقة على الاتفاقية الناتجة عن التفاوض - كما قام به السادات - شيء آخر مختلف، ورغم الثنائية والازدواجية الأخلاقية في هذا الأمر إلا أنه قد حدث بالفعل فيما بعد حين رفض الإخوان الاتفاقية بالرغم من موافقة المرشد العام لهم على مبدأ التفاوض مع اليهود، وهذا التناقض في المواقف سواء من قبل المرشد العام أو من بعض قيادات الإخوان، تؤكده أكثر سمة الرفض الكامل ليس فقط لاتفاقيات كامب ديفيد . بل لإسرائيل ذاتها، وهي السمة التي نجدها في أغلب افتتاحيات مجلة الدعوة أعوام ٧٨ - ١٩٨١، ويثبت ذلك تحليل مضمون الافتتاحيات. ففي إحدى الدراسات المهمة يتضح أن مجلة الدعوة (لسان حال الإخوان المسلمين) قد اتسمت مقالاتها الافتتاحية (والتي يكتبها المرشد العام للإخوان) برفض كامل لإسرائيل ككيان دخيل، استتبعه رفض لمعاهدات السلام المصرية معه، وأخيراً رفض لتطبيع العلاقات ومفاوضات الحكم الذاتي خلال الفترة التالية لعام ١٩٧٧(أحلام السعدي: التيار الديني والسياسة المصرية تجاه إسرائيل: دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة -ـ كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة، ، ١٩٨٧)، ص ١٩١ - ٢٦٣.

بالإضافة لافتتاحية مجلة الدعوة نجد أبوابا ومقالات أخرى تنحو المنحى نفسه في رفض كل ما هو يهودي. وعلى سبيل المثال تخرج الدعوة في أحد أعدادها بعد شهور قليلة من توقيع اتفاقيات كامب ديفيد بافتتاحية عنيفة تحت عنوان (هؤلاء اليهود لا عهد لهم ولا ذمة) (الدعوة العدد ٤١ لسنة ١٩٧٩ ص٤). جاء فيها أن عدم الوفاء هي «الصفة البارزة عند هؤلاء ولا فكاك لهم منها، حتى ولو حاولوا هم أنفسهم، أن يكونوا كغيرهم من البشر من ناحية العواطف الإنسانية، والأحاسيس البشرية، حتى ولو حاولوا هذا جاهدين فليسوا ببالغين بعض ما يريدون، إن كانوا حقا يريدون في هذا السبيل. و«يجب العدول عن المضي معهم في معاهدة السلام التي يريدونها باباً مفتوحا لتحقيق كل أطماعهم. ولئن مدح الغرب وعلى رأسها أمريكا حرصنا على السلام. إلا إنهم سيحترموننا يوم أن نقف موقف الذين يسترخصون كل شيء في سبيل الحياة الكريمة، يوم أن نثبت أن أبطال القادسية، وحطين، «وعين جالوت» قد أنجبوا رجالاً يحققون ما حققوه من قبل».

وإلى جانب التلمسانى برز عدد من كتاب وقادة الإخوان يؤكدون على المعنى نفسه فى رفض الصلح مع إسرائيل منهم جابر رزق وعبدالحليم عويس ومحمد عبدالقدوس ومصطفى مشهور وغيرهم.

إلا أن الموقف الرسمى للإخوان المسلمين يتضح فى الافتتاحية الهامة لعدد ابريل ١٩٨١م والتى حدد فيها التلمسانى أسس رفضه ورفض الإخوان المسلمين للتطبيع مع إسرائيل فى ١٦ سبباً أسماها بأخطار التطبيع المرتقبة، وهى تقدم تلخيصاً وافياً لرؤية الإخوان عن استعادة الحق المسلوب من المسلمين فى قضية فلسطين، أبرز مشكلات العالم الإسلامى، وأنه - أى التطبيع - يؤدى إلى موت مشاعر الإحساس بجريمتهم فى سلب فلسطين ، وأنه بمثابة موت بطىء نتجرع خلاله كئوس الذل والمهانة.

فالإخوان من وجهة نظر التلمسانى يرفضون التطبيع لأخطاره التالية:

أ - إن وجود اليهود بيننا والتعود على رؤيتهم أمامنا على وجهة التعامل والاستمرار يأخذ حكم العادة. فيموت فى مشاعرنا الإحساس بجريمتهم فى سلب حقنا وما يقترفونه من أساليب تؤدى إلى تهويد المنطقة كلها. والتهويد ضار بالعقيدة كما هو مهدد للمصلحة العامة ولاشك.

ب - كما يرى التلمسانى أن اليهود عرفوا بدأبهم الفطرى على إشاعة الانحلال بين شعوب العالم كله كى تتاح لهم السيادة. والتطبيع من أهم الوسائل التى تيسر لهم ما يريدون آمنين مطمئنين.

جـ -ويرى أن هذا الخطر ليس على مصر المسلمة وحدها ، ولكنه يستشرى كالوباء الجائع فى كل أرجاء العالم الإسلامى لمكانة مصر فى نظر المسلمين.

د - وإن اليهود سيعملون على أن تنتشر بيننا كل مفاسد الأخلاق من كباريهات وبؤر الخمر وتجارة الرقيق الأبيض التى تقضى ولابد على كل القيم والمقومات.

هـ - وفى رأى التلمسانى أن اليهود سيستغلون كل الأقلام التى تبيع عقيدتها وكرامتها لقاء دريهمات فتستر هذه الأقلام بستار الأسماء المسلمة التى تحملها.

و - والتطبيع خطر من وجهة نظره لأن اليهود سيعملون على أندساس خبرائهم المدربين في كل نواحى النشاط مما يهوى بها إلى الحضيض بأخبث الطرق وأدناها وأخفاها.

ز - وأنهم سيعملون على إصدار المجلات والصحف والكتب والكاسيتات بأسماء مسلمة. وليس أخطر من وسائل «الإعلام» فى التأثير على الرأى العام وتوجيهه حيث تزيد الأهواء والعداوات.

ح - إن اليهود هم الذين ابتدعوا أساليب الدعاية الخداعة. ويرى التلمسانى أيضاً أن التطبيع سيجعل مع مرور الأيام من إسرائيل وضعاً مألوفاً. ومن ثم ، ونتيجة لهذه الأخطار هو يرفض التطبيع وسياسة الصلح مع إسرائيل.

هذه هى (ركائز) رؤية الإخوان أحد فصائل الإسلام السياسى المعاصر فى مصر خلال حقبة السبعينيات، وهى رؤية تتناقض مع بعضها رغم شيوع لغة الرفض العام على مجمل الخطاب السياسى لهم. فالحوار الذى أجراه التلمسانى مع مجلتى (العالم) و(الحوادث) ونشرته الدورية الإسلامية (المختار الإسلامى) يؤكد هذا التناقض. ويرى الباحث أن الإخوان المسلمين باعتبارهم إحدى القوى الإسلامية ذات التوجه الإصلاحى فإن القبول بمنطق التفاوض، والصلح فى المدى البعيد، من الجائز أن يكون صحيحاً، ومحقاً، رغم حدة الخطاب السياسى المعادى للوجود الصهيونى واعتباره جزءاً من مخطط استعمارى رهيب سياسى وعسكرى واقتصادى كما يقول خليفة التلمسانى فى النصف الثانى من الثمانينيات (محمد حامد أبو النصر، رسالة إلى رئيس الجمهورية، جريدة الشعب، بتاريخ ١٧/ ١٢/ ١٩٨٧ ص٨، وفى تفصيل رؤية الإخوان لإسرائيل بعد عام ١٩٧٧م وللتأكيد على سمة التناقض التى لازمت الخطاب السياسى العام للإخوان تبرز عدة مواقف أخرى تتصل بالموقف من إسرائيل لتؤكد على هذا التناقض مثل ، امتناع الشيخ عمر التلمسانى عن تأييد الائتلاف الوطنى الذى تكون من شخصيات المعارضة البارزة فى مصر عامى ١٩٨٠/ ١٩٨١م، ضد سياسات كامب ديفيد فى حين انضم إليه أحمد سيف الإسلام حسن البنا وصلاح أبو إسماعيل، بل وصل الأمر عند التلمسانى إلى الاعتراض على المقاطعة التى

فرضتها الدول العربية على السادات وطالبهم بتقديم البديل لسياسة السادات السلمية بدلا من مقاطعته. وكان آخر تناقضات المرشد العام السابق للإخوان هو قوله فى كتابه «أيام مع السادات» «أن السادات قتل مظلوماً مثل سيدنا عثمان» ودعا أن يطول عهد حكمه إلى أبعد مدى «عمر التلمسانى»: أيام مع السادات ، القاهرة، دار الاعتصام ١٩٨١م، ص٣٥ وأيضاً: مجلة الوطن العربى عدد ٤/ ٤/ ١٩٨٠م والمستقبل عدد ٥/ ٤/ ١٩٨٠ ومجلة المدينة السعودية عدد ١١/ ٣/ ١٩٨٠).

الإخوان والأمريكان

على الرغم من نبرة العداء الملحوظة فى مستوى الخطاب الإخوانى تجاه إسرائيل كما أبرزتها مجلة الدعوة بعد عام ١٩٧٨، إلا أن الولايات المتحدة لم تحظ بنفس القدر من العداء، وحتى عندما كشف أحد كتاب الإخوان النقاب عن وثيقة للمخابرات الأمريكية تحدد فيها الخيارات المطروحة بشأن الحركات الإسلامية المعاصرة فى مصر وكيفية توظيفها بعد دراستها جيداً من خلال طابور من العملاء كان فى مقدمتهم البروفسور اليهودى الأمريكى ريتشارد ميتشل، كانت حملتهم على السفارة الأمريكية وليست الحكومة الأمريكية أو سياستها الدولية، وانحصرت القضية فى ريتشارد ميتشل دون إعطاء الأبعاد الأخرى حقها من التحليل.

وهو نفس المنحى الذى ميز مقالات عمر التلمسانى فى (الدعوة) عندما تحدث عن أمريكا من وجهة نظر إسلامية، وكان طبيعيا أن يرى فيها، رغم إساءاتها البالغة للإسلام، «فمازلنا نعتبرهم - أى الأمريكيين - أهل كتاب»، هذا ويتحدد موقف الإخوان من أمريكا خلال حقبة السبعينيات فى النقاط التالية :

أ - إن الولايات المتحدة أقوى دول الأرض من الناحية المادية وإن عيونها على مختلف أسمائها، وتنفذ فى أعمق أسرار دول الأرض.

ب - يوقن الإخوان - والرأى لقادتهم - بأنه من الممكن فعلاً وواقعاً أن تغير أمريكا موقفها مع المسلمين.

جـ - يسأل قـادة الإخوان لماذا لا تبنى الولايات المتحـدة سياسـتها وتصرفاتها على أساس العدالة الطيبة والإنصاف النزيه؟

إن الدلالة المستقـاة من هذ العبارات هى إيمان مرشد الإخـوان، بأن للأمريكيين دوراً فى كل شىء وفى كل بقـعة من بقاع الأرض. وبالرغم من أن هذا تفـكير واقعى ووزن عـقلانى للأمور، إلا أن الاتجـاهات الإسلامـية الأخرى أدانتـه ورأت فيه تخـاذلا وتراجعـا عن جوهر دعوة الإسلام التى لا تخشى فى الله أحداً.

الإخـوان والجماعات الإسلامية (نقاط الخلاف)

رصد الإخوان عـددا من النقاط الفارقة بين طبيـعة عملهم وطبيعـة أدائهم السياسى وبين الجماعات الإسلامية الأخرى التى كانت تملأ ساحة مصر فى السبعينيات، وهذه النقاط يمكن تلمسهـا فى كتابات الإخوان أنفـسهم وفى المجلات التى يصدرونهـا وفى مقدمتـها الدعوة. ويمكن استخلاص تلك النقاط فى الآتى:

أ - إن طريق الإخوان بعيد كل البعد عن التظاهرات والعنف والتآمر بهدف الوصول إلى الحكم. فطريق الإخـوان هو طريق العمل المستـمر لنشر الـدعوة الإسلامـية بواسطة تعريف الشعب وخاصة الشباب بأسس الإسلام.

ب - إن أفكار أولئك الشبـان تتـعارض - مـن ناحيـة المبـدأ - مع الإسـلام، لأن الدولة الإسلامية فقط، وليس أفراد بها، هى التى تملك اتهام أفراد أو جماعات بالكفر. وكل رجل مخلص شريف يعرف أن العـلاقة بيننا وبين النظام الحـاكم فى هذا البلد على طرفى النقيض فيـما يختص بالبرامج والأوضاع. وسـتظل كذلك إلى أن يأتى اليوم الذى تطبق فيه أحكام الله وأوامره.. ولكن حتى يأتى ذلك اليوم لن نكف عن الحركة (انظر على سبـيل المثال: عمـر التلمسانى: أيام مع السـادات، ص٣٠ - ٥٧، كذلك: عمـر التلمسـانى الرأى الآخر فى الجـماعات الإسـلاميـة الدعوة، العـدد ٥٠، يوليو ١٩٨٠م، السنة ٣١، ص١٢ - ١٤).

جـ - والحركة عند الإخوان ليست - كمـا يفهم البعض - هى إحراق وسائل المواصلات وتحطيم المحال ونهب المنشـآت، فهم لا يقبلون ذلـك والله لا يرضى عن المخربين . فما يتم نهبه وتدميره ليس ملكاً لرئيس الدولة أو الحكومة ولكن ملك للشعب.

د -ـ ويرى الإخـوان أنه إذا كان المقـصـود بـ «الحركـة» التـآمر لقلب نـظام الحكم فليكن معلوماً أن هذا عمل من يسعى إلى السلطة من أجل السلطة وليس عمل الإخوان.

هـ - بالنسـبـة لنا لا نختلف على شـخص الحـاكم ولكننا نختلف عـلى نوع الحكومـة وشرعيتها.

و - ولا مجال فى البحث حول الإطاحة بالنظام، فـالأهم أن يقدموا لهذا النظام ما يحسن منه تدريجياً.

ز - ويرون أيضاً أنهم جزء من المعارضة الشرعية التى تعد من صلب النظام.

ح - ويرى الإخوان أيضـاً أن أهم ما يفرقهم عن الجـماعات الإسلاميـة الأخرى هو أنهم يمارسون قدراً كـافياً من الضغوط على النظام للوصـول إلى تحويل سلمى فى اتجاه.. الدولة الإسلامية، التى تقام على أسس الشريعة.

ورغم هذه الفوارق، إلا أن قادة الإخـوان حاولوا استمـالة الجماعات الإسلامـية الأخرى إليهم بشـتى الأساليب. وكـان بينها تبنى مجلة «الـدعوة» لأخبـارهم وإفراد الصفـحات لهم ودعوة المرشـد العام لهم كي ينضووا تحـت لواء الإخوان. وهكذا تتحـدد رؤية الإخوان من الجماعات الإسلامية الأخرى فى السبعينيات لتتراوح بين الرفض والقبول لها وفقاً لرؤية قادة الإخوان ومصالحهم.

الإخوان بين الدين والدولة والسادات

كـان للإخوان المسلمـين مثـل باقى تنظيمـات الإسلام السـيـاسى فى مصـر خلال حـقبـة السـبعـينيات مـوقف رافض للفصل بين طرفى الـعلاقـة «الدين والدولة». وعلى هذا المعنى ينطلق (إخوان السبعـينيات) من المنطلقات نفسها التى انطلق منهـا حسن البنا فى الأربعينيات

حيث كان يرى أن الأصل فى الإسلام هو الترابط بين الدين والدولة ، وأن الإسلام دين شمولى ، وأن الخلافة أو الحكومة الإسلامية غاية يسعى إليها الإخوان.

حول المعنى نفسه يرى مصطفى مشهور فى السبعينيات أن الإخوان أولاً وقبل كل شىء يرفضون فكرة فصل الدين عن السياسة، ويرى أن منهج الإخوان هو أنهم يريدون الفرد المسلم والبيت المسلم والشعب المسلم والحكومة المسلمة والدولة الإسلامية التى تقود الدول الإسلامية وتضم شتات المسلمين وتستعيد مجدهم وترد عليهم أرضهم المفقودة وأوطانهم المسلوبة. وعن رأيهم فى الأحزاب «أنه وفميا يختص بالأحزاب السياسية التى ظهرت على ساحة البلاد الإسلامية، فالإخوان يرفضون هذا النوع من الأحزاب التى تقوم على مبادىء أرضية» (مصطفى مشهور: «الإخوان المسلمون، والسياسة وسياسة الأحزاب، مجلة الدعوة، العدد ٦٤، السنة ٣١، أغسطس ١٩٨١، ص٨ - ١٩»).

ومع وضوح رؤية الجيل الأول من الإخوان فى مسألة (الأحزاب) فإن الجيل نفسه سعى إلى الأحزاب السياسية القائمة (الوفد عام ١٩٨٤) و (حزب العمل عام ١٩٨٧) ليشكل معها (تحالفا) لكى يدخل البرلمان المصرى ، ويعد هذا من وجهة نظرنا تطوراً هاماً فى الفكر السياسى لهذا الجيل - ومن يتبعه - من الإخوان. فلقد تجاوز بهذا السلوك العملى ، الأطروحات السابقة التى قال بها حسن البنا ، وقالوا هم أنفسهم بها فى السبعينيات ، بل ودخلوا أيضاً عدداً من النقابات ونوادى هيئة التدريس بالجامعة ، وطالبوا بأن يعطى رئيس الدولة للإخوان رخصة إنشاء حزب سياسى مثل غيره من الأحزاب ، وهو تطور كان للظروف الذاتية التى مرت بها الجماعة ، وللظروف الموضوعية المتأزمة التى تعيشها مصر ، فضل إحداثه ، حيث أدت الأزمة الاقتصادية وفشل مشاريع التنمية ، وتفاقم أعباء الديون الخارجية إلى اشتداد مواز لأزمة الشرعية السياسية التى يمر بها النظام السياسى والتى أعقبها اغتيال السادات (١٩٨١م) مما دفع بقوى حركة الإحياء الإسلامى ، وفى مقدمتها الإخوان المسلمون للإفصاح عن نفسها عبر سلسلة من الممارسات السياسية مثل الانتخابات وغيرها .

أما علاقة الإخوان بالسادات ، فيرى بعض الباحثين أنها تعود إلى أواخر العهد الناصرى عندما أراد عبدالناصر أن يحدث مصالحة وطنية مع كافة التيارات السياسية المناوئة له فأرسل أنور السادات لإجراء اتصالات مع قادة الإخوان فى المعتقل ، وذلك وفقاً لشهادة أحد الإسلاميين المعروفيين: (صالح الوردانى: الحركة الإسلامية فى مصر: رؤية واقعية لمرحلة السبعينيات . دار البداية ١٩٨٧ القاهرة، ص ٥٧ «جدير بالذكر أن مؤلف هذا الكتاب أحد الذين اتهموا على ذمة قضية تنظيم الجهاد الإسلامى عام ١٩٨١، ولكنه تشيع بعد ذلك وصار من أشهر الكتاب الشيعة فى مصر»).

وكان للإخوان وللسادات مصلحة مشتركة فى إبقاء العلاقات طيبة بينهما. فمصلحة الإخوان فى أن يعودوا ويكون لهم وجودهم الشرعى المعترف به، ومصلحة السادات فى أن يكون الإخوان لافتة لنظامه تحتوى أى مد إسلامى يبرز على الساحة وتكون عوناً له فى مواجهة الشيوعيين والناصريين . لأجل ذلك سخر الإخوان كل الإمكانات الإعلامية المتاحة لديهم وفى مقدمتها مجلة «الدعوة» فى محاولة إثبات أن الإخوان بعيدون عن ممارسة العنف والتطرف ، وبدا هذا وكأن حركة الإخوان قد تبرأت من التيارات الإسلامية الأخرى التى تتخذ موقفا معاديا من نظام السادات.

وعلى الرغم من تميز مواقف الإخوان وسلوكهم، ومن ثم فكرهم بالمرونة مع النظام السياسى إبان فترة السبعينيات إلا أن ذلك لم يشفع لهم عند السادات فى شىء. وعندما صدرت قرارات سبتمبر/ أيلول ١٩٨١م، كان الإخوان من أوائل الذين شملتهم موجة الاعتقالات فى صباح الثالث من سبتمبر/ أيلول .

* * *

نخلص مما سبق إلى القول بأن جماعة الإخوان المسلمين أكثر التنظيمات الإسلامية وزناً فى السبعينيات، نبذت طوال فترة السبعينيات أهم سمات تيار الإسلام السياسى قاطبة، وهى سمة العنف والجهاد المسلح، وأنها تعاونت بصور شتى مع النظام السياسى الحاكم فى مصر خلال تلك الفترة، وكانت لها مواقفها النظرية - فقط - دون السلوكية تجاه إسرائيل والولايات المتحدة ، وهى مواقف معادية وإن كانت درجات العداء تفاوتت بين إسرائيل

الأكثر عـداء وأمريكا الأقل عداء، وأنها ترفض فـصل الدين عن الدولة، وترفض الأحزاب، ولكن ما تلبث مع أوائل الثـمانينيات أن تتحالف مـعها فى تطور هام طرأ على بنيـتها الفكرية التاريخية.

وأخيـراً أدت حركـة الإخوان بـعض الوظائف السيـاسيـة التى أرادها السادات، وعنـدما همت أن تخرج بـرأسها خـارج الإطار السياسى المرسـوم لها سلفـاً عجل النظام بضـربها فى الثالث من سبتمبر/ أيلول ١٩٨١م. وفى تلك الأثناء كان مجتمع حركة الإحياء الإسلامى فى مصـر يموج بتـيارات أخرى، أقل عـدداً، وإن كانت أكـثر عنفـاً وتأثيراً، وهى التـيارات التى سيـقدر لإحـداها (جماعـة الجهـاد الإسلامى) وقبل مـرور شهـر واحد على إخفـاق المنهج الإصلاحى داخل الحركة الإسلامية (منهج الإخـوان) فى التعامل مع النظام الحاكم وقتها، أن تلفت الأنظار إليها، ولأمد طويل، بقـيامها باغتيال الرئيس السادات فى السـاعة الواحدة ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٦أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٨١م).

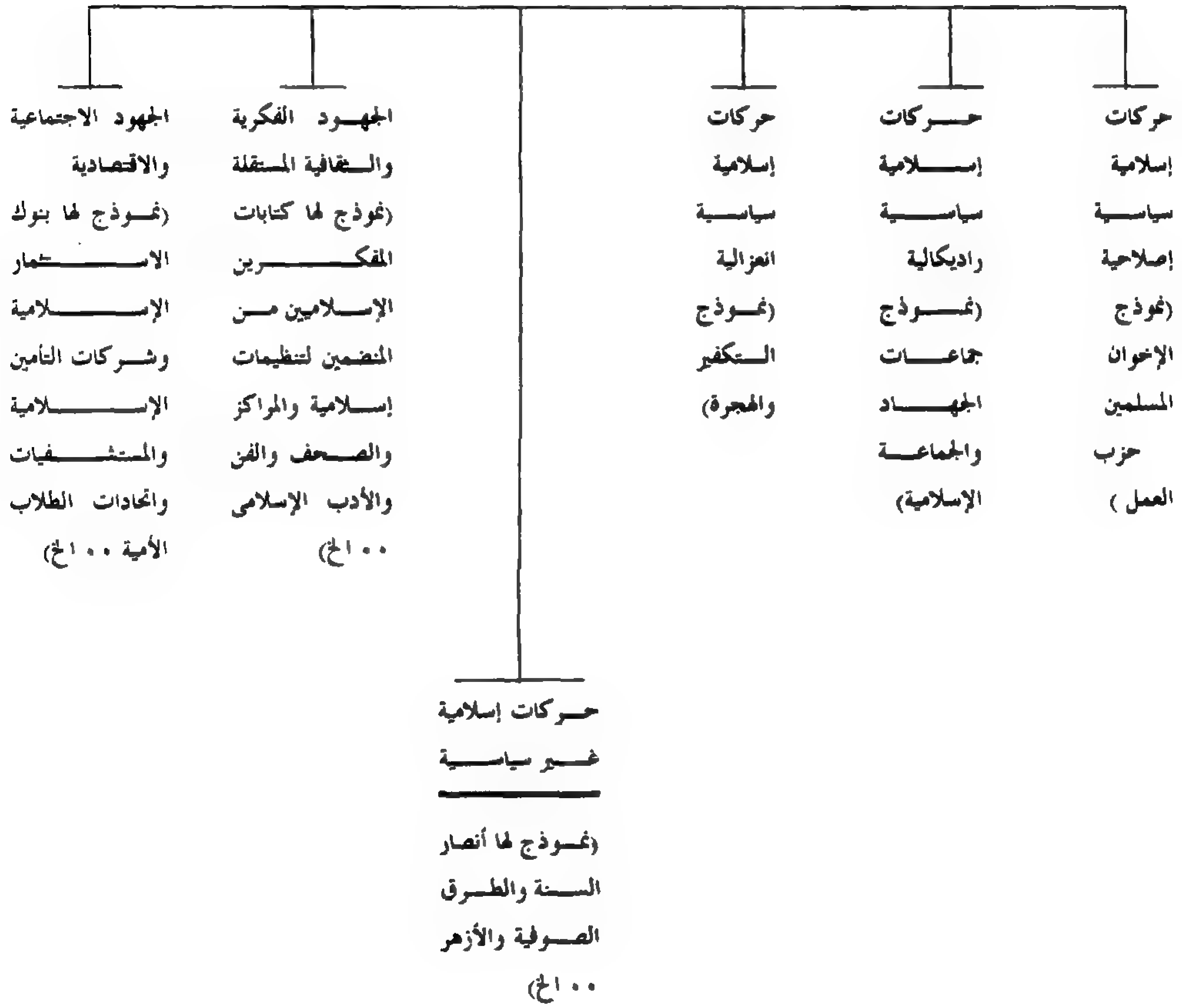
* * *

الملاحق

ملحق رقم (١)

التقسيم النوعي للحركات الإسلامية فى مصر

الإصلاحي منها والراديكالى



ملاحق الفصل السادس

الإخوان وعصر السادات

ملحق (٢)

الهيكل التنظيمي والإدارى لجماعة الإخوان

الهيئة التأسيسية لجماعة الاخوان

المرشد العام

الوكيل العام

نائب المرشد العام

السكرتير العام

مجلس شورى التنظيم

المتحدث الرسمى باسم المكتب ويقوم به الآن المستشار المأمون

الهيئة الفنية للجان	الوحدات المنفذة والأقسام الرئيسية		الهيئة الإدارية
	الوحدات المنفذة	الأقسام الرئيسية	
المالية	مكاتب إدارية	قسم نشر الدعوة	موظفو السكرتارية
السياسية	مناطق	قسم العمال والفلاحين	(للمرشد العام)
الإحصائية	شعب	قسم الجوالة	السكرتارية العامة مراقب
الخدمات	أسر	قسم أسر	المركز العام ومعاونه
الإفتاء		قسم الطلبة	موظفو الخزانة قسم المبيعات
الصحافة		قسم التربية الدينية	والمكتبة وسعاة وفراشون
والترجمة		قسم الاتصال الخارجي	الأطباء . المهندسون
		قسم المهن وفروعها	القانونيين . المعلمون
			التجار . الزراعيون
			الاجتماعيون . الصحافيون
			الموظفون

المصدر : حسين بن محمد على بن جابر ، الطريق الى جماعة المسلمين (المنصورة : الوفاء للطباعة والنشر ، ١٩٨٧) ، ص ٣٢٢ .

ملاحظة : لازال هذا التقسيم عند الإخوان فى مصر قائماً ، وإن زاد عليه سيطرتهم شبه الكاملة على بعض النقابات المهنية المختلفة وتوسع نشاطهم السياسى وإعداد فريق انشق عنهم لإنشاء حزب سياسى رسمى هو حزب الوسط بقيادة المهندس أبو العلا ماضى .

الفصل السابع

الإسلام السياسى يدخل مرحلة التكفير

فى تلك الأيام، التى نفضت فيها مصر جزءا ولو ضئيلا من هزيمة العام ١٩٦٧ بالانتصار الجزئى فى العام١٩٧٣، كانت البلاد حبلى بتغيرات سياسية واقتصادية عنيفة. فالرجل الذى أحرز الانتصار، (أنور السادات) كان يمتلك خطة للتحول السياسى والاقتصادى بعيداً عن سلفه، ولكنه كان يكتمها إلى حين الانتهاء من إجراءات تحريك الموقف على الجبهة بالحرب الجزئية، وما أن انتهى منها، إذ به يعلن عن سياسات الانفتاح الاقتصادى، واستبعها بالحديث عن إنشاء (المنابر) فالأحزاب السياسية، وإدارة العلاقات العربية/ العربية بمزيد من التوتر، مع انفتاح استراتيجى كامل مع الولايات المتحدة على أيدى هنرى كسينجر صانع النجوم السياسية أوائل السبعينيات فى منطقتنا.

فى هذه الأجواء كانت الجامعات والمصانع ومؤسسات المجتمع الأهلى المصرى تترقب وتنتفض وترفض، وكانت السجون تخرج من بين جدرانها معتقلين وتدخل آخرين، تخرج الإخوان وتدخل رفاق عبدالناصر وفلول اليساريين والحركة الطلابية؛ وعلى أنغام هذه المعزوفة من التحولات برز تيار التكفير والهجرة (أو جماعة المسلمين) كأحد أبرز تعبيرات الإسلام السياسى العنيف فى مصر وفى المنطقة كافة، ظهرت لتقول للسادات ولنظامه ومن قبله لعبدالناصر ولنظامه : كل ما تقومون به لا علاقة له بالإسلام بل هو كفر بواح، ومن ثم وأخرجتهم تماما من (الملة)، مثلما أخرجت المجتمع ذاته من (الجنة)!!

ترى كيف تنظر هذه (الجماعة) إلى الإسلام والعالم والمجتمع خاصة ، وهى جماعة صار لها اليوم (٢٠٠١) مريدون جدد فى الخليج العربى وفى بلاد المغرب لا ينكرون

انتماءهم بل يفاخرون به مثلما فاخر به عناصر منها ظهرت صيف العام الماضى بالإسكندرية شمال مصر كان البعض منهم يرتبط بأسامة بن لادن وأفكار طالبان ، وظهر ذلك حاليا حين نتهم أسامة أنه قسم العالم إلى فسطاطين (على حد قوله) فسطاط الكفر، وفسطاط الإيمان . تماما مثلما فعل شكرى أحمد مصطفى فى أدبياته وسلوكه؟

ذلك ما تحاول هذه الحلقة الإجابة عليه:

نشأة الجماعة وتطورها

تعود نشأة جماعة المسلمين (التكفير والهجر) إلى عام ١٩٦٩، حين كان اللواء حسن طلعت مدير مباحث أمن الدولة يجرى حوارا مع من تبقى من الإخوان المسلمين عام ١٩٦٩ فخرج عليه ١٣ شابا يقودهم شاب تقول الدراسات المتوافرة أنه كان غريب الملامح والنظرات وقال له : "أرفض الحوار معك لأنك كافر وحكومتك كافرة" وكان هذا الشاب هو شكرى أحمد مصطفى، وكان الـ ١٣ شابا هم النواة الأولى لجماعته التى أسماها (بجماعة المسلمين) وعرفت إعلامياً بجماعة « التكفير والهجرة ».

وكانت الجماعة أبرز انشقاق فى صفوف الإسلاميين فى مصر خلال السبعينيات حين أتت بما لم تستطعه الجماعات الأخرى، وكانت أفكارها راديكالية - بمعايير الإسلاميين - حين تبنت الدعوة إلى الله وإقامة الدولة الإسلامية عن طريق الاعتزال والهجرة ، ثم استخدام العنف وحين تبنت مقولات جاهلية المجتمعات القائمة وطالبت بتغييرها ، وأيضا تمايزت بقولها أن من لا يدخل جماعة المسلمين فهوكافر إذا كان قد بلغه الأمر ولم يصدع له، والجماعة الإسلامية فى عرف شكرى أحمد مصطفى تمر بمرحلتين: مرحلة الاستضعاف وهى تلك التى تتم فيها الهجرة وتكوين « يثرب المعاصرة » وتبدأ هذه المرحلة من الكهوف والجبال والصحراء ، ومن هناك تبدأ المرحلة الثانية « مرحلة التمكين » وتعنى « الصدام مع الكفار » .

تبنت الجماعة العديد من الأفكار والآراء التى قال الإسلاميون من ذوى الاتجاه الأصولى نفسه، بشططها وتجاوزها، وتدريجيا اختفت الجماعة بعد إعدام شكرى وأربعة من

رفاقه ، وبعد أن كانت ملء الأسماع والأبصار، بعد قتلها للشيخ حسين الذهبى وزير الأوقاف فى يوليو ١٩٧٧، ويختلف البعض ممن التقى بجماعة المسلمين داخل السجن قبل إعدامهم، مع الرواية السابقة (تقصد رواية قتل الذهبى) مؤكداً أن أعضاء الجماعة أكدوا له أن لا علاقة لهم بعملية قتل الشيخ حسين الذهبى، وأن السادات هو الذى خطفه ثم قتله، بهدف الاقتصاص من الجماعة ومن التيار الإسلامى المتنامى وقتذاك!!

ولهذا يرجع البعض أسباب العنف السياسى لدى شكرى إلى تأثره خلال الستينيات بكتابات سيد قطب. ويرى هؤلاء أنه عندما بدأت تظهر داخل سجون الستينيات بذور التكفير داخل المعتقل، على يد بعض رجال الإخوان وفى مقدمتهم الشيخ على إسماعيل شقيق الشيخ عبدالفتاح إسماعيل - أحد الذين أعدموا مع سيد قطب - بمجرد ظهور طلائع التكفير انتمى لها شكرى على الفور وأصبح أحد أتباع هذا التيار الذى بدأ يطرح قضية تكفير عبدالناصر ثم انتقل إلى تكفير الذين يمارسون التعذيب على المسلمين ليتطور بعد ذلك إلى تكفير المخالفين له من الإخوان، وفى هذه الأثناء صدر كتاب الهضيبى (دعاة لا قضاة) بهدف الرد الفكرى والسياسى عليهم، إلا أن شكرى ثبت على موقفه ولم يرجع عن فكر التكفير ومعه بضعة أفراد يعدون على الأصابع.

وحاول شكرى تقنين نظرية للتكفير ونجح فى ذلك ، ثم بدأت جماعته الإسلامية فور خروجه من المعتقل عام ١٩٧١ تجاوز الخط الحركى الذى رسمته لنفسها فى مواجهة الواقع والدخول فى صراعات جانبية مع من تناولها بالهجوم من رجال الأزهر وغيرهم من المثقفين والمناوئين، لتكون النهاية هى تصفية الجماعة وتقديم أفرادها للمحاكمة العسكرية والتى أصدرت حكمها بإعدام شكرى وأربعة من عناصرها القيادية . بالإضافة إلى أحكام طويلة بالسجن نالها أفراد الجماعة الآخرين.

وبإعدام شكرى أصيبت الجماعة بهزة عنيفة وسط الساحة الإسلامية منذ وقوع حادثة الشيخ الذهبى ونتيجة لظروف المجتمع المصرى المتجددة، ويرى المستشرق الفرنسى جيل كيبل فى كتابه (النبى وفرعون) أن أجهزة الإعلام صورت شكرى مصطفى على أنه (مجرم

مجنون) الأمر الذى يراه غير صحيح، ذلك أنه يمتلك نظرية سياسية إلى حد بعيد يمثل «الإسلام محورها».

محاور فلسفة التكفير كما أتى بها شكرى مصطفى

من واقع كتابات شكرى مصطفى يمكن بلورة ثلاثة محاور لفلسفة التكفير:

(أ) رفض التراث الإسلامى السابق له.

(ب) العزلة عن العبادات المعاصرة وعن المساجد.

(جـ) العزلة عن الفكر المعاصر ونتاجاته المادية.

بتفسير هذه المحاور نجد أن السمة التى كانت غالبة بالنسبة لأعضاء جماعة المسلمين خلال السبعينيات هى رفض التراث الإسلامى، ومن ثم رفض مسألة الاجتهاد وتفسيرها تفسيراً مختلفاً تماما عن التفسير المتعارف عليه لها، فالاجتهاد عنده إنما يكون مع النص ولا يجوز فى حالة انعدامه ، لأنه يعتبر فى هذه الحالة محاولة قياس بالرأى أو بمثابة تشريع للأمة ولا يوجب الاتباع وباطل من أساسه.

بناء على ذلك فإن جماعة المسلمين لا تعترف بالإجماع أو القياس أو المصالح المرسلة أو غير ذلك من الأصول والقواعد الفقهية اللازمة كأدوات يعتمد عليها المجتهد لاستنباط الحكم الشرعى، ويرى أيضا أعضاء هذه الجماعة أن الكتاب والسنة هما الحجة ولا حجة غيرهما، ولهذا «فإننا نضرب بالإجماع وبالقياس، وعمل أهل المدينة وحجة رأى الصحابة وبرأى الفقهاء عرض الحائط... ولا نستدل إلا بالكتاب والسنة» [من أقوال شكرى فى القضية رقم ٦لسنة ١٩٧٧ أمن دولة عسكرية - وكذلك كتابه «التوسمات»] .

والغريب أنه رغم تبنى جماعة المسلمين لهذه الرؤية تجاه التراث عامة والاجتهاد خاصة فإنها تلتزم بعدة قواعد اجتهادية من استنباط شكرى، فى مقدمتها قاعدة المصر على المعصية كافر وقاعدة المعصية شرك، ولا يعترف أعضاؤها بأى نتاج فقهى أو فكرى سابق

وفى الوقت نفسه لا يعتبرون اجتهادات شكرى مصطفى محض اجتهاد بل يعتبرونها الحق الذى لا مراء فيه.

وعلى هذا الأساس كان أعضاء جماعة المسلمين (التكفير والهجرة) يرفضون اتباع الفقهاء والاقتداء بهم ، ويعتقدون أنه يمكن فهم الكتاب والسنة مباشرة دون الاستعانة بأهل العلم ، وهم يستمدون هذا الموقف من خلاله قوله تعالى : ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾، ولأجل هذا ابتدع شكرى قاعدة تنص على أن (من قلد كفر) أى من اتبع أحداً من الفقهاء يخرج من ملة الإسلام ، وقد استدل على رأيه هذه بقوله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾.

هذا ويذهب شكرى إلى أن تسمية الأشياء باسمها الشرعى هو مناط الهدى والتدين بالدين الإسلامى الصحيح ، وأنه إذا فسدت هذه الأسماء ووضعت أسماء على غير مسمياتها الحقيقية اختل الميزان والمعيار تماما ، وبالتالى يمكن تسمية الشر باسم الخير والقبح باسم الجمال وأنه قد طرأ على ما يسمى بالفقه الإسلامى مصطلحات غريبة ومصادمة للأسماء الشرعية.

وتعد قضية (التوسمات النظرية والحركية) بالنسبة لشكرى مصطفى، من الدلالات الهامة على قضية العزلة ، والمقصود بالتوسمات استلهام خطة التحرك من خلال النصوص الواردة حول علامات آخر الزمان، التى تنبأت بها الأحاديث الشريفة، وفى مقدمتها نبوءة عيسى ابن مريم وحدوث الملحمة القتالية الكبرى بين المسلمين والمسيحيين، والتى يعدها شكرى صورة الصراع الوحيدة بين الحق والباطل التى يجب أن ينتظرها المسلمون .

على ضوء قضية التوسمات كان شكرى لا يجيز أى صورة من صور الصدام الحركى مع الواقع ، ولا يقر فكرة الجهاد ، ولا يؤمن بوجوب إقامة دولة إسلامية فى هذا الزمان لأنه (زمن) وليس هناك من النصوص الواردة فى السنة حول علامات هذا الزمان ما يشير إلى ذلك وفقا لقوله. إلا أن حادثة قتل الشيخ الذهبى والصدام مع النظام السياسى تناقض هذه القضية من أساسها.

ويعتقد شكرى أن الجيوش الإسلامية حقا لم تقاتل أبداً عبر التاريخ الإسلامى إلا بالسيف والرمح والخيل ، ولن تكون هناك جيوش إسلامية تقاتل إلا بهذه الوسائل حيث إن الجهاد متوقف حتى يحين وقت الملحمة الكبرى فى آخر الزمان بين المسلمين والروم والتى سوف تكون أدوات القتال فيها هى السيف والخيل والرمح.

٣ - الرؤى السياسية لشكرى مصطفى :

تتمحور الرؤى السياسية لشكرى مصطفى حول عدد من المحاور الرئيسية يمكن إيجازها فى الآتى:

(أ) رؤيته للصراع مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

(ب) رؤيته لأنظمة الحكم وللمجتمعات الإسلامية فى السبعينيات.

(جـ) خصائص البديل الإسلامى الذى يقدمه شكرى، وبتفصيل هذه النواحى يتضح ما يلى:

(أ) رؤيته للصراع العربى الإسرائيلى وللولايات المتحدة الأمريكية: كان لغلبة الإسراف فى مرحلة الاستضعاف، ولغلبة عامل العزلة عند شكرى مصطفى وباقى تيار التفكير - كان لذلك آثاره على موقفه من قضية فلسطين ومن طبيعة العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية . إذ لا نجد للقضيتين أثراً فيما كتب شكرى مصطفى بخط يده فى المصادر التى أتيح للباحث الإطلاع عليها، إلا إذا كان شكرى يدخل ضمن المجتمعات الجاهلية المعاصرة (إسرائيل والولايات المتحدة) وعليه فإن الموقف الذى يتخذه هنا هو الهجرة والانتظار لمرحلة «التمكن» يوم أن تأتى الملحمة الكبرى فى آخر الزمان، إن جماعة المسلمين بهذا تؤمن بالجهاد المسلح . أما توقيت هذا الجهاد وأدواته فهى ترى أن توقيته يأتى مع الملحمة الكبرى فى آخر الزمان وأدواته لابد أن تكون السيف والرمح، وجدير بالذكر أن المحكمة التى نظرت قضية الشيخ الذهبى وجهت إلى الجماعة سؤالا عن موقفهم من اليهود إذا قاموا بغزو مصر فكانت إجاباتهم هى: رفض مواجهة اليهود والهرب إلى مكان آمن.

(ب) رؤيتـه لأنظمة الحكم وللمجتمعات الإسلامية في السبعينيات:

يلحظ الباحث بداية اختلاط مفهومى (نظام الحكم) و(المجتمع) فى أغلب كتابات شكرى وفى محاكمته أمام المحكمة العسكرية . فالجميع لديه يقعون فى مربع واحد، (مربع الكفر)، ولتحليل هذه الرؤية سوف نقوم بالتعرض للنقاط التالية: معيار المسلم عند شكرى، ورؤيته لقضية الديمقراطية والوحدة الوطنية ومظاهر الكفر فى المجتمع، ثم رؤيته لأنظمة التعليم والتشريع وموقفه من الحركات الإسلامية الأخرى ، وأخيرا رؤيته لنظام السادات القائم فى مصر إبان قيادته لجماعة المسلمين.

بالنسبة للقضية الأولى ، معيار المسلم: يرى شكرى أن المسلم الذى يحكم له بالإسلام هو من: أعلن كفره بالطاغوت، وإيمانه بالله، وتسليمه، تسليما له وحده، وذلك بتوجيه الشهادة يقول تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة ٢٥٦] ثم يتبع هذه الشروط الشهادة بنبوة محمد ﷺ، والدخول فى طاعته وذلك ركن بيعة النبى ﷺ، أى مبايعته على الإسلام. ويؤكد شكرى مصطفى أن شروط المسلم إتيان الفرائض التى افترضها الله عليه والمداومة على ذلك ، ويحدد شكرى شروط المسلم الحق فى موضع آخر بأنها شهادة لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، إتيان الفرائض (صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وأمر بالمعروف... إلخ) واجتناب النواقض، ويرى البعض من الذين انشقوا عن جماعة شكرى مصطفى أن هذه المعايير «مجرد تفصيل للكلام وتضارب غير محدد المعالم وأن جماعة شكرى تقر قاعدة ثم سرعان ما تتحد على خلافها».

وبالنسبة للقضية الثانية . قضية الديمقراطية والوحدة الوطنية، يرفض شكرى هاتين المقولتين وفقا لوثيقة «الهجرة» حيث يرى أن الإحسان فى التعامل مع غير المسلمين معناه التسوية بين المسلم والكافر فى نهاية الأمر سواء محياهم أو مماتهم، فما يسمونه بديمقراطية الإسلام أو بتسامح الإسلام أو بالوحدة الوطنية وسائر شعارات الماسونية فى ثياب الإسلام ، أو أن يكون للكافر بالله، عزة فى أرض الله، نرفض ذلك ونرفض ما ينادى به أولئك الذين يبيعون الإسلام بالبخس».

وبالنسبة للقضية الثالثة، والمتعلقة برؤيته لأنظمة التعليم والتشريع والداعين للعمل الإسلامى من داخل المجتمعات الجاهلية، يرى شكرى أنها أهم ركيزة على الإطلاق من ركائز اليهود لتوحيد فكر الأميين، وتوجيهه حسب ما يريدون وصرف جهودهم إليه، بل واجبى أن أذكر أن أول شرط يشترطه اليهود على عملائهم فى هذه البلاد المسماة بالإسلامية هو شرط محو الأمية فى هذه البلاد». ويقصد شكرى من هذا أن يضمن المستعمر سيطرته على البلاد من خلال النخبة المتعلمة التى يخرجها ومن خلال أساليب تعليمه ومدارسه ، وفى سبيله لإثبات ذلك يرى شكرى أن تلك النظم التعليمية نظم أرضية لخدمة الدنيا وليس الدين » .

ويزداد الرفض السياسى لهذه الأنظمة التعليمية والتشريعية ضد الإسلام إلى مداه عندما يرى أن هذه (النظم التعليمية والتشريعية ضد الإسلام ذاته).

والتوصيف نفسه ينطبق على الداعين للعمل الإسلامى (مثل الإخوان المسلمين) من داخل المجتمعات الجاهلية حين يعدهم شكرى، «معادين لله ولرسوله، وموالين للكفر ولمن يعملون فى سبيل الطاغوت».

من هذا التحليل نخلص إلى أن شكرى يرفض نظم التعليم والتشريع والبرلمانات وكافة دعاوى الديمقراطية والوحدة الوطنية التى كانت تموج فى مصر خلال تلك الفترة (منتصف السبعينيات) ويرى أن الرسول لم يأمر بذلك. ويحكم على مرتكبى هذه الأعمال بالكفر والعصيان للرسول ولله ، وهى رؤية يلاحظ عليها أنها تطبيق عملى لفلسفة العزلة والتكفير التى مثلت ركيزة أساسية عند شكرى مصطفى والتى تدور من حولها كافة القضايا.

أما بالنسبة للقضية الرابعة، والخاصة برؤية شكرى لنظام السادات، نرى أنه من الثابت علمياً، أن النظام السياسى القائم فى مصر إبان قيام وسقوط (جماعة المسلمين التكفير والهجرة) كان يعد نظاماً جاهلياً أو كافراً (من وجهة نظر تلك الجماعة) وإن لم توجد داخل أوراق ومخطوطات شكرى ما ينطق بهذا التخصيص فهو عنده أحد الأنظمة التى «تعلو البلاد المسماة بالإسلامية» بيد أن أوراق التحقيق مع شكرى تثبت أنه لم يحاول الاتصال

بأجهزة الدولة الرسمية ولكنه قال رغم ذلك فى سياق توصيفه لنظام السادات : «لاشك أن نظام السادات أفضل ألف مرة من نظام عبدالناصر . فعبدالناصر ما كان ليسمح لنا بالعمل كما نفعل الآن ولا أن ننشر دعوتنا علانية كما نفعل الآن».

ويثبت عكس هذا المنحى السياسى عند شكرى بتحليل المطالب التى قيل إنه تقدم بها عقب اختطاف جماعته للشيخ الذهبى، والتى احتوت على عدة مطالب مالية (٢٠٠ألف جنيه فدية) وسياسية (الإفراج عن أعضاء الجماعة المقبوض عليهم) وصحفية (الموافقة على نشر كتاب شكرى «الخلافة» على حلقات فى الصحف اليومية) وأمنية (تكوين «لجنة تقصى حقائق لفحص نشاط مباحث أمن الدولة ومحكمة أمن الدولة ومكتب المدعى العام بالمنصورة والقاهرة»).

وبتحليل هذه المطالب يجد الباحث أنها ترى فى النظام القائم نظاما بوليسيا ومعاديا للمسلمين، وأنه لابد من تعريته سياسيا على أوسع نطاق، وأن مجرد نشر مؤلف «الخلافة» يعد اعترافا ضمنيا من النظام السياسى بجاهليته، وبأن رؤية شكرى عنه صائبة.

ضمانات التجمع الإسلامى

يقول شكرى فى إحدى وثائقه: «إن الجماعة المسلمة تضمن لمن فيها ممن أعلن قبوله للإسلام وانضواءه تحت راية الحق التى لا تشبه على الإطلاق غيرها من الجماعات بلا استثناء» ما يلى: -

(١) المنع من إظهار الشرك الظاهر كعبادة الأصنام أو الكواكب أو الموتى ، أو كفر ظاهر كسب الدين أو ارتداد كامل كالشيوعية والبهائية والماسونية.

(٢) إقامة الحدود ورد الحقوق.

(٣) المنع من الإصرار على المعصية أو ترويجها.

(٤) المنع من إنكار معلوم من أمر الدين بالضرورة.

(٥) فرض تعلم الدين وتعليمه.

(٦) إيجاب الفرائض الظاهرة كالصلاة والزكاة والشهادة واستيفاؤها.

(٧) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيما بين الأفراد.

(٨) الإشراف على تعظيم الله وحقه فى صدور الناس واستغلال وسائل التربية والتعليم والإعلان - كلها لتربية وازع مراقبة الله تعالى عند كل مسلم فى السر والعلن.

(٩) تميز المسلم عمن عداه من رعايا الدولة من غير المسلمين حتى يمكن التفريق بينهما بمجرد النظر.

(١٠) توجيه الأمور كلها بكامل قوتها وبكامل هيئاتها وبشتى مؤسساتها للعمل فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

والآن... يقول شكرى : «وبعد أن عرضنا الهجرة كطريق للعمل الأمثل والوحيد الذى تسلكه الجماعة المسلمة ولا تمضى بخطواتها فى غير هذا الطريق...» نطرح هذا السؤال:

هل تحقق الهجرة هدف الحركة الإسلامية؟

بدون تردد يحق لنا أن نقول إن الهجرة تحقق هدف الحركة الإسلامية - بل ليس هناك طريق غيرها تستطيع به الجماعة المسلمة الوصول إلى هدفها، فلننظر إلى هدف الحركة الإسلامية، هل يتحقق من خلال الهجرة أم يتعثر الوصول إليه؟

النجاة الفردية

يجيب شكرى قائلا :

«يفر المرء بدينه من دار الكفر والإيذاء والفتنة إلى أرض الله الواسعة حيث لا فتنة ولا كفر ولا إيذاء، ولكن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، وبدلا من أن يكون مستضعفا فى الأرض، أصبح عزيزاً فى دينه متمكناً فى الأرض بعزة الله، وبدلا من أن يجبر على فعل ما حرم الله فى أرض الجاهلية سيتبع شرع الله ولا يضطره أحد على مخالفة ما أنزل الله والوقوع فيما حرم الله ، وبدلا من أن يرى المنكر ولا يستطيع أن يغيره سيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وبدلا من أن يخالط أهل الجاهلية ويقعد معهم وهم يكفرون بآيات الله ويستهزئون بها سيكون كل من حوله على دينه يعظمون شرع الله ولا يكفرون به، سيتنفس تنفساً طبيعيا، ولا يشعر بالغربة والوحشة، لا فتنة وفاحشة ولا إيذاء ولا استهزاء، ما على المرء

إلا أن يعد عدته ويجمع أسلحته للانتصار على شيطانه ويجهر ما أمكنه الجهر فى تقوى الله والاستقامة على أمره».

طالبان : شكرى أحمد مصطفى

ثم يختتم شكرى توقعاته قائلاً فى إحدى وثائقه:

«إن تجمع المسلمين ولو على رأس جبل من الجبال أو فى بطن واد من الأودية وتحاكمهم إلى كتاب الله وتطبيقهم لشرعه وحدوده هم بذلك قد أقاموا دولة الإسلام يشع منها الهدى والنور ويتزايد. كلمتهم بسم الله ، وفى سبيل الله يقاتلون من كفر بالله، ويطهرون الأرض من الشرك والطغيان، ويخرجون العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار».

ولننظر هنا مدى التشابه فى الفكر والفعل مع حركة (طالبان) والأفغان العرب فى كهوف أفغانستان مع الفارق الزمنى والموضوعى بالطبع، ثم لننظر ماذا يقول شكرى أخيراً.

ويقول أخيرا:

«ليس هناك طريق آخر غير الهجرة للوصول إلى هدف الحركة الإسلامية ، وكل الطرق غير هذا الطريق تودى إلى الفشل والبعد عن الهدف».

وتنتهى أهم آراء وتوقعات شكرى مصطفى من خلال وثائقه التى لم تنشر كاملة حتى اليوم... والتى تناولتها وسائل الإعلام بأكبر قدر من التشويه المتعمد، وتبقى دلالتها الموحية والتى يمكن إيجازها فى هذه التساؤلات:

(جـ) خصائص البديل الإسلامى الذى يقدمه شكرى مصطفى: البديل الإسلامى عند أمير جماعة المسلمين «التكفير والهجرة» يعنى إقامة الدولة الإسلامية والتى لن تبنى إلا بوجود جماعة المسلمين ، وهو يرى أن هذه الجماعة لن توجد إلا بالاعتزال والهجرة من دار الكفر ومبايعة الأمير وإطلاق يده فى كافة أمور الجماعة صغر شأنها أم كبر وكل هذا لن يمر عبر بوابة الحركات الإسلامية الأخرى بل على أطلالها.

ولقد آثارت هذه الرؤية المثالية للعمل الإسلامي وللبديل الإسلامي المطروح العديد من التساؤلات من داخل الوسط الإسلامي في حقبة السبعينيات من قبيل: لماذا ظهرت أفكار شكري مصطفى هذه في هذا الوقت تحديداً من تاريخ مصر ؟ وهل لهذه الأفكار جذور فكرية راسخة غير تلك الاستشهادات الواهية بآيات القرآن، وأحاديث الرسول والتي كثرت في مخطوطاته ؟ ، بعبارة أخرى هل سبق شكري من قال من رجال الإسلام بهذه الأفكار أو قريبا منها ؟ ، ولماذا تضاءلت جماعة التكفير والهجرة بعد إعدام شكري ورفاقه عام ١٩٧٨ ؟ وهل يعود ذلك للملاحقة والمطاردة من قبل أجهزة الأمن، أم أن هذه الأفكار الإسلامية كانت نتوءاً شاذا في مسار العمل الإسلامي تاريخياً ومن ثم انتهت ذاتياً وليس بعوامل من خارجها.

وفي سبيل الإجابة عن هذه التساؤلات نرى أن ثمة ثلاثة عوامل أودت بهذه الجماعة إلى الانهيار.

العامل الأول: وهو يتصل بالجماعة من الداخل (الفكر، النشاط، البنية التنظيمية) وأن انهيار هذه الجوانب أدى إلى انهيار تدريجي للجماعة ككل، ولقد تم ذلك فور إعدام شكري مباشرة، مما يؤكد سطحية التأثير بالنسبة للفكر الذي حملته هذه الجماعة، وضعف بنيتها التنظيمية أيضا.

وأما العامل الثاني: من عوامل انهيار جماعة المسلمين، فيتعلق بدور الجماعة السياسي والاجتماعي في إطار المجتمع . حيث يلاحظ الباحث أن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي أصابت مصر في السبعينيات هيأت الإطار الموضوعي الذي ساهم في بروز الجماعة وفكرها، وهو نفسه الإطار الموضوعي الذي دفعها إلى الانزواء، وتفسير ذلك أن سياسات النظام السياسي في مجالات الاقتصاد والثقافة والقضية الوطنية، خلقت مناخا غير موات لاستمرار تيار التكفير، فالسادات كان يحاول في تلك الفترة (١٩٧٧) إعادة ترتيب البيت المصري من الداخل تمهيدا لمبادرته بزيارة القدس ، وكذلك لبدء التوسع في العلاقات مع الولايات المتحدة والكيان الصهيوني سياسيا واقتصاديا وعسكريا، كان هذا يعني عدم صعود تيار معارض لتلك التوجهات . من ثم تطلب الأمر الإجهاض المبكر على جماعة المسلمين وبعض القوى الأخرى المناوئة.

أما العامل الثالث: من عوامل انهيار جماعة المسلمين فيعود إلى وضع الجماعة المتدهور فى إطار تيار الإسلام السياسى . خاصة بعد اغتيال الشيخ الذهبى، وهو وضع يوضحه ظهور تنظيمات إسلامية أكثر فاعلية مثل (الجهاد الإسلامى) والجماعات الإسلامية بالجامعة، فضلا عن دعوة الإخوان المسلمين للعمل السياسى وإصدار مجلتهم «الدعوة» مرة ثانية عام ١٩٧٦ الأمر الذى قلص كثيرا من تأثير «جماعة المسلمين» على قطاعات الحركة الإسلامية، حيث الساحة لم تعد خاوية، كما كانت عندما تكونت الجماعة على أيدى شكرى مع نهاية الستينيات.

إننا نرى أن هذه العوامل مجتمعة تساعد فى تفسير سرعة اختفاء هذه الجماعة بعد إعدام قائدها ورفاقه، ولقد تعرضت الجماعة لانتقادات فكرية حادة من العديد من المدارس الفكرية المختلفة ، ووصل الأمر بالشيخ عبداللطيف مشتهرى إلى أن يرى أن(دعاة التكفير والهجرة يعدون من وجهة نظره بدعة ضالة) . وظهرت كتابات أخرى ترفض هذا الفكر الذى أتت به الجماعة وترى فيه غلوا غير مبرر ولا يتفق مع سماحة الإسلام. وبناء على ذلك لابد أن يتضاءل الدور السياسى والفكرى لهذه الجماعة ، وأن تنتهى تدريجيا مع نهاية السبعينيات ، وذلك لكون جماعة المسلمين (التكفير والهجرة) تمثل بأفكارها وبفهمها للإسلام انقطاعا حادا - ليس فقط عن المجتمع الذى قامت به أو الحركات الإسلامية التى واكبتها، بل وهذا هو الأهم عن التاريخ وعن الإسلام ذاته .

ورقة من وثيقة أخيرة

مطالب شكرى عقب اختطاف الشيخ الذهبى

أما مطالب شكرى مصطفى عقب خطف الشيخ الذهبى يوم ١٧ يوليو ١٩٧٧ فكانت:

١ - الإفراج فوراً عن أعضاء جماعة «التكفير والهجرة» المقبوض عليهم.

٢ - العفو عن أعضاء الجماعة المقبوض عليهم.

٣ - دفع ٢٠٠ الف جنيه فدية على أن تكون أوراق نقد سبق تداولها وليس بها أى علامة مميزة وأرقامها غير مسلسلة.

٤ - تعتذر الصحف والمجلات عما نشرته عن الجماعة بالبنط الأحمر العريض فى الصفحات الأولى .

٥ - الموافقة على نشر كتاب شكرى مصطفى «الخلافة» على حلقات فى الصحف اليومية ثم فى كتاب بعد ذلك.

٦- تكوين لجنة تقصى حقائق لفحص نشاط مباحث أمن الدولة ومحكمة أمن الدولة ومكتب المدعى العام فى المنصورة والقاهرة.

٧- إذاعة هذا البيان فى الإذاعة المسموعة والمرئية وفى الصحف اليومية الثلاث (الأهرام - الأخبار - الجمهورية) وفى الصحف العربية والأوروبية.

وهذه المطالب إذا ما قورنت بمطالب الدكتور صالح سرية أثناء قضية الفنية العسكرية ١٩٧٤ أو مطالب تنظيم الجهاد عام ١٩٨١ يبرز مدى الخلاف فى منهج التعامل مع القواعد بعد الوصول إلى السلطة أو بعد امتلاك أداة الضغط عليها وهى هنا (خطف الشيخ الذهبى)، وكيف أن منهج شكرى يعد أكثر تخلفا وذاتية إذا ما قورن بمنهج صالح سرية الذى طالب فيه بمطالب سياسية واقتصادية عامة «تهم القطاعات العريضة والمحرومة من الشعب كما جاء فى بيانه عام ١٩٧٤ عقب القبض عليه» وهو ذاته الفارق الجوهرى بين رؤى الداعين إلى منهج «الجهاد» (نموذج لهم سرية - ومحمد عبدالسلام فرج - وعبود الزمر وغيرهم) وبين الداعين إلى الهجرة والانزواء والانسحاب من المجتمع القائم تحت وهم جاهليته، وكان طبيعياً أن يؤدى المنهج الأخير إلى اندثار وزوال الداعين إليه واختفاء أفكارهم تقريباً من ساحة العمل الإسلامى، وفى المقابل تعاظم وانتشار أصحاب المنهج الثانى ولأفكارهم الجهادية، والثورية...

* ملاحظة (جميع الاقتباسات الواردة فى هذا الفصل من الدراسة أخذت من وثائق لشكرى أحمد مصطفى واردة فى كتبنا التالية (النبى المسلح - إصدار رياض الريس - بيروت/ لندن - ١٩٩١) وكذلك (تنظيمات الغضب الإسلامى فى السبعينيات - مكتبة مدبولى - القاهرة - ١٩٩٠)، وكذلك : (الحركات الإسلامية فى مصر وإيران - دراسة حالة مقارنة للسبعينيات - دار سينا للنشر - ١٩٨٩ - القاهرة) وجدير بالذكر أن أشهر كتب شكرى [الخلافة - التوسمات - الهجرة - الحجيات - أقوال شكرى فى القضية رقم ٦ لسنة ١٩٧٧ أمن دولة عسكرية] .

* * *

الفصل الثامن

مرحلة تأسيس العنف السياسى عند الإسلاميين
من (صالح سرية .. حتى محمد عبد السلام فرج)

عندما شاهد الجمهور يوم ٧/ ١٠/ ٢٠٠١م الدكتور أيمن الظواهرى، وهو جالس بجوار أسامة بن لادن ويتحدث عن جهاد أمريكا ويطالب الشعوب بالثورة والتغيير لإنقاذ فلسطين وبلاد الإسلام؛ تسألوا من جديد.. من أى نبع أتى الفتى؟ لقد تركناه فى مصر مع جماعة (الجهاد) وتنظيماتها السرية فى السبعينيات ، فمن حمله إلى هذه الكهوف والبلاد القاسية فى جغرافيتها وسياستها وثقافتها؟!

لقد توقف الكثيرون عند سطح الحدث ، دون أن يغوصوا إلى جوهره ، فلم يسألوا مثلاً عن الفكر الذى حرك أيمن الظواهرى ورفاقه لكى يذهبوا إلى أفغانستان دون المرور على فلسطين (مثلاً)، وعن جذور العنف التى تكمن فى هذا الفكر إلى الحد الذى دفعته هو وأبو حفص المصرى (محمد عاطف وكذلك الرفاعى أحمد طه (الذى قيل أن السودان سلمته لمصر عن طريق سوريا منذ أيام) ومحمد شوقى الإسلامبولى ومصطفى حمزة وغيرهم) إلى الهجرة إلى بلاد غريبة لنشر هذا الفكر ، أو على الأقل حمايته من الاعتقال والوأد فى بلادهم ، ودفعته أى (أيمن الظواهرى) ليؤلف عدة كتب وثائقية تشيع هذا الفكر وتؤسس له ومنها [الحصاد المر] و [فرسان تحت راية النبى] .

إنه فكر الجهاد المسلح، فكر (النبى المسلح) كما أسميناه من قبل فى كتابنا المعنون بهذا المعنى، ذلك الفكر الذى يأخذ من نموذج النبى الذى أتى بالسيف مثالا يحتذى، مع ترك وإغفال النبى الذى أتى بالحسنى وبالحوار، هذا الفكر انطلق مع التنظيم السرى (الجهاز الخاص) للإخوان فى الأربعينيات، وأبدع مع ظلال سيد قطب ومعالمه، وأينع مع رسالة

الإيمان لصالح سرية والفريضة الغائبة لمحمد عبدالسلام فرج وعبود الزمر ورفاقهم فى أشهر تنظيم إسلامى سياسى عنيف مر بتاريخ مصر والمنطقة العربية . ونقصد به تنظيم الجهاد والذى كان له سبق الريادة فى اغتيال أول رئيس جمهورية فى تاريخ مصر المعاصر (أنور السادات ظهر الثلاثاء ٦/ ١٠/ ١٩٨١) ماذا عن هذا التنظيم وأفكاره وماذا عن التنظيمات الأخرى التى عاصرته وأفكارها؟

يحدثنا التاريخ إن مصر عرفت أول جماعة للجهاد مع بدايات عام ١٩٥٨ كما سبق وذكرنا فى الفصول السابقة ، وكانت جميعها محاولات جنينية لم يقدر لها الاكتمال التنظيمى الواسع إلا مع حادث اغتيال الرئيس أنور السادات يوم ٦أكتوبر ١٩٨١، حين التقت قبل الاغتيال بشهور قليلة ثلاثة تنظيمات جهادية تعتنق فكرة الجهاد كفريضة غائبة، وفى هذا الجزء سوف نتعرض لأهم جماعات الجهاد التى ظهرت فى السبعينيات ومكونات رؤيتها السياسية.

(١) جماعة الفنية العسكرية بقيادة صالح سرية، ومكونات رؤيتها السياسية:

يعد هذا التنظيم أول محاولة غير فردية لأفراد يعتنقون فكرة الجهاد، تهدف إلى قلب نظام الحكم القائم فى مصر خلال حقبة السبعينيات انطلاقا من تدفق حركى ميز أداء قيادتها وقتذاك، ويعالج البحث هنا التنظيم ورؤيته السياسية من خلال التعرض لنشأة التنظيم وتاريخه ، ثم معالم رؤيته السياسية ومكوناتها.

(أ) **نشأة التنظيم وتاريخه:** نشأ صالح سرية فى حيفا بفلسطين، وانتمى فى سنوات شبابه الأولى إلى حزب التحرير الإسلامى الذى أنشأه تقى الدين النبهانى عام ١٩٥٠ كرد فعل لهزيمة الجيوش العربية فى حرب ١٩٤٨ ويقال كرد فعل لاغتيال حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وأن ثمة علاقات وثيقة كانت تربط هذا الحزب بالإخوان فى حرب ١٩٤٨، وعاش سرية بالأردن بعد خروجه من حيفا ، وعاصر أحداث سبتمبر ١٩٧٠ وعمل فى بغداد لفترة ثم جاء إلى القاهرة عام ١٩٧١ وحصل منها على دكتوراه فى التربية من جامعة عين شمس، ثم ما لبث أن غادرها إلى بغداد ثانية وعمل فى إحدى جامعاتها، لكنه

لم يلبث أن خرج منها هاربا بعد أن حكم عليه ـــ غيابيا ـــ بالسجن وكانت تهمته تكوين خلية لحزب التحرير الإسلامى ومناهضة نظام الحكم . ومن بغداد جاء إلى القاهرة، وفى القاهرة وجد من يدبر له عملا فى مقر جامعة الدول العربية.

ورغم الخلاف بين صالح سرية وجماعة الإخوان فإنه لم يجد أى حرج فى الاتصال بهم ، وكون سرية تنظيما كان مشابها لتنظيم معلمه «تقى الدين النبهانى» والذى يعتمد على أعضاء يجند كل منهم على انفراد.. ويعيشون حياتهم بصورة طبيعية، وقد كان معظم أعضاء التنظيم من طلبة جامعات القاهرة والإسكندرية والأزهر والفنية العسكرية، وقبل أقل من عامين على استقرار صالح سرية فى القاهرة، كان مستعدا للعمل المباشر.

كانت الخطة الموضوعة تتضمن هجوما على الكلية الفنية العسكرية، والحصول على المزيد من الأسلحة والمزيد من المتطوعين ، ثم الزحف على قاعة اللجنة المركزية - حيث يلقى السادات خطاباً وحيث يوجد أمامه كل أركان النظام - واحتلالها واغتيال الرئيس والوزراء والقادة ثم الاستيلاء على السلطة بعد ذلك، وفشلت خطة سرية ، ولم يكن فشلها يكمن فقط فى كونها تحركت فى توقيت غير صحيح ، وإنما كان يكمن أيضا فى تركيبة الحركة ذاتها وإمكاناتها ، فقد كان الأفراد الذين اشتركوا فيها لا يزيدون على المائة ، وكان عدد كبير منهم يتسلح بالسلاح الأبيض . بالإضافة إلى الوسائل البدائية التى حاولوا بواسطتها السيطرة على الكلية الفنية العسكرية بالعباسية فى القاهرة حين اقتحموها بمساعدة بعض طلبة الكلية وفى مقدمتهم كارم الأناضولى الرجل الثانى فى العملية والذى أعدم فيما بعد مع صالح سرية .

* * *

(ب) **مكونات الرؤية السياسية لصالح سرية:** لم تخلف الجماعة التى قادت عملية الفنية العسكرية وثائق فكرية يعتد بها كأول تنظيم موسع يقول بالجهاد المسلح فى السبعينيات ، إلا أن الدكتور صالح سرية خلف وثيقة فكرية هامة بعنوان (رسالة الإيمان) تشتمل على عدة أحكام بالكفر للنظام الساداتى القائم فى مصر وتتذاك وعلى ما يشابهه من الأنظمة بالبلاد الإسلامية الأخرى، ويدعو إلى الجهاد المسلح ، ويحدد واجبات المسلم ودوره، وبوجه عام

يمكن تلخيص الفكر السياسى الدينى للدكتور/ سرية بتلخيص أهم الأفكار المتعلقة بالجوانب السياسية فى (رسالة الإيمان).

فصالح سرية يرى أن الجهاد هو الطريق لإقامة الدولة الإسلامية، وأنه لا يجوز موالاة الكفار والأنظمة الكافرة ومن فعل ذلك فهو كافر، وأن من مات دفاعا عن حكومة كافرة ضد من قاموا لإقامة الدولة الإسلامية فهو كافر إلا إذا كان مكرها فإنه يبعث على نيته. ومن اشترك فى حزب عقائدى غير إسلامى فهو كافر، ومن اشترك فى جمعية عالمية كالماسونية أو اعتنق فلسفة مخالفة كالوجودية أو البرجماتية يعد لديه أيضاً كافراً، وهو يذهب إلى الحكم بتكفير وجاهلية المجتمع واعتباره دار حرب.

ويكمل هذه الرؤية السياسية تحليل البيان السياسى الذى كان يزمع الدكتور صالح سرية إذاعته على الشعب المصرى عقب استيلائه على السلطة ، فبعد أن افتتح بيانه بقوله تعالى ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء.. وتذل من تشاء.. بيدك الخير إنك على كل شىء قدير﴾ قال سرية: إن مبادىء الدولة ستقوم على أسس جديدة لا لبس فيها ولا تناقض، فالثورة لن تكون مقصورة على الجوانب السياسية والعسكرية فقط ، وإنما ستشمل جميع نواحى الحياة الاقتصادية والثقافية والتعليمية والوظيفية والاجتماعية وغيرها، وسوف تهتم الدولة - من وجهة نظره - اهتماما خاصا بالإيمان والأخلاق والفضيلة وبمصلحة الأمة أولا ثم المواثيق والاتفاقات، وستعمل الدولة على تحرير كل الأجزاء السليبة ، وعلى مساعدة كل المحرومين والمظلومين فى كل مكان وستقاوم الاستعمار بجميع أشكاله فى العالم، وستعمل على قيام الوحدة بكل الطرق، وإن الدولة سوف تحمى مبادىء العدل المشهورة فى تراثنا.

ولقد ذكرت جريدة الأهرام أنه كان موقعا بـ «رئيس الجمهورية صالح عبدالله سرية» ويلاحظ بوجه عام على البيان أنه قد صيغ فى نقاط سياسية محددة لا تتضمن المفردات الغامضة الشائعة لدى التنظيمات الإسلامية الأخرى السابقة له مثل مقولة (عودة الخلافة) دون تحديد كيف ستعود أو متى أو بأى الوسائل، ويلاحظ الباحث أيضا أنه أول برنامج

سياسى محدد يقدمه التيار الإسلامى السياسى فى السبعينيات وأنه يختلف كثيراً عما تضمنته وثيقة «رسالة الإيمان» التى غلب عليها عدم المرونة والحدة فى تناول كافة القضايا السياسية، بما فيها أبسط القضايا (تحية العلم وزيارة قبر الجندى المجهول) واعتبارهما من مظاهر الكفر الحديثة ، وقد يعود ذلك إلى طبيعة البيان السياسى، كبيان يقدم لشعب لايعلم هوية حكامه الجدد، بالإضافة لهذا يلاحظ أن البيان قد ذكر صراحة أنه يسعى إلى الوحدة ولكنه لم يحدد مع من؟ وأى وحدة يقصد . هل الوحدة العربية أم الوحدة الإسلامية؟ والبيان أعلن كذلك صراحة عن هويته الاجتماعية عندما قال بأن مهمة الدولة هى «حماية مبادىء العدل كما استقر عليها تراثنا» والاهتمام بالنواحى الاقتصادية والثقافية والتعليمية والاجتماعية، والملاحظة الأخيرة الجديرة بالعرض هنا هى تشكيك البيان فى استمرار العمل بالمواثيق والاتفاقات الدولية، وبأن مصلحة الأمة تحتل الأولوية لديهم، على الرغم من أن الوعد باستمرار العمل بتلك المواثيق والاتفاقات مثل مقولة ثابتة فى تاريخ الدولة المصرية، وكل نظام حكم جديد يأتى منذ مائتى عام على الأقل من التاريخ المصرى.

* * *

(٢) من الجهاد إلى فريضة عبدالسلام فرج الغائبة ورؤاها السياسية

تعود نشأة جماعة الجهاد الإسلامى التى أسس نواتها المهندس/ محمد عبدالسلام فرج إلى عام ١٩٧٩، وهى تعد الحلقة الثانية الهامة فى حلقات جماعات الجهاد فى مصر خلال حقبة السبعينيات ، ولقد مثلت جماعة عبدالسلام فرج نقطة التقاء ثلاث جماعات كانت تعمل متباعدة قبل عام ١٩٨٠ وهى فضلا عن جماعته، جماعة كرم زهدى بوجه قبلى وجماعة سالم الرحال الأردنى الجنسية الذى تولى كمال السعيد حبيب خريج كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - وقتها - قيادتها بعد هروب الرحال إلى الأردن، ومع عام ١٩٨١ ، تكون مجلس شورى موحد لجماعة الجهاد الإسلامى كما هو مبين (بالملحق المرفق) سمى بمجلس شورى التنظيم.

والذى يلاحظ فيه أن مجلس شورى التنظيم يرأسه أمير التنظيم والذى كان محمد عبدالسلام فرج، ثم ينقسم مجلس الشورى إلى ثلاث لجان:

اللجنة الأولى : لجنة الدعوة ، ومهمتها نشر الدعوة وتجنيد أعضاء جدد ، والتثقيف الفقهى والسياسى العام ، وكان يرأس هذه اللجنة محمد عبدالسلام فرج بالإضافة لرئاسته للتنظيم.

أما اللجنة الثانية: فهى لجنة العدة، ومهمتها وضع الخطط، وتنظيم حركة العمل وحركة التدريب وتجميع المعلومات تمهيداً لتغيير النظام السياسى القائم، ويرأسها عبود الزمر.

أما اللجنة الثالثة والأخيرة: فهى اللجنة الاقتصادية ، وكانت مهمتها دعم التنظيم وتوفير القوة المالية لحركته، من خلال زيادة الاعتماد على تبرعات الأعضاء وعمليات الهجوم على بعض محال الذهب الخاصة بالمسيحيين ، والتى يطلق عليها فى عرفهم «غنيمة» ويلاحظ أن هذه اللجنة لم يرد بشأنها فى تحقيقات القضية رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٢ المعروفة بقضية تنظيم الجهاد، تحديد دقيق لمسئولية إدارة هذه اللجنة ، وإن كنا نعتقد أن عبود الزمر كانت له إمرة قيادتها لكونه العقل المدبر لكافة عمليات الهجوم على محال المسيحيين من تجار الذهب .
تتمحور مكونات الرؤية السياسية لجماعة الجهاد فيما يلى:

(أ) رؤية عبدالسلام فرج من خلال كتابه (الفريضة الغائبة) لطريق الوصول إلى الدولة الإسلامية التى بشر بها الرسول ورأيه فى حكام اليوم والأسباب التى دفعته لاغتيال السادات.

(ب) أبعاد الرؤية السياسية لعبود الزمر ـ باعتباره ـ أهم عناصر الجماعة بعد عبدالسلام فرج من الناحية الفكرية والتنظيمية.

(جـ) رؤية جماعة الجهاد (فرع الوجه القبلى) للبديل الإسلامى الذى تنشده.

(د) رؤية تنظيم سالم الرحال لجوهر التحديات التى تواجه الإسلام السياسى فى السبعينيات وبتفصيل هذه النواحى يتضح ما يلى :

(١) دولة عبدالسلام فرج :

يرى فرج فى كتابه «الفريضة الغائبة» أن البديل الذى ينشده هو قيام الدولة الإسلامية والخلافة ، وأن الفكر المعاصر ، وداخل مصر على وجه التحديد يمثل فكر طواغيت الأرض التى لن تزول إلا بقوة السيف ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد بشر بإقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة. وأن إقامة الدولة الإسلامية أمر من أوامر المولى وواجب على كل مسلم بذل قصارى جهده لتنفيذه، كما يرى فرج أن حكم إقامة شرع الله على هذه الأرض فرض على المسلمين لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب أيضاً ، وأن الدولة الإسلامية لن تقوم إلا بالقتال.

وأوضح عبدالسلام فرج أيضا فى كتابه أن الأحكام التى يحكم بها المسلمون فى الوقت الحاضر هى أحكام الكفر، فهى قوانين وضعها كفار وسيروا عليها المسلمين ، وأن حكام هذا العصر تعددت أبواب الكفر التى خرجوا بها عن ملة الإسلام بحيث أصبح الأمر لا يشتبه فيه كل من تابع سيرتهم ، وأن حكام هذا العصر فى ردة على الإسلام تربوا على موائد الاستعمار . سواء الصليبية أو الصهيونية أو الشيوعية . فهم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء وإن صلوا وصاموا وادعوا أنهم مسلمون، ثم عقد مقارنة بين حكام التتار وحكام اليوم، وانتهى إلى أن صفات حكام التتار هى ذات صفات حكام العصر هم وحاشيتهم الموالية لهم الذين عظموا أمر الحكام أكثر من تعظيمهم لله ، وانتهى من هذه المقارنة إلى أن حكام اليوم مثل حكام التتار عزفوا عن شريعة الإسلام استناداً إلى فتاوى ابن تيمية ! !.

أما عن مبررات اغتيال السادات كما استقرت لدى محمد عبدالسلام فرج وباقى الذين شاركوا فى عملية الاغتيال فيمكن نلمسها من ثنايا التفكير التى وردت فى كتاب «الفريضة الغائبة» والذى استند بدوره على فتاوى ابن تيمية فى قتال التتار ، ومن هنا يعد فى تقديرنا أن ابن تيمية هو الذى قتل السادات وليس تنظيم الجهاد ونتيجة حرب الفتاوى هذه ، ويمكن حصرها من واقع آرائه السابقة، ومن واقع التحقيق فى القضية رقم ٧ لسنة ١٩٨١ أمن دولة عسكرية فى النقاط التالية:

أسباب سياسية: تتمثل فى اتفاقات كامب ديفيد والصلح مع إسرائيل، وعزلة مصر عن عالمها الإسلامى، وسيطرة ممارسات التسلط السياسى.

وأسباب اقتصادية: تتمثل فى التفاوت الطبقى والظلم الاقتصادى والنتائج الاقتصادية للانفتاح.

وأسباب اجتماعية: دينية : تتمثل فى الحكم بغير ما أنزل الله ، وسب العلماء وسجنهم (مثل الشيخ المحلاوى) ووضع الآلاف من أعضاء الجماعات الإسلامية بالسجون، والخروج عن شرع الله ، والاتجاه الحثيث نحو علمنة مصر.

(٢) أبعاد الرؤية السياسية لعبود الزمر:

يمكن تحديد رؤية عبود الزمر فى عدة نقاط، فعبود يرى أن نظام الحكم القائم فى مصر إبان عصر السادات وفى أغلب البلاد الإسلامية هو نفس الحكم القائم اليوم وأنهما يتشابهان فى الحكم بغير ما أنزل الله وفى البعد عن الإسلام وبالتالى فى الكفر والعيش فى « جاهلية القرن العشرين » مع باقى أنظمة الحكم بديار العرب المسلمين ، كما يقول فى حواره المشار إليه .

يذهب عبود الزمر أيضا إلى تكفير المجتمعات القائمة « كنظام للحياة والتشريع وكقوانين ومؤسسات سياسية وأحزاب وهيئات وجمعيات خيرية واجتماعية واقتصادية وغيرها » ولكنه لا يكفر « الأفراد » داخل هذه المجتمعات، فالمجتمعات جاهلية ولكن «الأفراد» غير ذلك طالما لم يعلنوا بسلوكهم وأفكارهم، جاهليتهم، بل هو يدعوهم تأكيدا لقناعاته ورؤيته السياسية، إلى ترك الأحزاب السياسية القائمة والانضمام إلى صفوف جماعة الجهاد الإسلامى على شرط أن يكونوا فرادى - أى لا يشكلون جماعات أو تنظيمات أو هيئات أو كيانات اجتماعية لأنه يكفر هذه الأشكال جميعا، ولا يؤمن بصدق فى نياتها أو بدورها الجماهيرى الفعال . بالإضافة إلى أنها ستشكل حتما «لوبى من الضلال» و«الكفر» يؤثر سلبا على جماعته ونضالها السياسى الذى (تشرف بقتل السادات) كما يقول فى حوار أجريناه معه قبل عدة سنوات.

عبود الزمر يهدف إلى إقامة جمهورية إسلامية فى مصر تتشابه فى الكثير مع الجمهورية الإسلامية بإيران، وهو فى تقديمه لهذا «البديل الإسلامى» يعتبر الخمينى مثله الأعلى سياسيا وتنظيميا، بل إن بعض أعضاء التنظيم ينظرون إلى عبود كأمير التنظيم له

السمع والطاعة بنفس نظرة رجال الخمينى معه قبل الثورة فى النجف وباريس وبعد الثورة فى (قم) وهو قياس مع الفارق، إن تحديد الجمهورية الإسلامية «كغاية استراتيجية» وكبديل إسلامى، منشود عند عبود الزمر، استتبعه أيضا تحديد الوسيلة إلى ذلك البديل، وهو «الثورة الشعبية المسلحة» وعبود الزمر بهذه «الوسيلة تجاوز أطروحات التيار الإسلامى تاريخيا » (الاحتجاجى منها أو الإصلاحى أو المحافظ) وتجاوز أطروحات التيارات السياسية الأخرى غير الإسلامية.

إن هذا الإطار السياسى العام لأفكار عبود الزمر يعيبه من وجهة نظرنا نقطة ضعف أساسية وهى عدم إعطاء القضايا الاجتماعية والسياسية المتصلة بالقطاعات الشعبية الفقيرة، القدر الكافى من الاهتمام والتعمق ويبرز هذا الانتقاد واضحاً فى رؤية حديثة نسبياً لنفر من قيادات الجهاد حيث هم يرون (أن مجرد سؤال الناس لهم عن الحلول والبدائل التى يقدمونها للمشكلة الاقتصادية فى دولة كمصر يعد استخفافا بعقولهم).

(٣) بديل مجاهدى صعيد مصر

لتحديد تلك الرؤية ينبغى الإشارة إلى حقيقة أن الدكتور/ عمر عبدالرحمن كان يمثل القيادة الفكرية لجماعة الجهاد فى الوجه القبلى، ولقد برز دوره فى تلك الفتوى الشهيرة التى أعطاها لأعضاء الجهاد فرع الوجه القبلى ، والذين، كانوا يشكلون وقتئذ (١٩٧٨ ــ ١٩٧٩) أحد أفرع الجماعة الإسلامية التى حاول الإخوان احتواءها مع نهاية السبعينيات، وهى الفتوى الخاصة بقتل السادات باعتباره حاكما بغير ما أنزل الله ، وكان ذلك فى معرض سؤاله عن الآية الكريمة: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والتى رأى بشأنها : « أن الآية عامة فى أهل الكتاب وغيرهم شاملة اليهود والنصارى والمسلمين ، وأن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر ، وأن الكفر فيها هو المخرج عن الملة، والأدلة والآثار تثبت ذلك ».

هذا ويتحدد البديل الإسلامى المنشود لدى أعضاء الجهاد (وجه قبلى) فى مقولة أساسية هى (إعادة الخلافة). ولقد التقطوا هذه المقولة من الشيخ عمر عبدالرحمن وقاموا مع نهاية السبعينيات وأوائل الثمانينيات بترويجها من خلال كتبهم ومجلاتهم التى منها مجلة تحمل عنوان «كلمة حق» وكانت توزع على طلاب الجامعات فى مصر ، وصدر منها ٤ أعداد حتى يوليو ١٩٨٧) وأخيراً وضعوا كتابا أسموه (ميثاق العمل الإسلامى) ضمنوه فلسفتهم

السيـاسية والـتى تتمحـور حول تسع نقاط هـى: الغاية، والعقـيدة، الفهم، الـهدف، الطريق، الزاد، الولاء، العداء، الاجـتماع . أوردنا نصـوصاً منها فى كـتابنا الوثائقى [النبى المـسلح - مصدر سابق ذكره] .

وفى تفـصيل إحـدى هذه النقاط، وهو الجـزء الذى يتصل بموضـوع الدراسة، ويتـعلق بالبديل الإسلامى كما يتصوره أعضاء الجهاد بالوجه القبلى، نجدهم يرون أن البديل أو الغاية التى يسعـون إليها هى إقامـة الخلافة مرة ثانيـة بعد زوالها منذ سـتين عاما (يقـصدون بالطبع الخلافة الـعثمانيـة). وهـم فى سبيلهم لتحـديد هوية الخلافة التى يسعـون لإقامتهـا يرون أنها تختلف عن أى نظام سيـاسى آخر مما عرفته البشـرية حيث الأسس التى تقوم عليها خـلافتهم مختلفة.

أما عن أوجه الخـلاف من وجهة نظرهم مع الآخرين بشأن قـضية الخلافة فـتنحصر فى أن: المشرع هو الله عـز وجل والرسول ﷺ مبلغ عن ربه وحق التشـريع غـير ممنوح لأحـد لا لخليفـة ولا لأهل مشورة ولا لبرلمان ولا لحـزب ولا لمجموع الأمـة، بل هو حق خالص لله تعالى. أمـا الاجتهاد لمعـرفة حكم الله فيمـا يعرض من وقائع وفـيما يجد من نوازل وقـضايا فهـذا ليس تشريـعا بل هو البـحث عن حكم الله فى هذه الواقعـة بالطريق الذى شرعـه الله لذلك، وأن الخلافـة كمـا يفهمـونها تقيـم الإسلام فى رعاياها وفـوق أراضيهـا فى الصغـير والكبيـر من الأمور، وكذلـك يحدد الإسلام لهـا علاقاتهـا بما حولها سـلما وحربا، مـعاهدة وصلحا، ووفق رؤية أعضـاء الجهاد الجماعة الإسـلامية بعد ذلك أيضاً ، وأن الخليـفة ما هـو إلا منفذ لأمـر الله ورسوله، مـهمـته حفظ الديـن وحراستـه ونشره وسـياسة الدنيـا بالدين والعدل والشورى من سمات حكمه، وطرق انعقاد الخلافة من وجهة نظرهـم ثلاثة :

الأول: الاستخلاف إما بأن يستخلف الخليفة رجلا بعده أو يستخلف جماعة تختار من بينها الخليفة الجديد.

والشرط الثانى : بيعة أهل الحل والعقد لرجل تتوافر فيه شروط الخليفة،

ثم الثالث : الاستيلاء أو ما يسمى بإمارة المتغلبة.

(٤) رؤية تنظيم سالم الرحال لتحديات الإسلام السياسى

لكى تكتمل جوانب الرؤية السياسية لجماعة الجهاد التى قادها محمد عبدالسلام فرج لابد من الإشارة إلى بعض أفكار (الجناح الثالث) وخاصة المتعلق منها بقضية الإحياء، ومن واقع التحقيقات، والمخطوطات المتوافرة عن قادة هذا الجناح ـ الذين انضموا بعد ذلك (عام ١٩٨٠) تحت القيادة الرئيسية للجماعة ممثلة فى محمد عبدالسلام وفى مجلس الشورى واللجان الثلاث السابق الإشارة إليها ـ فإن رؤيتهم لطبيعة التحديات والمشاكل التى واجهت حركة الإحياء الإسلامى فى السبعينيات، وأوائل الثمانينيات يمكن محورتها فى المشاكل الست التالية التى وردت فى دراسة متميزة لكمال السعيد حبيب منشورة فى كتابنا (النبى المسلح) :

المشكلة الأولى: تمثلت فى الحاجة إلى تفجير الطاقات الكامنة فى الشعوب المسلمة من خلال إعادتها مرة أخرى إلى الفهم الإسلامى الصحيح ، وذلك عبر جهاد طويل متعدد المراحل .

أما المشكلة الثانية : وجود أنظمة علمانية لا تعبر عن روح المنطقة ولا تاريخها ولا مستقبلها ، ومن ثم فهى أنظمة بلا جذور ولا تنتمى إلى قيمنا، ومن ثم وجب قتالها.

وبالنسبة للمشكلة الثالثة: فهى وجود إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى . بل وفى أعز وأقدس أجزائه وهى فلسطين أرض المسجد الأقصى، ولابد من الجهاد من أجل تحريرها من أيديهم.

وعن المشكلة الرابعة: يرى قادة هذا التنظيم أنها مشكلة توحيد العالم الإسلامى كله على كلمة لا إله إلا الله، وبالجهاد.

أما المشكلة الخامسة: فهى تحقيق التنمية فى بلدان العالم الإسلامى من خلال استغلال أفضل موارد العالم الإسلامى المختلفة.

وبالنسبة للمشكلة السادسة والأخيرة : فيرون أنها رفع راية الجهاد الإسلامى للدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى ، ولتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ، ويمكن صياغة هذه المشكلة بغلبة الجاهلية على بقاع الأرض جميعها من خلال فرضها

لقيمها ورموزها وتقاليدها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعاداتها ، ومن ثم وجب علينا إعادة فرض الإسلام عليها.

لقد كان من المنطقى أن ترى الأفكار السابقة مجتمعة بعد إعادة دمجها في قالب فكرى وتنظيمى واحد بقيادة محمد عبدالسلام فرج، التجسيد العملى لها فى إحداث أكبر قدر من الصدام مع السلطة السياسية، وكان حادث اغتيال رئيس الدولة وقتذاك - أنور السادات - أهم وأبرز الأحداث تجسيداً لذلك الفكر الذى نادى بالإحياء الإسلامى عن طريق الجهاد ومقاتلة الحكام الذين يشبهون فى غالب سلوكهم وأحوالهم التتار، على حد قولهم، وبالأخص السادات، ومن ثم استحق أن يقتل.

وفى ختام هذا الجزء نرى أن جماعات الجهاد الإسلامى التى عرفتها السبعينيات فى مصر بدءاً بحادث الفنية العسكرية عام ١٩٧٤ بقيادة الدكتور/ صالح سرية الفلسطينى الأصل، لم تتوقف عن التكاثر بالمعنى السياسى، وبدلا من حوالى ٣٠متهما فى حادث الفنية العسكرية، وصل الأمر إلى عدة آلاف مع جماعة محمد عبدالسلام فرج (١٩٧٩ - ١٩٨١)، والذين تمت تصفية عددهم ليصل إلى ٣٠١ متهم ، وهو رغم عدم دقته علميا إلا أنه يعنى زيادة المساحة العددية للقائمين بحركة الإحياء الإسلامى عن طريق الجهاد مع نهاية السبعينيات - أى بحوالى عشرة أضعاف عددهم مع بدايات نفس الفترة ولم يتوقف الأمر على الجانب العددى فقط ، ولكنه تجاوزه إلى الجانب الجغرافى ، والذى يظهر حجم التنوع الجغرافى لأعضاء الجهاد الإسلامى مع نهاية السبعينيات.

(٥) الإسلاميون الهامشيون

تواكب مع تنظيمات (الإخوان ـ التكفير والهجرة ـ الجهاد) قوى إسلامية أخرى كان لها تأثيرها العام المساعد فى إعطاء الحركة الإسلامية السياسية سماتها وخصائصها الفاعلة وأتت فى مقدمة هذه القوى والتنظيمات:

(أ) الجماعات الدينية (ب) القوى القطبية (جـ) التنظيمات الهامشية،

(د) القوى السلفية، وسوف نقوم بإعطاء لمحة موجزة عن كل قوة من تلك القوى.

(أ) **الجماعات الدينية (الإسلامية)**: يقصد بالجماعات الإسلامية تلك التنظيمات التى ظهرت بالجامعات المصرية مع بداية السبعينيات ، والتى قيل إن السادات وافق على إنشائها ومدها بالمال مقابل ضرب الناصريين وقوى اليسار بالجامعة، وقد اعترف أحد قيادات تلك الجماعات فى كتاب له بذلك . حيث ذكر أنهم قد اتصلوا بالمباحث وبأمين التنظيم بالاتحاد الاشتراكى وبعدد كبير من المسئولين ، وأنه فى إحدى هذه الزيارات عرض عليهم الأمين العام للجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكى استعداده لوضع مبلغ مائة مليون ونصف من الجنيهات تحت تصرفهم لمقاومة الشيوعيين بالجامعة (وائل عثمان فى كتابه المعنون بـ أسرار الحركة الطلابية ٦٨/ ١٩٧٥).

والجدير بالذكر أنه بعد هذه الاتصالات، بدأت الجماعات الإسلامية تنشط فى الجامعة، ولم يكن مصادفة أن تكون مؤلفاتهم وتتذاك فى الاتجاه الذى يبتغيه النظام السياسى، فيهاجمون اليسار تحت ادعاء الدفاع عن الإسلام، وهو ما كان يريده بالتحديد أمين اللجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكى وقتها وعدد من كبار المسئولين.

وقد قامت هذه الجماعات بالعديد من الأعمال التعليمية، والثقافية من إصدار للمنشورات إلى معسكرات صيفية إلى تنظيم رحلات الحج والعمرة للطلاب بتمويل من الدولة، ولقد عملت الجماعات الإسلامية على تغيير أنماط الحياة فى الجامعات فى السنوات الأولى من السبعينيات . مثل تغيير البرنامج الدراسى ودعوة الطلبة إلى الاشتراك فى الأنشطة ودروس القرآن والحديث ، وفرضت وقف المحاضرات والأنشطة الأخرى فى أوقات الصلاة، والفصل بين الجنسين فى قاعات المحاضرات ومنعت إقامة الحفلات الموسيقية والأمسيات الراقصة وصور اللهو المماثل ،ة وكان ذلك مع سنوات العقد الثانى من السبعينيات.

(ب) **القوة القطبية**: من الناحية الواقعية، لم يجد الباحث تياراً حقيقياً فى ساحة العمل الإسلامى خلال حقبة السبعينيات، يمكن تصنيفه تحت مسمى التيار القطبى، وإن وجد أفرادا قلائل من شتى التنظيمات الإسلامية يعتنقون مقولات سيد قطب، وخاصة تلك التى وردت فى كتابه (معالم فى الطريق) و (فى ظلال القرآن) ويتردد داخل الوسط الإسلامى أن

التصنيف إلى قطبى وغير قطبى، هو من قبيل التصنيفات الأمنية فى مصر خلال السبعينيات، وأن القطبيين ليسوا موجودين أصلا.

على الرغم من ذلك فالثابت، علميا أن هناك من يمثلون هذا التيار داخل الحركة الإسلامية المعاصرة ـ خاصة حركة السبعينيات ـ وأن هناك أفرادا قلائل وجدوا داخل حركة الإخوان المسلمين، وكانوا قد سجنوا مع الشيخ سيد قطب أواخر الخمسينيات والستينيات وأنهم يحملون حتى اليوم أفكاره بانحياز شديد لها، وأنهم حاولوا دفع شقيق سيد قطب الأصغر (محمد قطب) لقيادة هذا التيار إلا أنه رفض لأسباب كثيرة منها إقامته شبه الدائمة بالسعودية.

إن التيار القطبى كان خلال حقبة السبعينيات قليلا من حيث العدد ، وإن كان أقوى التيارات من ناحية التماسك النظرى والفكر السياسى، ومن النماذج المعاصرة لكتاب وقادة هذا التيار : مصطفى الخضيرى المحامى وعبدالمجيد الشاذلى صاحب كتاب «حد الإسلام وحقيقة الإيمان» وعبدالجواد ياسين، الذى سبق أن شهدت صفحات جريدة الأهرام المصرية سجالا فكريا حادا بينه وبين الكاتب الإسلامى فهمى هويدى عند مناقشته لكتابه (مقدمة فى فقه الجاهلية المعاصرة) وتعتبر أيضا مقالات وآراء مجلة المختار الإسلامى من المعبرين فكريا عن هذا التيار . حيث خصصت افتتاحية شهرية ثابتة بعنوان (حديث الشهيد) كانت تتضمن تفسيرات سيد قطب لآيات القرآن الكريم مع إبراز صورته الشخصية فى مكان بارز إلى جوار التفسير.

(جـ) القوى والتنظيمات الهامشية: من القوى والتنظيمات الهامشية التى شهدتها السبعينيات فى مصر، والتى كانت فاعليتها من الناحية الحركية ضعيفة يذكر الباحث منها: «حزب التحرير الإسلامى» (وقيل إنه الاسم الحقيقى لتنظيم صالح سرية الذى قاد حادثة الفنية العسكرية عام ١٩٧٤).

وهناك تنظيمات أخرى مثل تنظيم جندالله، تنظيم «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» وكان يقوده الشيخ يوسف البدرى فى منطقة المعادى وحلوان (ضواحى القاهرة) وألقى

القبض على عشرين من أعضائه فى أحداث سبتمبر ١٩٨١ بتهمة التحريض على الفتنة الطائفية ، وكان من بينهم الشيخ يوسف البدى نفسه.

تنظيم « شباب محمد » واتهمته السلطات الرسمية فى مصر بأنه كان على علاقة وطيدة بليبيا . و «الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة» وهى جمعية شرعية ورغم توسعها فى الجانب الاجتماعى إلا أنها - بدأت فى أواخر السبعينيات تتجه إلى الجانب الاجتماعى السياسى بعد أن وصلت أفرعها حوالى ألف وخمسمائة فرع بجميع أنحاء مصر، وتدريجيا وضع النظام بعض أفرعها النشطة ضمن القوائم السياسية التى تمثل تهديدا دينيا له .

ولقد عرفت السبعينيات أيضا تنظيمات أخرى مثل تنظيم «الشيخ عبدالله السماوى» .

(د) **القوى السلفية**: تعد القوى السلفية ثانى أكبر تجمع إسلامى بعد الإخوان المسلمين فى مصر، وإن كانت وظيفتها وطبيعة أهدافها ومراميها، مختلفة تماماً عن القوى الإسلامية الأخرى السابق الإشارة إليها. فالدعوة السلفية فى مصر تعود نشأتها إلى جماعة أنصار السنة المحمدية التى كانت قد انشقت عن الجمعية الشرعية لاختلافها فى وسائل الاعتقاد وذلك أوائل الخمسينيات ، وكانت جماعة أنصار السنة المحمدية قد تبنت الرؤية السلفية فى التعبد والاعتقاد ، والتى نصت عليها العقيدة الطحاوية.

ولقد برز التيار السلفى فى محيط جامعة القاهرة فى هيئة جماعة طلابية كانت تسمى بالجماعة الدينية وهى نفس الجماعة التى تطورت بعد ذلك وأسمت نفسها الجماعة الإسلامية وتحالفت مع الإخوان.

أما عن الرؤية السياسية للقوى السلفية فى مصر خلال السبعينيات فنلاحظ أن أصول دعوتها ومكونات رؤيتها للعالم المعاصر ولقضاياه ومشاكله تستمد من الأساس الفلسفى لها وهو المعروف بالعقيدة الطحاوية ، وهو أساس تتلخص أهم أركانه فى أن التوحيد ثلاثة أنواع :

الأول : توحيد الصفات، أى صفات الله تعالى.

الثاني : توحيد الربوبية أى أن الله وحده خالق كل شيء.

الثالث : توحيد الألوهية وهو استحقاقه سبحانه أن يعبد وحده لا شريك له.

والقوى السلفية ترى وجوب طاعة ولى الأمر وإن جار إلا فى معصية وأن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا يخرج من الملة، ويلاحظ هنا أن الرؤية السياسية السلفية غير مبلورة بوضوح ، وأنها لذلك تصطدم ببعض التيارات الإسلامية التى تنادى بتكفير المجتمع أو بالجهاد المسلح للحكومات القائمة. ولقد صدر للسلفيين بعض المؤلفات التى تحدد فلسفتهم فى البعد عن قتال الحاكم .

هذه بوجه عام أهم القوى والتنظيمات الفرعية التى ظهرت فى السبعينيات مواكبة للقوى الرئيسية داخل حركة الإسلام الإسلامى فى مصر، وهى القوى التى شهدت الثمانينيات طفرة قوية فى مستوى أدائها وحضورها السياسى، بحيث تغيرت موازين بعض القوى والتنظيمات الفرعية أو الهامشية وارتبطت بها أحداث عنف غيرت الكثير من الحسابات فى مقابل تراجع فى أداء البعض الآخر الذى كان متألقا فى السبعينيات.

ملاحظة: [جميع وثائق هذه الحركات الإسلامية موجودة نصاً فى كتابنا النبى المسلح: الجزء الأول والثاني ـ بيروت ـ لندن ١٩٩١] .

* * *

ملاحق الفصل الثامن

ملحق رقم (١)

التركيب الهيكلي لتنظيم الجهاد الإسلامي (١٩٧٩ ١٩٨١) في مصر

أمير التنظيم

مجلس شورى التنظيم

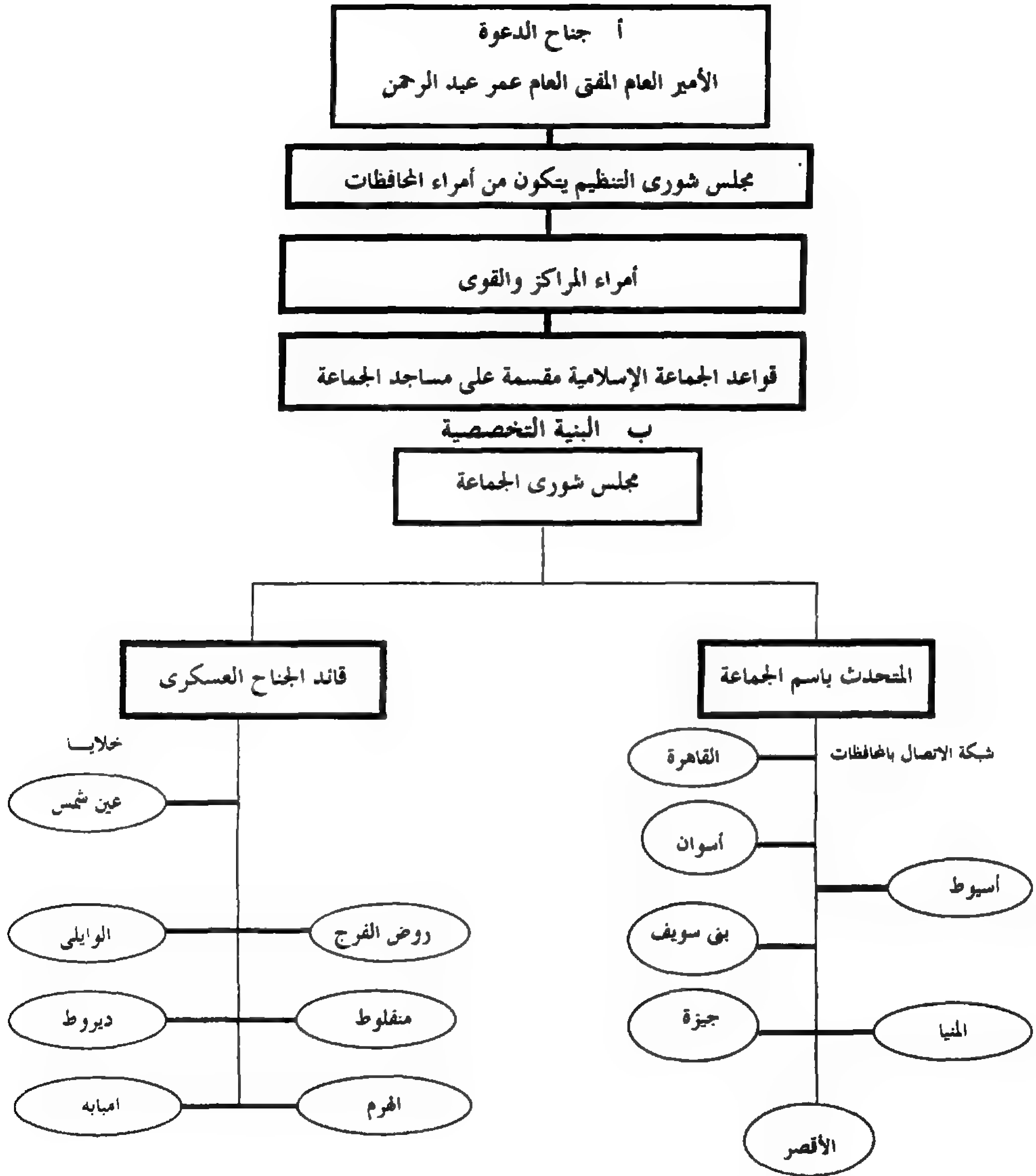
لجنة الدعوة	لجنة العدة	اللجنة الاقتصادية
١ نشر الدعوة ٢ تجنيد أعضاء جدد ٣ التثقيف الفقهي والسياسي العام	١ وضع الخطط ٢ تنظيم حركة العمل وحركة التدريب ٣ تجميع المعلومات لصالح الخطة المرتقبة التي تهدف الى إحداث الثورة الشعبية عن طريق تفجير الواقع من الداخل على كل المستويات والأصعدة .	١ دعم التنظيم وتوفير الدفعة المالية لحركته ٢ زيادة الاعتماد والاستقلال الذاتي عن المجتمع المحيط . ٣ التبرعات + عمليات الهجوم على محال المسيحيين (تسمى لديهم غنيمة) تمثل معاً المصدر المباشر للدعم المادي للتنظيم .
ملاحظة : جدير بالذكر أن هذه اللجنة يرأسها محمد عبد السلام فرج قبل اغتيال السادات واستطاع أن ينضم اليه كل فصائل الجهاد الإسلامي وخاصة تنظيم الصعيد وتنظيم الهرم الذي كان يقوده سالم الرحال الأردني الأصل .	ملاحظة : جدير بالذكر ان هذه اللجنة كان يرأسها قبل اغتيال السادات عبود الزمر ، وكان المسئول المباشر عن كل عملياتها .	ملاحظة : هذه اللجنة لم يحدد رئيس لها بشكل قاطع داخل تنظيم الجهاد وان كان عبود الزمر هو العقل المدبر لكل عمليات تدبير الدعم المادي ، وخاصة الهجوم على محال المسيحيين من تجار الذهب .

(*) هذا الشكل من إعداد الباحث من واقع وثائق وأوراق قضية الجهاد

ملاحظة : لا زالت تقريباً التقسيمات نفسها قائمة داخل تنظيم الجهاد الإسلامي في مصر ، وكانت آخر حلقاته تنظيم طلائع الفتح . التركيب نفسه مع اختلاف في أسماء القيادات المسئولة .

ملحق رقم (٢)

الهيكل العام للجماعة الإسلامية فى مصر



المصدر : وثائق الجماعة الاسلامية فى مصر ، فضلاً عن مجلة « اليسار » التى يصدرها حزب التجمع بالقاهرة ، الأعداد الأولى عام ١٩٩٣ المنشور فيها دراسة جيدة للباحث الراحل هشام مبارك بعنوان « الإسلام المسلح »

الفصل التاسع

الإسلام السياسى فى التسعينيات
بين (المقاومة) .. و (الإرهاب)

* فى تسعينيات القرن العشرين عاشت قوى الإسلام السياسى تحولات هامة فى كافة أرجاء المنطقة العربية والإسلامية ، حيث انتشرت جماعاته المناضلة ضد الحكام تارة ، وضد الاحتلال الأجنبى تارة أخرى ، من أندونيسيا حتى المغرب العربى مروراً بباكستان وكشمير وأفغانستان والشيشان (وسط آسيا) والخليج العربى وانتهاء بمصر و" إيران / الثورة الإسلامية " التى تحولت الى دولة و"لبنان / حزب الله " ، و" فلسطين حماس والجهاد الإسلامى " ، و " سودان / حسن الترابى " و"الجماعة الإسلامية المقاتلة فى ليبيا " ، ورغم الانتشار والتنوع المذهبى والسياسى والنضالى ، فإن الغرب وغالب حكام البلاد الإسلامية وصفوا هذا التيار السياسى الإسلامى بأوصاف أقلها (الإرهابى) و(المتطرف) ، وصار وضع أغلب هذه الحركات الإسلامية على قوائم الإرهاب الدولية وبالذات " لائحة الإرهاب " لوزارة الخارجية الأمريكية، سياسة ثابتة لا تتغير ، فتساوى لدى هذه الإدارة عنف (أسامة بن لادن) والملا عمر ، بجهاد حسن نصر الله وأحمد ياسين ورمضان شلح ، وصارت (طالبان) هى الوجه الآخر (لحزب الله) ، لا فرق مذهبى أو سياسى أو نضالى لدى الأمريكان والغرب ، بل أن عنفاً دموياً بشعاً (ومرفوضاً) كالذى حدث فى مدينة الأقصر بصعيد مصر عام ١٩٩٧ حين قتل قرابة السبعين سائحاً أجنبياً صار مساوياً للعمليات الاستشهادية لحماس والجهاد الإسلامى فى قلب القدس (مارس ١٩٩٦) عند الغرب والأمريكيين ، بل والعديد من الحكام العرب والمسلمين ، ألم يستداعى ٣٠ حاكماً عربياً وأجنبياً الى مدينة شرم الشيخ المصرية عام ١٩٩٦ ليطيبوا خاطر (اسرائيل) الجريحة بسبب عمليات حماس والجهاد ويدينوا (الإرهاب الدموى) الذى أودى

بـــ ٦٠ صـــهيونياً مُســـتعمراً لبلد ليست بلده ، ومساوين بين الإرهاب الحقيقى والمقاومة المشروعة للمحتل التى تقرها كافة المواثيق الدولية بل والسماوية !!

* ما علينا ..

* ان مـــا تؤكـــده حقبة التسعينيات وحتى اليوم ، أن ثمة استسهال مطلق لدى الغرب وبعض الحكام العرب وفريق من المثقفين والكتاب ، فى إلصاق صفة (الإرهاب) بكل ما يتصل بـــتيارات الإسلام السياسى ، الأمر الذى يدفعنا الى محاولة البحث الدقيق فى وثائق نماذج من هـــذه الـــتيارات وبخاصة الأشد عنفاً فيها ، لمعرفة منطلقاتها ورؤيتها للتغيير ومطالبها الجديدة فى التسعينيات ، وأخيراً رؤيتها لمفهومى (الإرهاب) و(الاغتيال السياسى) .

* ولأن خريطة التيارات الإسلامية واسعة ، وهى أقرب الى الفسيفساء السياسية منها الى خريطة منظمة ، فإننا سوف ننتقى نموذجين منها للتدليل على ما نريد التحقق منه ، وهما جماعتى (الجهـــاد والجماعة الإسلامية) فى مصر ، واللتان كانتا ولاتزالا لهما تاثير هائل على باقى قوى الإسلام السياسى ، وبالذات فى أفغانستان من خلال فريق الأفغان العرب وتنظيم القاعدة ، بعد أن أسُســـت (الجـــبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين) (فبراير ١٩٩٨) بقيادة أيمن الظاهرى (أحـــد زعمـــاء الجهاد الإسلامى المصرى) و" أسامة بن لادن " وبعض الجماعات الكشميرية والأفغانية والباكستانية ، وهى الجبهة التى ظهر بوضوح أن مهندس عملياتها هم شباب الجهاد الإسلامى المصرى ، وتحديداً (محمد عاطف الملقب بأبى حفص المصرى الذى قتل خلال القصف الأمريكى لأفغانستان) ومعه صفوة من قادة الجماعة الإسلامية .

* تُـــرى كيف ترى هاتان الحركتان [الجهاد والجماعة] خطة التغيير السياسى فى بلاد المســـلمين ، وما هى منطلقاتهما الفكرية الرئيسية ، وما هى ملامح رؤيتهما لقضية (الإرهاب) والاغتيال السياسى فى التسعينيات من القرن الماضى وأوائل هذا القرن ؟!

* * *

خطة التغيير السياسي لدى الإسلاميين

تجمـــع أدبيات تنظيم الجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية على أهمية وجود خطة عامة للحركة وللفعل الســـياسي ، وعلى رغم الاختلافات المركزية بين الجماعتين ، والتي ســـبقت الإشـــارة اليهـــا ، فإنهما يلتقيان على هذه الأطر العامة لخطة التغيير السياسي ، ولقد أمكننا استخلاصـــها مـــن عشـــرات الوثائق والأدبيات الخاصة بالجماعتين معاً ، أما أبرز هذه الأطر فتنحصر في :

١ ـ **استراتيجية الـتحرك الانقلابـي المفـاجيء** : وهي تلك الخطة ، وفقاً لوثائق الحـــركة الإسلامية الراديكالية التي تدبر لاعداد الهيكل التنظيمي القادر على الإطاحة بالنظام الحاكم والاستيلاء على السلطة ، مع الاستعداد لمجابهة أي عناصر معادية للثورة بإحباطها وشل قدرتهـــا بحسم لتثبيت أركان الدولة وإرساء المفاهيم الإسلامية المراد غرسها ، وفق خطة معدة مســـبقاً ، مع تكاتف جهود الجماعة في ارساء صرح هذه الخطة ، ويتضح من خلال النظر الى اســـتراتيجية العمـــل الانقلابي المفاجيء ذلك الالتزام بالشرع في الإعداد للخروج العام على الأنظمـــة التي يثبت خروجها عن منهج الله،وباتباع السرية في الأداء والتدبير لمواجهة العناصر المناوئة التي قد تساعد النظام الحاكم،وكل ذلك يعد من أسباب النصر •

٢ ـ **استراتيجية تحريك الجماهير لتأييد الثورة** : تشارك في هذه الاستراتيجية ، جماهير الشعب المسلم لتأييد الثورة حسماً للتدخل الأجنبي على وجه الخصوص ، إذ إن القوى الأجنـــبية التي لها مصلحة في بقاء النظام الجاهلي ، لا تسلم بسهولة في فقدان مكانتها بسقوط الحكـــم المـــوالي لها ، بل تسارع للتدخل بما أوتيت من قوة للقضاء على الثورة ، ولكنها يقيناً تتوقف ولا تستطيع الاقتراب إذا كان للتحرك عمق شعبي ، وليس انقلاباً عسكرياً لفئة محددة يمكـــن التدخل والسيطرة عليها واستعادة الوضع للنظام الموالي ، في هذه الاستراتيجية نلاحظ أيضاً أن الإدراك لهذا الجانب بتهيئة الجماهير وحشد طاقتها لهذه الخطة ، هو أيضاً من مقومات استمرار العمل الثوري •

٣ ـ استراتيجية حشد الجهود والطاقات الإسلامية لصالح الخطة : لا تقتصر تلك الخطة وفقاً لوثائق لحركات الإسلامية الراديكالية على تغطية أعمال الجماعة الملتزمة فحسب ، بل تسعى الى تحقيق الاستفادة من كل فصيل من فصائل الحركة ، فتكون النظرة الى الآخرين قائمة على التعاون الكامل ، لا على التنازع الذى هو مقدمة الفشل والانهيار (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) ٠

٤ ـ استراتيجية التحول الى الخطط البديلة : هى تلك التصورات التى توضع مسبقاً بغرض معالجة الجمود أو التدهور الذى قد يصيب الخطة الأصلية ، وذلك من خلال التحول اليها فى محاولة للوصول الى الهدف المطلوب تحقيقه أخذاً بالأسباب ٠

٥ ـ استراتيجية التحرك الاضطرارى (الطارئ) : هى التى تحقق الاستغلال لأى تصدع مفاجىء فى السلطة الحاكمة فى الوقت الذى لم يصل الإعداد الى مستوى التحرك الطبيعى بالقوة الكاملة ، وذلك بإجراء تحرك راجح ، تكثف فيه الجهود وتختصر بعض المهمات الثانوية ، وتقلل نسبة الاحتياطى العام ، على أن يعاد استكمالها بإعادة التجمع لاحقاً ، وتستخدم هذه الاستراتيجية أيضاً فى حالة الانكشاف التنظيمى الذى يغلب على الظن فيه إهدار العمل دون فائدة ، وتتجلى هذه الاستراتيجية فى اليقظة التامة فى الإعداد المسبق لمثل هذه المواقف التى يكون استغلالها فى حد ذاته عاملاً رئيسياً فى منع أى قوة أخرى من الوصول الى السلطة ، والتى قد تكون أشد كفراً وبطشاً من سابقتها ٠

٦ ـ استراتيجية الردع والنصرة : تقول وثائق الجماعة الإسلامية والجهاد : إن هذه الاستراتيجية هى تلك التى ترسى بها الجماعة مبادىء وأصول إسلامية فى نصرتها للمظلومين قدر استطاعتها ، وإن هناك من الأمور ما يمكن الصبر عليها ، ولكن أيضاً من الأمور ما لا يمكن الصبر عليها ، كاختطاف الأخوات المسلمات وهتك حجابهن وكشف عوارتهن واحتجازهن بدعوى الضغط لحين تسليم المجاهد نفسه للسلطة ، ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية مستوعبة للنفس البشرية ومحافظة على الأعراض من أن تنتهك ، فكان فى موقف المسلم الذى قتل اليهودى فى الحال حينما كشف عورة إحدى المسلمات ، وهو يعلم أنه سيقتل، خير دليل على أهمية استيعاب مثل هذه الأوامر بالصبر على مثل هذه الأمور لمصلحة

العمل السرى ، ولا يتعارض هذا بحال من الأحوال مع إمكانية تنفيذ الأعمال القتالية الخاصة ، ســواء للنصــرة او لردع المحاربين الصادين عن سبيل الله مع امكانية تحقيق التحرك الانقلابي المفــاجيء ، إذ إن ذلك يمكن معالجته وفق قواعد وأصول معينة لا تخفى على أهل الاختصاص والخبرة .

٧ ـ **اسـتراتيجية الوقايـة مـن الأعمـال المعاديـة** : ويتضــح فيها – وفقاً لوثائق الحــركات الإسلامية الراديكالية للجماعة وللجهاد – مدى أهمية الاستعداد لضربات العدو المفاجئة التى توجهها الجهات الأمنية ابتداء ، أو كرد فعل لعمليات قتالية ، أو أنشطة إسلامية مؤثــرة تقوم بها الجماعة أو الجماعات الأخرى العاملة فى الساحة ، لذا ، من الضرورى إرساء قواعــد لــتأمين عمــلية البناء التنظيمى والإفلات من مثل هذه الضربات والعمل على تقليل الخسائر كالانتقال الى مناطق تبادلية وتنفيذ خطط الانتشار الوقائى السابق إعدادها ، ولابد أن يكون هناك مزيد من العطاء والاستمرار باستكمال الإعداد بمعدل مناسب ، حيث فى تمام ذلك إحــباط تام للأهداف التى يسعى النظام الحاكم لتحقيقها فى ضرباته الأمنية المتمثلة فى تعطيل العمل الإسلامى وإيقافه (قاتلهم الله أنى يؤفكون) .

٨ ـ **اسـتراتيجية الاستفادة من التناقضات الدولية والإقليمية** : تبرز فيها أهمية دراســة الموقف الدولى والإقليمى وتحديد الثغرات فيه ، ومعرفة السياسات والمصالح المختلفة للدول واستخلاص ما بها من تناقضات أو تعارضات ، بما يحقق المصلحة فى تثبيت أركان الدولة وبمقتضى القدر المسموح به فى السياسة الشرعية للدولة الإسلامية .

يتضح لنا مما تقدم أن الخطة العامة لدى تنظيم الجهاد الإسلامى والجماعة الإسلامية تحقق إطــاراً مــن الأداء يحافظ على الاستمرارية ، ومفاده أنها تحدد بدقة وإتقان خطوات التحرك لــتحقيق الأهــداف ، وتحافظ على تحقيق العمل السرى المفاجيء والارتباط العميق بالجماهير المسلمة ، وتغطى كل الاحتمالات المتوقعة والمواقف لطارئة ، كما تستوعب الطاقات والجهود الإسلامية وتوجهها الوجهة الصحيحة نحو الهدف .

* * *

المنطلقات الفكرية للحركة الإسلامية الراديكالية

إن وثـائق وأدبيـات الحركة الإسلامية الراديكالية فى العالم الإسلامى وتحديداً الجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد فى مصر مليئة بالمفاهيم والمفردات المركزية التى تشكل مجتمعة عناصر محددة للبناء المركزى لفكرها ، لا تؤثر فحسب فى ماضى أدائها السياسى وحاضرها المعاش ، بل أيضاً فى مستقبل هذا الأداء ، ولعل أبرز هذه المفاهيم ما يلى :

١ ـ **مقاومة العلمانية** : ترى الحركة الإسلامية الراديكالية فى مصر (الجماعة والجهاد) إن الموقف من هذه القضية يعد موقفاً محورياً وأساسياً بالنسبة لمستقبلها ، لأنه يعنى الموقف من الأنظمة الاقتصادية والثقافية والسياسية القائمة فى مصر والعالم العربى والإسلامى ، وبداية ترى أدبيـات هذه الحركة أن أولى مغالطات العلمانية تبدأ فى ذلك الاسم الذى اشتهرت به والذى يوحى خطأ بنسبتها الى العلم . إن هذه الكلمة تنطق عادة بكسر حرف العين وسكون حرف الـلام ، وذلك بترجمة – ركيكة – قام بها نصارى الشام لكلمة أوروبية ، ولها نظائر فى لغات الغـرب الأخـرى ، والنطق الصحيح لهذه الكلمة يكون بفتح العين واللام ، كما أن الكتابة الصحيحة لها تكون بوضع ألف بعد العين " العالمانية " لتدل بذلك على معناها ، وهى النـزعة الدنيويـة المهـتمة بشئون هذا العالم الذى نعيش فيه ، وليس بأحوال واهتمامات العالم الآخر أو الغيـب ، وهو العالم الذى ينصب عليه بحث الدين وتعاليمه كما يفهم الغربيون ، وهكذا فـنحن منذ البداية أمام مصطلح منقول عن البيئة الغربية الأوروبية ، وليس له نظير فى العربية أو الفكر الإسلامى ، وهو يحمل وراءه ثقل قرون من المفاهيم والممارسات الغربية فى مجال الدين والحياة السياسية والاجتماعية ، فضلاً عن أنه يتعلق بدين غير الإسلام ، هو المسيحية الغربية ، وبذلك فإنها كلمة مشتقة من العالم لا العلم ، وهى مرتبطة بوقائع خاصة ومفاهيم خاصة وبيئة خاصة ، وهى تتعارض مع مركزية الإسلام فى فكر وسلوك الحركة الإسلامية الراديكالية كما تؤكد وثائقهم .

٢ ـ **الخلافة** : إن مطـلب إقامـة الخلافة على نهج النبوة بالنسبة للحركة الإسلامية الراديكالية فى مصر (الجهاد والجماعة) يعد بمثابة حقيقة قدرية وحتمية بشرية،أما كيف ذلك ؟ فهـم يـرون الآتى: أولاً : بالنسبة لكونها حقيقة قدرية ، فإنها تعنى أنها ستؤول اليها أوضاع

البشرية ، رضى بذلك أعداء الإسلام أم كرهوا ، أما الخلافة كحتمية بشرية ثانياً ، فإن الوثائق تـرى أنـه قد وقعت بالأمة أزمة فى الأخلاق ، وأزمة فى الضمائر ، وأزمة فى القيم ، وأزمة فى المـناهج ، ففقـدت البشرية توازنها ، وأضحت تترنح دون أن تعلم لنفسها هوية ، وتسير فى طريق لا تعـلم له نهاية ، وقد ثبت عجز كل النظريات الوضعية والفلسفات البشـرية عن الوفـاء بمتطلبات الحياة ، وعجزت عن الحفاظ على الكيانات البشرية والاجتماعية والسياسية وعجـزت عن إيجاد نظام يحقق الأمن والاستقرار للمجتمع والأسرة والفرد ، فأصيب الأفراد بالتمزق .

ومن وجهة نظر (الجماعة وحركة الجهاد) أن أهل الحكم والعلمانيين حاولوا البحث عن العلاج فكان الفشل أكثر وضوحاً من ذى قبل ، وظل الطريق ممهداً أمامهم الى حيث لا رجعة، حـتى أن مؤرخيهم ومفكريهم قد ترجموا هذه النهاية المرتقبة فى صورة منحنيات بيانية ، لأن الانهيار عندهم أصبح أمراً لا جدال فيه ، بل أصبح الإسلام فى نظرهم هو البديل القادم .

وبعيـداً عـن الحـل الإسلامى ، كما يقول الإسلاميون أعضاء تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية ، فستظل مسيرة الدمار تتقدم وتقود اتباعها نحو الهلاك ، إن البشرية اليوم تقف على شفا جرف وتترنح ، فماذا ينتظر منها ؟ ومن هنا كان لابد للمنهج أن يتقدم ويعلن عن نفسه ، وللأمة أن تتقدم الى موقع القيادة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ، وحين تكون القيادة لهذا الـدين ولهذه الأمة ، فلن تـكون إلا الصياغة الوحيدة .. الخلافة ، والقول لوثائق الجماعة والجهاد .

٣ ـ **الجبهة الإسلامية** : طرحت الجماعة الإسلامية والجهاد الإسلامى فى مصر فكرة " الجبهة الإسلامية " قبل أن يطرحها الظواهرى وأسامة بن لادن بنحو ٧ سنوات ، وقد قدموا وثيقة بهذا المعنى وطرحوا مفهومها سابقاً على قيام الجبهة العالمية التى قدمها بن لادن فى فبراير ١٩٩٨ وكأنـه (أى أسامة) قرأ وثيقة الجماعات المصرية وآمن بها يوم صدرت (١٩٩١) ، ولفهـم تصور الإسلاميين فى مصر لأسباب الجبهة وأبعادها وأهدافها نرصد أركان رؤيتهم لها فيما يلى :

- تبدأ ر}يتهم هنا بقولهم أن لا أحد ينكر أن مصلحة الإسلام مقدمة على مصالح الأفراد والجماعات ، وبالتالى متى برزت الحاجة الى تحقيق مصلحة الإسلام العليا كما هى الحال الآن ، فإنه لا اعتبار لغيرها من المصالح .

- خلاف التضاد لا يحول دون إمكان التعاون فى موضع الاتفاق فكيف بخلاف التنوع الذى هو سمة غالبية الحركة الإسلامية ، والتى يسع فيها بالخلاف للعمل فى كيان واحد ، فضلاً عن الجبهة المقترحة .

- مبدأ الأخوة فى الله يجب أن يتعدى حدود الكيانات والانتماءات لأداء الواجب الشرعى نحو الأخ المسلم ، كالنصر والتناصح والوفاء بالوعد وغير ذلك من حقوق الأخوة المأمور بها .

- الثقة والحب والتفاهم والتسامح هى لغة الخطاب التى ينبغى أن تسود فى التعامل بين فصائل الحركة الإسلامية .

- التجرد المطلق فى بحث القضايا يؤدى الى الوصول للرأى الصائب والاتفاق عليه .

- النظرة التكاملية والاحترام المتبادل بين العاملين ، من الأسس الضرورية لبناء أى علاقات سليمة بين القيادات المتعددة .

- إحياء سنة النصيحة بين المسلمين تسهم بقدر كبير فى تصحيح مسيرة العمل الإسلامى وتلافى الكثير من الأخطاء ، خاصة إذا روعيت آدابها وشروطها .

- حل النزاعات بين الفصائل إنما يكون بالتراضى أو التحكيم المزمع فى نهاية المطاف حتى لا تحمل الحركة تراكم وتفاقم المشكلات المعقدة عن الأداء .

أما أهداف الجبهة الإسلامية من وجهة نظر الجماعة والجهاد فتتلخص فى النقاط التالية :

- السعى الحثيث لأن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، إحقاقاً للحق وإسقاطاً للواجب الشرعى المنوط بالأمة الإسلامية فى مواجهة اليهود والصليبيين والحكام المستبدين .

- تـنمية الشعور بالصف الواحد فى مواجهة العدو وتنسيق جهود الفصائل العاملة فى الساحة ، بما يحقق بلورة حركة متجانسة تسير بخطى ثابتة نحو الهدف لا يعوقها اختلاف أساليب التغيير المتعددة .

- تهيئة المناخ لإيجاد العقلية الجماعية التى تدرك طبيعة التحديات ، وتسهم فى حل كثير من نقاط الخلاف التى نشأت من القطيعة المتولدة عن انغلاق كل كيان على نفسه داخل أطره وتصوراته .

- توسيع نطاق النفوذ سريعاً بإزالة شبهة التعدد ، حيث يحجم البعض عن الانخراط فى العمل الإسلامى بسبب التردد الذى يبرز عند الاختيار بين الجماعات المتعددة ، الأمر الذى تحد منه سلطة الجبهة الإسلامية الواحدة .

- التواجد كقوة فاعلة مؤثرة فى القرار السياسى تحافظ على إنجازات الحركة ، وتحول دون طغيان السلطة وعدوانها على حقوق الشعب المشروعة .

- الاستعداد للانضمام الى الحركة الإسلامية العالمية حين الإعلان عن قيامها ، والتى ينبغى ان يسبقها ترتيب الأوضاع الداخلية فى جميع بلدان العالم (يلاحظ أن هذا الهدف كان إشارة مستقبلية سابقة بسبع سنوات للجبهة العالمية ، وهو ما يؤكد احتمالية الدور الكبير لقادة جماعات مصر ، وبخاصة الظواهرى فى إقناع أسامة بن لادن وغيره فى إنشاء الجبهة العالمية استناداً لموروث قديم لديه .

٤ـ **السلفية** : ترى أدبيات الحركة الإسلامية الراديكالية فى مصر (الجماعة والجهاد) أن هذا المصطلح من المصطلحات التى كثر حوله اللغط ، " فالمتغربون من أبناء جلدتنا ، والذين يتكلمون بألسنتنا، يتبنون المفهوم الغربى لهذا المصطلح الذى يدل على عصور الظلام فى أوروبا، عصور نبذ العلم وحرق العلماء، وعصور سيطرة رجال الدين الجهال على كل مقدرات الحياة، وهو يعنى إذن الرجوع الى هذا العصر بتلك الخصائص ، والداعون اليه رجعيون يدعون الى العودة نحو عصور الظلام والتخلف " .

" أمـا عـندنا ، والقول لقادة الحركة الإسلامية الراديكالية بجناحيها ، الجهاد والجماعة الإسلامية ، فلهذا المصطلح بعدان : الأول : منهجى ، وهو حينئذ علم على منهج محدد سلكه مـن قبلـنا الصحابة وتابعوهم بإحسان ، منهج يحدد أصول وضوابط المعرفة وحدود العقل ومجالاتـه ، ويحدد الأصول التى تحكم علاقاقا مع عالم الأسباب من حولهم والعلل الكونية التى جعـلها الله سـنناً مطـردة صارمة مؤدية الى معلولاتها ، كما يحدد أصول النظر والاستدلال ومناهج البحث والاستقراء ، والثانى : فكرى ، وهو حينئذ رمز لثلة من المؤمنين الملتزمين بالحق المنـزل من الله فى حقب متعاقبة عبر التاريخ عامة ، والتاريخ الإسلامى خاصة .

٥ ـ **الغـرب** : ظـل الغرب هاجساً قلقاً بالنسبة للحركة الإسلامية الراديكالية (الجماعة والجهاد) مفهوماً وسياسات ، ولقد وجهت وثائق الحركة الإسلامية الراديكالية كلمات قاسية لما يمثله هذا المصطلح ، ولكن لابد من توضيح الأمر ، إذ إن هذه القسوة الموجهة من الحركة الإسـلامية كانت نتيجة طبيعية لما يرتكبه ذلك الغرب من ظلم فى حق البشرية بصفة عامة ، وفى حق المسلمين وأبناء العالم الثالث بصفة خاصة ، وكلمة ظلم كما تقول وثائق الحركة ذاتها، لا يقصد بها الظلم الاقتصادى أو السياسى فحسب ، بل تشمل أيضاً العنصرية الغربية المتمثلة فى اعتبار أن النموذج الغربى فى كل أمور الدنيـا والدين هو النموذج الصـحيح ، وما عداه همجيـة وتخـلف ، ومن ثم السعى لتدعيم نماذج الحياة على النسق الغربى فى الفنون والآداب والـثقافة والدين والاجتماع فى العالم غير الغربى ، ومحاربة ما دون ذلك واعتباره تخلفاً واعتبار كـل مـن يرى عدم ملاءمة النماذج الغربية للحياة غير الغربية متخلفاً وهمجياً ومعتدياً على حقوق الإنسان .

إن إصـرار الغـرب على سلوك هذا المسلك غير السوى يضعه فى مواجهة حتمية مع الـنموذج الإسلامى وحامليه ، ولا مناص حينئذ ان يفنى أحد الطرفين و يتخلى عن رأيه حتى تنـتهى تلك المواجهة ، وقد تكون الصورة المثلى أن يعلم الغرب – كما تقول أوراق الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد – أن لكل أمة تاريخاً وبيئة ، وأن لكل إنسان ، حتى ولو كان غربياً ، حق اعتناق ما يراه مناسباً فى شتى مجالات الحياة ، دون أن يضطهد من المخالفين ، وهذا لا يتم بالكلام ، بل يبدأ بإعطاء المسلمين فى الغرب حقوقهم كاملة دون تمييز بسبب إسلامهم . فما

أعجب أن ينوح الغرب على ما يسمونه حقوق الأقليات فى بلاد المسلمين ، بينما يسوم المسلمين فى بلادهم سوء المعاملة أو لا يعترف بهم كديانة ، ولا يتاح لهم الالتزام بدينهم ، ولو على المستوى الشخصى . هذا وقد حولت هذه الجماعات موقفها هذا من الغرب الى فعل مباشر بعد ذلك ، حين اصطدمت به عدة مرات خلال لتسعينيات سواء فى حوادث " الخبر السعودية " أو المدمرة كول فى اليمن ، أو فى نيروبى ودار السلام أو فى أحداث ١١/٩/٢٠٠١م وغيرها ، فترجمت أقوالها الى فعل مباشر عندما امتلكت القوة والحلفاء وعلى رأسهم أسامة بن لادن !! وطالبان .

* * *

الإرهاب فى مدركات الحركة الإسلامية الراديكالية

تجمع الوثائق المتوافرة عن الحركة الإسلامية الراديكالية خلال السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات على مفهوم محدد للإرهاب من منظور الإسلام كما تؤمن به حين ترى أنه ضرورة لإرهاب أعداء الله ، وحين تراه تكملة لرسالة الدعوة الإسلامية السلمية القائمة على الرحمة والمجادلة بالتالى هى أحسن ، والداعية الى إقامة الدولة الإسلامية وتحكيم شرع الله بين الناس ، وحين لا تتم الاستجابة الطبيعية من أولى الأمر والقائمين على مصالح العباد ، يكون السيف هو البديل الطبيعى ، والسيف حين يترجم الى لغة وخطاب معاصر ، يسمى عنفاً أو إرهاباً .

وفى هذا المعنى تقول إحدى الوثائق المجهولة لتنظيم الجهاد الإسلامى والصادرة عام ١٩٩١ والمعنونة بـ (الإرهاب فى الإسلام) تقول هذه الوثيقة عندما تحاجج بأن الإسلام هو دين الرحمة والسلام ، ولماذا تيأس سريعاً وتلجأ الى الإرهاب والعنف ، [نعم دين رحمة وسلام، ولكن إذا وقع العدوان على سلطان الله فلا رحمة ولا سلام لمن ارتكب هذا الجرم الشنيع .. بل يصبح الجهاد والإرهاب والقوة والعنف هى الوسائل التى بها نستعيد الحقوق الإلهية ، وعلى رأسها الحكم بحكم الله وشرعه] .

وإذا تناولنا الأهداف المطروحة للإرهاب فى الإسلام ، نجدها وفقاً لما يراه أعضاء الحركة الإسلامية الراديكالية من خلال هذه الوثيقة الهامة :

١ - جـزاء الكافرين على كفرهم ، حيث تتدخل القوة الالهية لتلقى الرعب فى قلوب الكافرين (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينـزل به سلطاناً) .

بـل إن الإرهاب تمتد آثاره حتى يصبح المؤمنون مطالبين بإحداثه فى الكافرين ، كما قال الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخـرين مـن دونهـم لا تعلمونهم الله يعلمهم) ، قال القرطبى : " يعنى تخيفون به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب (وآخرين من دونهم يعنى فارس والروم) .

بل يصبح الإرهاب عملاً صالحاً يجازى الله عليه عباده الصالحين كما قال ابن كثير (رحمه الله) فى قوله تعالى : (ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار) أى ينـزلون منـزلاً لا يرهب عدوهم (ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين) .

٢ - حـتى يحفـظ الكافرون عهودهم مع المؤمنين ، لقوله تعالى (فشرد بهم من خلفهم لعلهم يتذكرون) حيث قال سعيد بن جبير : المعنى أنذر بهم من خلفهم ، وقال أبو عبيد : هى لغة قريش شرد بهم سمع بهم ، وقال الضحاك :نكل بهم وقال الزجاج : افعل بهم فعلاً من القتل تفرق به من خلفه .

٣ - الإرهـاب كقوة ضاربة فى صف المؤمنين تحسم المعركة مع أعدائهم حيث تتدخل القـدرة الالهيـة لدعم القوات المجاهدة الإسلامية مستخدمة سلاح الرعب ، كما قال تعالى (سـألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) .

٤ - الإرهـاب كحـرب نفسية للكفار والمنافقين تقى المؤمنين من شرورهم ، كما قال الرازى فى قوله تعـالى (وأعدوا له ما استطعتم من قـوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وذلك أن الكفـار إذا علمـوا أن المسلمين متأهبون للجـهاد ومستعدون لـه ، مستكملون لجميع الأسلحة والآلات ، خافوهم ، وذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة :

الأول : أنهم لا يقصدون دخول جوار الإسلام .

الثانى : أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية .

الثالث : أنه ربما صار ذلك داعياً لهم الى الايمان .

الرابع : انهم لا يعينون سائر الكفار .

الخامس : ان يصير ذلك سبباً لمزيد الزينة فى دار الإسلام .

٥ حــتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، وحتى يوقف العدوان على سلطان الله فى الأرض ويــتوقف إيذاء المؤمنين لقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) والفتنة كما قال بن عباس وقتادة والربيع والسدى وغيرهم "الفتنة الشرك وماتابعه من أذى المؤمنين " .

ومن وجهة نظر الحركات الإسلامية الراديكالية فى مصر أن الفساد فى النخبة الحاكمة ، ومعــه الظلم الاقتصادى والاجتماعى ، صار شديد الوطأة على الشرائح والقوى الاجتماعية الفاعــلة ، وفى مقدمــتها الحركة الإسلامية الراديكالية ، فكان العنف هو رد الفعل الطبيعى لمقاومة هذا الظلم ، وخاصة بعدما أوصدت فى وجهه كل أبواب التغيير السياسى والاجتماعى وقنوات التعبير السلمية .

مــن هــنا توالدت آلية العنف والعنف المتبادل ، والتى سماها النظام السياسى فى مصر وبعض الدول العربية وفى الغرب " الإرهاب " فى محاولة لتشويه عمليات الاحتجاج الاجتماعى والسياسى الطبيعية التى تحدث بشكل يومى ودائم .

ويــبدو أن إلصاق صفة الإرهاب بالحركة الإسلامية الراديكالية وممارستها تجاه النظام ، لم يرهــبها بل دفعها الى المزيد من الإرهاب وفقاً لتعريفات النظام السياسى ، ودفعها أيضاً الى محاولــة تحديد مقصودها لهذا المفهوم وغيره من المفاهيم التى تتصل به ، مثل الاغتيال والعنف الدينى .

* * *

الاغتيال عند الحركة الإسلامية الراديكالية

ينبع مفهوم الاغتيال لدى الحركة الإسلامية الراديكالية فى العالم لعربى – وفى مصر على وجـه الخصـوص – من فهمها الصريح للنص القرآنى ، فهم يتبنون قوله تعالى (فإذا انسلخ الأشـهر الحـرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) ويعتمد قادة الجماعة والجهاد فى مصر شرح القرطبى لهذه الآية ، والذى يرى المرصد هـو الموضع الذى يرقب فيه العدو ، أى اقعدوا لهم فى مواضع الغرة حيث يرصدون ، ويقول أيضـاً : وفى هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة ، ويعتمدون شرح ابن كثير الذى يرى (واحصـروهم واقعـدوا لهم كل مرصد) أى لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم ، بل اقصدوهم بالحصـار فى معاقلهم وحصونهم ، والرصد فى طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم الى القتل أو الإسلام] .

أمـا عـن ضـرورة عمـليات الاغتيال فهى وفقاً لوثيقة هامة تحمل عنوان (الاغتيال فى الإسـلام) ، فـإنهم يقطعون بأن تحديد ملامح المرحلة التى يعيشون وتوصيف طبيعة الواقع الذى يتحركون فيه يدعوانهم الى ممارسة هذا النوع من العمليات ، فكيف يكون ذلك ؟

تقـول الوثائق إن الحركة الإسلامية الراديكالية من وجهة نظرهم بطبيعتها الانقلابية ، تسـعى الى إحـداث الـتغيير الشامل والجذرى فى كل مناحى الحياة التى تشربت وتشبعت بالجاهلية ، وهذا التغيير يستلزم دون نقاش إجراء مواجهات مع الجاهلية على كل المستويات والأصعدة لإحداث الانقلاب المنشود فى عالم القيم والتصورات والمفاهيم والواقع .

والحركة التى تفهم هذا الفهم وتتحرك من منطلقه لابد وأن تواجه بكل شراسة من دعاة الجاهـلية وحماتها ، فلا ينتظر بحال من الأحوال أن تظل الجاهلية تمارس دور المشاهد لمسلسل التغيير الإسلامى دون أن تتحرك لمواجهته ومجابهته ، وهذه المواجهة الجاهلية ستكون ايضاً على كـل الأصـعدة وبكـل الأسـاليب ، فالجاهلية حرب على الإسلام بكل أسلحتها الفكرية والاجتماعية والعسكرية .

وهـنا تبدأ عمليات الاغتيال من وجهة نظر الحركة الإسلامية الراديكالية فى الردع لمن يحاربون الإسلام ويلقون الشبهات أمام تقدمه وانطلاقه لتحرير الأرض من الطواغيت والأصنام المعبودة من دون الله .

والإسلاميون ، أنصار تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية ، يرون ان المتأمل لسيرة رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يجد أن هدف الردع والإرهاب وكف الأذى غالب على عمليات الاغتيال التى قام بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويـــرى تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية أنه إذا تأملنا فى الواقع اليوم لوجدنا أن الأمر قـــد تجاوز الهجاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام والمسلمين ليبلغ مستويات أعتى مـــن الفكـــر الجحود ، فالاستهزاء بشرع الله من وجهة نظر تنظيم الجهاد ، أصبح من سمات من يسمون بالمفكرين والساسة فى العديد من البلاد الإسلامية ، والتهكم والسخرية من أحكام الإسلام صار من الواجبات عند دعاة العلمانية ، والسب والتهديد مستمر ومتواصل من قادة أجهـــزة الأمـــن فى هجومهم الشرس على الشباب المسلم الذى رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، وجاء النصارى أيضاً ليقولوا اننا لم نغب فى المعركة المعلنة على الإسلام ، فها هم يلقون المادة التى تطبع الصـــليب على زى المحجبات ، ولا يفوتنا أن نذكـــر اليهود الذين جاءوا بكل أساليبهم الماكرة تحت اسم " التطبيع " ليفسدوا الشارع العربى ، وذلك لإيقاف الزحف الإسلامى الذى يهددهم .

أمـــا قائمـــة المرشـــحين للاغتيال من وجهة نظر الحركة الإسلامية الراديكالية فى مصر مـــن خـــلال وثيقتى (الى متى عن العنف فى مواجهة النظام القائم ووثيقة الاغتيال فى الإسلام) فإنهم ينحصرون فى البرنامج التالى :

- القيـــادات التى تدعو الى الأفكار الجاهلية العلمانية او الشيوعية ، ويتصدون لدعوة الإسلام سواء بالتحريف أو التشويه أو القاء الشبهات فى الطريق .

- القيادات الصليبية التى تمارس دور التبشير .

- اليهود والأمريكيون الذين تعج بهم شوارع البلاد والمناطق السياحية والذين ينفذون بتواجدهم مخططات طويلة الأمد تهدف الى إجهاض الصحوة الإسلامية (لاحظ أهمية هذا الهدف قياساً بما حدث يوم ٢٠٠١/٩/١١م فى امريكا) .

يـــأتى بعد ذلك الدور الغربى الفرنسى والإنجليزى والألمانى والإيطالى ، وهو دور مكمل لدور اليهود والأمريكيين .

أمـا عن الأهداف المرجوة من وراء عمليات الاغتيال ضد الفئات السابقة الذكر ، فهى إضـعاف الأنظمـة الحاكمة وإبراز عدم الكفاية الأمنية والتهوين من قدرها ، مما يبث الأمل ويقـوى عزائم حركة الثورة الإسلامية ، وهذه العمليات أيضاً – من وجهة نظرهم – تحقق تمهيـداً لمسـيرة الدعوة . حيث بإزالة هذه الطواغيت يزول كم هائل من الشبهات الملقاة فى الطريق ، كما أنها تحقق الردع لكل من تسـول له نفسه بالدعـوة الى هذه الأفكار الجاهـلية أو التشكيك فى دين الله .

* * *

* تـلك باختصـار هـى رؤية الحركة الإسلامية الراديكالية فى مصر (الجهاد والجماعة الإسلامية) كنموذج لفريق من الجماعات الإسلامية العربية والعالمية لمفهوم (الاغتيال) ومن قبل لمفهـوم (الإرهـاب) وهى رؤية يعيبها من وجهة نظرنا إسقاط الواقع الاجتماعى والسياسى بمستجداته وقضاياه المتجددة ، وإغفال التركيبة النفسية الخاصة بالشعب المصرى والعربى والتى لا تحـبذ العـنف وتميل الى الاعتدال ، وعدم أخذ هذه التركيبة الخاصة فى الحسابات الفكرية والسياسـية عند الشروع فى بناء استراتيجية للإرهاب او للاغتيال السياسى مما يؤدى – كما حـدث – إلى فشل مشروع هذه التيارات ، ومعاداة حتى الشارع المسلم المتدين لأفكارهم ، واتهامه لها بالشذوذ عن صحيح الدين وصحيح التدين لدى هذا الشعب .

إن هـذه الـرؤية ، صارت بعد ذلك منهجاً لدى هذا الفريق من الجماعات الإسلامية السياسية ، واستمدت منها (طالبان) زاداً وقدوة وتأثر بها ولا شك (أسامة بن لادن) ، ورتب فى ضـوئها أولوياتـه ، وخـنادق أعدائه وأصدقائه ، وهى رؤية اختلفت عن رؤية الاخوان المسـلمين الذيـن يرفضـونها جـملة وتفصيلاً ، وكذلك ترفضها (حماس) والجهاد الإسلامى فى فلسطين ، وحزب الله وغيرها من التيارات والجماعات الإسلامية التى تضع أولوية مواجهة (إرهاب الدولة) الصهيونى على رأس الأولويات ، وتكاد تحرم ما دون ذلك ، وهى رؤية ثبت صحتها وإيجابيتها وتفاعلها الصادق مع الواقع السياسى والحضارى لأمتنا .

من مصادر هذا الفصل :

بالاضافة الى المراجع المذكورة فى متن البحث ، نود الإشارة الى ثلاث وثائق هامة صدرت عن حركتى الجهاد والجماعة الإسلامية فى مصر عامى ١٩٩١/١٩٩٢ وهى [مخطوط (وثيقة الإرهاب فى الإسلام) : إعداد : حركة الجهاد الإسلامى فى مصر ١٩٩١] و [مخطوط وثيقة (الاغتيال فى الإسلام) إعداد / حركة الجهاد الإسلامى فى مصر ١٩٩١] و [مخطوط وثيقة (الى متى : عن العنف فى مواجهة النظام القائم) إعداد الجماعة الإسلامية ١٩٩٢] وهذه الوثائق لم تنشر بعد ، وسترد كاملة فى كتابنا " النبى المسلح " الجزء الثالث والذى سيصدر قريبـــاً من القاهرة وبيروت فى آن واحد ، مكملين به الجزئين السابقين من هذا الكتاب الذى احـــتوى عـــلى جميع وثائق التنظيمات الإسلامية السرية فى مصر من عام ١٩٧٠ ١٩٩٠ وصدر عن دار رياض الريس بيروت ١٩٩٠] ،

* * *

الفصل العاشر

طالبان .. والملا
من الدين .. إلى السلطة

* شغلت حركة طالبان الدنيا ، وانشغلت بها هذه الدنيا ؛ ليس فقط بسبب ما حدث فى أمريكا يوم ٢٠٠١/٩/١١م ، أو الضربة الأمريكية / الغربية ضدها منذ يوم ٢٠٠١/١٠/٧م وحتى انهيارها خلال (نوفمبر ٢٠٠١م) ومحاولات شنها لحرب عصابات، ولكن قبل ذلك بسبب مواقفها المتشددة المنسوبة الى (الإسلام) ، سواء فى السياسة أو فى الثقافة ، وأساليب الحياة ومناحيها ، ولعل مذبحتهم للدبلوماسيين الإيرانيين فى مزار الشريف ليست بعيدة عن الذاكرة ، وكذلك معركتهم مع تماثيل (بوذا) أو أصنام بوذا كما يسموها ، أيضاً ليست بعيدة عن الذاكرة .

* السؤال الآن ، وبعد هذه الحرب الأمريكية الشرسة على أهل أفغانستان الأبرياء ، باسم محاربة طالبان ، والتى لا زالت رحاها تدور : ما هى قصة الطالبان ؟ وما هى قصة رجلها الغامض (الملا عمر) ؟ ما هى أفكارهما وعلاقتهما بالإسلام السياسى موضوع هذا الكتاب ؟

ذلك ما نحاول أن نجيب عليه بإيجاز شديد فى هذا الفصل ، بعد أن كثرت الروايات غير الصحيحة عن هذه الحركة وزعيمها ، والتى انطلقت باسم الدين ، لتصل الى السلطة عبر فهم خاص شديد السطحية ، شديد الخصوصية وفقاً للبيئة الأفغانية القبلية والاجتماعية ؟

لنترك قصة البداية يرويها الرجل الأول (الملا محمد عمر) بنفسه لاذاعة صوت الشريعة فيقول :

" كنت أدرس فى مدرسة سنج سار بقندهار مع حوالى ٢٠ من زملائى فسيطر الفساد على وجه الأرض ، واستشرى القتل والنهب والسلب ، وكان الأمر بيد الفسقة والفجرة ، ولم يكن أحد يتصور أنه يمكن تغيير هذا الوضع وإصلاح الحال ، ولو فكرت أنا أيضاً وقلت

فى نفسـى : " لا يكـلف الله نفساً الا وسعها " لكفتنى هذه الآية ولتركت الأمر لأنه لم يكن فى وسعى شيء ، لكننى توكلت على الله التوكل المحض ، ومن يتوكل على الله هذا النوع من التوكل لا يخيب أملـه أبداً .. لعل الناس يتساءلون متى بدأت هذه الحركة ؟ ومن كان وراءهـا ؟ ومن يمولها ؟ ومن يوجهها ويديرها ؟، وأقول : بداية الحركة أننى طويت الكتب فى (سنج سـار) وأخذت معى شخصاً آخر وذهبنا مشياً على الأقدام الى منطقة " زنجاوات " واسـتعرت هناك دراجة نارية من شخص اسمه (سرور) ثم ذهبنا الى " تلوكان " هذه هى بداية الحركة وأخرجوا كل تصور من أذهانكم ، بدأنا نزور الطلاب فى المدارس وحلقات الدرس ، فى صـباح ذلـك اليوم ذهبنا الى حلقة يدرس فيها حوالى ١٤ شخصاً جمعتهم فى دائرة حولى وقـلت لهـم [ان ديـن الله يداس تحت الأقدام والناس يجاهرون بالفسق وأهل الدين يخفون ديـنهم ، وقد استولى الفسقة على المنطقة يسلبون أموال الناس ، ويتعرضون لأعراضهم على الطرق العامة . يقتلون الناس ثم يسندونهم الى حجر على قارعة الطريق وتمر بمن قتل السيارات ويـرى الـناس الميت ملقى على قارعة الطريق ولا يجرؤ أحد أن يواريه التراب ، لا يمكن لنا الاسـتمرار فى الدراسة فى هذه الظروف نريد أن نقوم نحن الطلبة بعمل ضد هذا الفساد . إذا أردنا عملاً فلنترك الدراسة ونبدأ " .

ويستمر الملا عمر فى ذكر شهادته فيقول : " لم يوافق أحد من هؤلاء الـ ١٤ على القيام بهـذا العمل وقالو : ممكن ان نقوم ببعض الأعمال أيام الجمعة ، فقلت لهم : ومن سيقوم به فى الأيـام الأخـرى ، أشهد الله على ان الحقيقة هى هذه وأننى سأشهد بذلك يوم الحشر ، هذه الحركة نتيجة للتوكل المحض ، لأننى لو قست على هذه الحلقة باقى المدارس والحلقات لعدت الى مدرستى لكننى وفيت بالعهد الذى قطعته على نفسى له تعالى ، فعاملنى بما ترون ، فذهبت الى حلقة درس أخرى ، وكان فيها حوالى ٧ طلاب فعرضت الأمر عليهم فأعلنوا استعدادهم للعمل " .

ويسـتطرد المـلا عمر : " تجولنا على الدراجة على حلقات الدرس .. وما إن جاءت صـلاة العصـر حـتى وصل عدد المستعدين للعمل ٥٣ من أهل التوكل فعدت الى مدرستى وقلت لهم تأتون غداً فى الصباح لكنهم جاءوا الساعة الواحدة ليلاً الى سنج سار فكانت هذه الـبداية . إن العمل بدأ قبل أن تمضى على الفكرة ٢٤ ساعة ، وكان أحد أصدقائى يصلى بالناس فلما صلى صلاة الفجر قال أحد المأمومين : إنى رأيت الليلة فى المنام أن الملائكة نزلت الى (سنج سار) وكانت أيديهم ناعمة فطلبت منهم أن يمسحوني بأيديهم للتبرك " .

طلبنا فى صباح الغد الساعة العاشرة سيارتين من الحاج بشر أحد تجار المنطقة . سيارة صغيرة وسيارة شحن كبيرة فنقلنا هؤلاء الطلاب الى منطقة " كشك نخود " وانضم الينا الآخرون ، ولما كثر العدد استعرنا الأسلحة من الناس . فكانت هذه هى بداية الحركة حتى استمرت .

ولهذه الحركة المثيرة للجدل رؤية تجاه الحياة ، وهى رؤية من وجهة نظرنا شديدة السلفية والانغلاق ، قياساً بالإسلام الحق ، ولنتأملها من خلال أبرز وثيقة صدرت عنها تحدد أفكارها والتى هى عبارة عن تعميم صدر يوم ١٩٩٦/١٢/١٧ بعد دخول طالبان الى كابول بشهرين موقع باسم مولوى عناية الله بليغ نائب الوزير فى الرئاسة العامة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو يبلغ الجميع بأنه تلقى من رئاسة الحكومة خطابا يكلف جهاز الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لمراقبة التزام الناس بتجنب قائمة من المحظورات بلغ عددها ١٥ محظوراً هذا بيانها :

١ ـ **منع الفتنة وسفور النساء** : يحظر على سائقى سيارات الأجرة السماح بركوب النساء اللاتى يرتدين ثياب مثيرة للانتباه ويخرجن الى الشارع بغير محرم ، وإذا ما شوهدت امرأة فى الشارع وهى لا ترتدى البرقع فإن زوجها يتعرض للعقاب .

٢ ـ **حظر الموسيقى** : الموسيقى ممنوعة فى المحال التجارية والفنادق والسيارات وبعد خمسة أيام من هذا الإعلان إذا عثر على شريط موسيقى فى أى محل فإن صاحبه سوف يتعرض للسجن فضلاً عن أن المحل سيغلق وسيفرج عن الشخص فى حالة ما إذا تقدم لضمانه خمسة أشخاص ، والشىء نفسه يسرى على صاحب أى سيارة يضبط فيها شريط للموسيقى .

٣ ـ **منع حلق اللحى بعد شهر ونصف من صدور الاعلان** : فإن أى شخص يحلق لحيته سوف يلقى القبض عليه ويودع فى الحجز حتى تنمو لحيته .

٤ ـ **أداء الصلوات فى المساجد** : حين يرفع الأذان للصلوات يتعين على الجميع أن يتوجهوا الى المساجد لأداء الفريضة ، وينبغى اغلاق المحلات وإيقاف المواصلات قبل موعد الصلاة بخمس وعشرين دقيقة ، وإذا عثر على أحد فى متجره فسوف يودع فى الحجز ، ويطلق سراحه اذا ضمنه خمسة أشخاص وإلا فإن احتجازه سوف يستمر لمدة عشرة أيام .

٥ ـ **منع تربية الحمام واللعب بالطيور** : وبعد عشرة أيام فان من يخالف الأمر سوف يسجن وتذبح طيوره .

٦ ـ منع تعاطى المخدرات •

٧ ـ يحظر اللعب بالطيارات الورقية أو المراهنة عليها لما يترتب على ذلك من مخاطر تصيب الأطفال وتلهيهم عن دراستهم •

٨ ـ منع الأصنام ، على أصحاب المحلات التجارية والفنادق والسيارات أن يرفعوا أى تماثيل أو صور للأشخاص ، ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للعقوبة •

٩ ـ المقامرة ممنوعة ، وكل من يضبط وهو يلعب القمار يسجن لمدة شهر •

١٠ ـ يمنع اطلاق الشعر على الطريقة الانجليزية أو الأمريكية ومن يخالف الأمر يلقى القبض عليه ، وعلى المسئولين عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يحصلوا منه أجرة الحلاقة •

١١ ـ يمنع التعامل بالفائدة على القروض أو على أى معاملات مالية اخرى حيث إن ذلك يعد مخالفة صريحة للتعاليم الإسلامية ، ومن يخالف الأمر يودع السجن لمدة طويلة •

١٢ ـ يمنع على النساء غسل الثياب على ضفاف الانهار ، ومن تخالف هذا الأمر سوف تعاد الى منزلها محاطة بالاحترام اللائق والأخلاق الإسلامية ، أما زوجها وولى أمرها فسوف يعاقب بشدة •

١٣ ـ يمنع استخدام الموسيقى أو ممارسة الرقص فى حفلات الزفاف ، وفى حالة المخالفة فان رب الأسرة سوف يلقى القبض عليه ويعاقب •

١٤ ـ يمنع استخدام موسيقى الطبول ، ومن يخالف الحظر فسيقرر العلماء كيفية التعامل معه •

١٥ ـ يحظر ممارسة مهنة التنجيم والعرافة ، والمنجمون سيودعون السجن حتى يعلنون توبتهم . أما كتبهم فسيتم إحراقها •

(المصدر : طالبان – جند الله فى المعركة الغلط – فهمى هويدى)

أما اليوم وبعد سنوات من حكم طالبان ، وبعد بدء الحرب مع أمريكا فإن ترسانة طالبان العسكرية التى تم إبادة أغلبها كانت تتمثل فى :

القـوة الجوية : ٨ طائرات من طراز سيد ٢٢ - ٦ طائرات ميج ٢١ - ١٢ طائرة هليكوبتر سوفياتية الصنع - ٥ طائرات بوينج ٧٢٧ حولت الى ناقلات جنود - ١٨ قاعدة لإطـلاق صواريخ سام - ١٢ قاعدة لإطلاق صواريخ مضادة للطائرات محمولة على الكتف (ستينجر) •

القـوات البرية : مشاة نظاميون ١٥ ألف رجل - شرطة دينية مسلحة ٥ آلاف رجل - متطوعون باكستانيون : ٢٠٠٠ رجل - أفغان عرب ٧٥٠٠ (بينهم حوالى ٢٠٠٠ تحت قيادة بن لادن) •

الدروع : ٨٥ دبابة من طراز T62 - ٣٠٠ شاحنة تويوتا تستخدم كناقلات جنود - ١٨٠ قطعة مدفعية مورتر ومدفعية خفيفة •

القـوات البحرية : ٦ زوارق بحارية فى نهر أوكسوس الذى يشكل الحدود مع أوزبكستان (أفغانستان محاطة بالأرض من جميع الجهات) •

الملا عمر

يقـول المـلا عمـر فى حديث مع مجلة " الإمارة " الإسلامية فى أفغانستان : إننا نقاتل مسلمين إذا انحرفوا ، كيف يمكننا السكوت بينما نرى جرائم ترتكب ضد نسائنا وفقرائنا ، ويضيف فى المجلة التى تتحدث باسم حركة طالبان وتصدر بصورة شهرية باللغات العربية والبشتونية والإنجليزية : "نحن لسنا ضد تعليم المرأة ، ولكننا نريد أن يضبط تعليمها بالضوابط الشرعية " ، وتحدث الملا عمر عن نفسه فى موقع الإمارة الإسلامية بقوله :" لقد واجهت اليتم فى سن مبكرة ، وكان عمرى وقتها ثلاث سنوات ، ثم نشأت وتربيت على يد أعمامى ، وتلقيت العلوم الدينية منذ الصغر الى أن بلغت الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة ، ويضيف : عندما قام الشيوعيون بالانقلاب شاركت فى الجهاد ضدهم وجرحت مرة واحدة قبل دخول الروس الى أفغانستان ، ثم جرحت ثلاث مرات فى الجهاد ضدهم ، ويعتبر المقربون من الملا عمر ومنهم السفير الأفغانى فى بيشاور الباكستانية مولوى نجيب الله ، وهو من أقارب الملا عمر ، أن سبب عداء المجتمع الدولى لطالبان أنها النظام الإسلامى الحقيقى فى العالم وليس اعتداءات ١١ سبتمبر الماضى ، ويقول السفير نجيب الله : أعداء بلدنا ينظرون الينا كشوكة فى

أعينهم ويفتشون عن أعذار للقضاء عليها ، وبن لادن الموجود فى أفغانستان أحد هذه الأعذار ، ويضيف أن الملا عمر مع جماعة من رفقائه لا يتعدون أصابع اليدين نجحوا فى التخلص من زعماء الجهاد الذين أثاروا الفزع بين سكان قندهار ، وكانت البداية الحقيقية لفرض سيطرة طالبان على معظم الأراضى الأفغانية عام ١٩٩٦ ٠ ويقول الملا عمر : حملنا السلاح لتحقيق أهداف الجهاد الأفغانى وإنقاذ شعبنا من المزيد من المعاناة على أيدى ما يسمى بالمجاهدين ٠ إيماننا بالله مطلق يستطيع ان ينعم علينا بالنصر ويثبت أقدامنا أو يبتلينا بالهزيمة ٠

* * *

ومن جهته يقول الملا محمد رحمانى محافظ قندهار السابق العاصمة الدينية للملا عمر ، وهو من كبار قادة طالبان ، وفقد ساقه اليمنى فى الحرب ضد الروس ، ويتحرك بساق صناعية : إن حكومة طالبان جاءت بالأمن والاستقرار الى المدن الأفغانية ، بعد القضاء على الحرب الأهلية بين زعماء الجهاد المتناحرين على السلطة ، ومن أجل تحقيق الأمن ضحت بدماء زكية وغالية ٠ ويقول رحمانى : إن الملا عمر هو خبير مضادات الدروع " آر بى جى " فى سنوات الجهاد ضد الروس ، وكان يعرف بين إخوانه فى سنوات الجهاد بأنه صائد الدبابات ، وكثير من اخوانه يذكرونه فهو مقاتل شجاع اصطاد أكثر من ٥٠ دبابة روسية ، وفقد عينه اليمنى بسبب شظايا المدفعية الموجهة اليه ، ولكن الملا عمر الذى يرفض جراحة تجميل يعيش عيشة بسيطة بعيدة عن الترف والرفاهية ، يعتبر إصابته وسام شرف على صدر كل مسلم ، ويتطلع لتحقيق أعلى مراتب الإسلام وهى الجهاد فى سبيل الله ، وقال : إن قادة طالبان وفى مقدمتهم الملا عمر لا ينامون الليل ، فالبلد مازال فى حالة حرب متواصلة منذ أكثر من ٢٠ عاماً على الجبهة الشمالية ضد قوات أحمد شاه مسعود الذى تم اغتياله قبل شهر من الحرب الأمريكية - الأفغانية ، وكذلك كثيراً ما تجد قادة الحركة الحاكمة يذهبون الى الأحياء الشعبية للاطمئنان على حالات الأفغان والاستماع الى شكواهم ٠

ويقول الدكتور كمال الهلباوى خبير الشئون الأفغانية : إن الشعب الأفغانى رغم أنه يعيش على الكفاف ، لكنه لديه طموحات كثيرة ، وأشار الى أن الملا عمر متعصب إذا قال شيئًا نفذه ، ويتميز مثل بقية أبناء الشعب الأفغانى بالصبر والجلد ، ويضيف : إن أى حكومة لا تهتم بشعبها أو مصلحته المستقبلية فى الوجود ، فإنها تشارك فى تخلفه السياسى والاقتصادى ، وهو ما ينطبق على أفغانستان اليوم ، وقال : إن مناهج التعليم الدينية فى مدارس طلبة العلم ، التابعة لطالبان لم تتغير منذ ١٤٠٠ عام ٠

وبعد عامين من سقوط كابل فى أيدى طلبة العلم بايع الأفغان الملا عمر أميراً للمؤمنين ، وتوسـل للعلماء أن يعفوه من هذا الطلب ، وسعى لتبرير رفضه بأدلة شرعية فقهية ، وهو أنه فـاقد لإحدى عينيه لكنهم أصروا عليه ، وأكد الملا عمر منذ البداية أنه ليس لديه طموحات سياسية ، وقد أحاط نفسه بمجموعة تتمتع بوعى سياسى مثل وزير الخارجية المنفتح على العالم وكيل أحمد متوكل ، ووزير التربية أمير خان متقى ، والمستشار عبد الحى مطمئن ، والملا محمد ربانى رئيس الوزراء السابق ، الذى توفى قبل أقل من عام متأثراً بالسرطان ، والسفير الأفغانى المستجول رحمة الله هاشمى ، وهو فى منتصف العشرينات من العمر ويجيد الإنجليزية التى تعلمها فى كويتا الباكستانية مثل رفيق دربه محمد طيب أغا الذى يتحدث العربية بطلاقة هو الآخر .

واسـتطاع مجلس مستشاريه أن يقدم له صورة عما يدور حول العالم من أحداث ، رغم أن الملا عمر صلب الرأى ، ولا يؤمن بالحلول الوسط ، واذا اقتنع بشىء قاتل ومن ثم فإنه لن يسـلم بـن لادن ، حسـبما قال هو (من قبل من إنه سيكون آخر شخص يغادر الأراضى الأفغانية) .

ويقـول رشـيد أحمد رشيد - الخبير الباكستانى بشئون طالبان - بدأ عمر كرجل دين بسيط من البشتون ليس لديه فكرة أو رؤيا عن مستقبل الدولة الأفغانية ، زهد فى سلطة الدولة وأراد فقط تخليص أفغانستان من أمراء الحرب ، وكون هذا الرأى بمساعدة بن لادن ، ويقول أحـد المقـربين من الحركة إن الملا عمر يعتمد على ابن لادن - الذى تلاحقه واشنطن بتهمة تفجـيرات واشـنطن ونيويورك ١١ سبتمبر الماضى - أكثر من اعتماد بن لادن عليه إذ قدم ابن لادن مقاتلين وأموالاً واتصالات دولية مع حركات أصولية حول العالم ، واصبح الملا عمر فى العام الماضى جزءاً من المجلس الخاص لابن لادن .

* * *

وهـناك الكثير من الأفغان لا يوافقون على منهج التشدد الذى التزم به الملا عمر وقادة الحـركة مـن قيـادات وزارة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى تفسير الدين الإسلامى ، وانعكـاس ذلـك على الحياة اليومية للأفغان ، ولم يتبق لهم إلا الخروج عن الطاعة ، فالتعليم محظور على النساء ، وفرض على الرجال إطلاق لحاهم ، ومنع الراديو والتليفزيون والموسيقى ووسـائل الـترفيه الأخرى ، وألغى الهامش المسموح لحرية المواطنين مثل حرمان غير الملتحين

من الوظائف ، أو تقديم خدمات لهم . ويأتى منهج التشدد لطالبان التى تسيطر على ٩٠% مـــن البلاد التى تمزقها الحرب فى إطار جهودها لتحويل أفغانستان الى ما تعتبره دولة إسلامية خالصة .

ويحظـــر المـــلا عمـــر مـــثلاً استيراد الآلات الموسيقية وهوائيات التقاط محطات التلفزة الفضائية ، رغم أن قادة العالم يتابعون أخبار العالم عبر أطباق الاستقبال ، وكذلك منع استيراد أفلام كاميرات التصوير والتجهيزات السينمائية وشرائط الفيديو وآلات التسجيل أو الأفلام الإباحيـــة ، وحظـــر أيضاً استيراد ورق اللعب والشطرنج وكافة الألعاب المسلية وطاولات البـــلياردو والأسهم النارية وطلاء الأظافر ومجسمات عرض الأزياء التى يستخدمها الخياطون فى واجهـــات محالهم وكاتالوجات الألبسة ، وحظر نظام الحركة الحاكم أيضاً استيراد ربطات العنق والدبابيس المزينة لها وبطاقات المعايدة الخاصة بعيد الميلاد وكل أنواع البطاقات التى تمثل أشخاصاً .

وتكشف مصادر مقربة من حركة طالبان أن المدارس الدينية التى تخرج منها طلبة العلم الأفغان ، ومنها كلية دار العلوم الحقانية ، هى التى ربت جيلاً جيداً من الطالبان ، فى مقدمتهم المـــلا عمـــر وكلية دار العلوم الحقانية أسسها مولانا عبد الحق فى أكورا كاتاك عام ١٩٤٧ وكـــانت قبلها مدرسة تحمل نفس الاسم ، أسسها سيد أحمد حسين مدنى عام ١٩٣٧ وهناك الكثير من قادة طالبان تخرجوا من كلية دار العلوم ، وهى مدرسة داخلية توفر للمنتسبين اليها العلوم الدينية الشرعية ، وتتسع لنحو ألف طالب من باكستان وأفغانستان ووسط آسيا .

وكـــثير من طلبة العلم الأفغان اصطحبوا معهم فى رحلة العودة العشرات من زملائهم الباكســـتانيين للمشـــاركة معهم فى القتال ، وكثير منهم وقع فى الأسر لدى قوات أحمد شاه مســـعود ، وآخـــرون ممـــن تم أسرهم فى وادى بانشير تم الإفراج عنهم بعد ان ذهب كبار من عوائلهم يطلبون العفو عنهم لدى مسعود ، وتم إطلاق سراحهم بشرط عدم العودة للقتال فى صفوف طالبان .

وأول مـــن انتبه الى إمكانية الاستفادة من طلبة العلم سياسياً ، وزير الداخلية الباكستانى نصير الله بابر ، وكانت مقاطعات أفغانستان فى عام ١٩٩٥ تشهد الكثير من عمليات السلب والنهب واغتصاب الفتيات التى يمارسها أمراء الحرب من المجاهدين على تقاطع الطرق ، وقرر بابـــر الاســـتفادة من طلبة الفقه والشريعة وحفظة القرآن الكريم وتبناهم شخصياً ، وبدأت

المخابرات الباكستانية في تدريبهم على الأسلحة الخفيفة والثقيلة ، وكانت مصلحة إسلام أباد هي إيجاد حكومة موالية لهم فى كابل .

وبدأ طلبة العلم فى القدوم الى الملا عمر فى قندهار من كويتا وبيشاور ، وكونوا قوة لا يستهان بها من مدارس العلم المولوية التى تحظى باحترام بين طوائف الأفغان ، ووصل عدد مقاتلى طالبان خلال عامين نحو ٥٠ ألف مقاتل واستطاعوا تخليص العاصمة كابول خلال ثلاث ساعات من قبضة العصابات الجهادية فى عام ١٩٩٦ ، وعندما سقطت مزار شريف فى أيدى التحالف الشمالى أصدر الملا عمر أوامره لطلبة المدارس الدينية للقتال وترك الآلاف كتب الفقه والشريعة وأصول الدين ، ليحملوا الكلاشينكوف والجرينوف خفيف ، والآر بى جى ، فى اتجاه قوات أحمد شاه مسعود وسرعان ما استعاد طالبان مدينة مزار شريف .

* * *

جاءت زعامة الملا عمر المولود فى قرية زوجان بمقاطعة مواعند ، التى تبعد عن قندهار نحو ١٠٠ كيلو متر وسط شعور بالإحباط واليأس أججته حرب ضروس بين فصائل المجاهدين الذين هزموا الاحتلال السوفياتى ، ثم انقلبوا على بعضهم البعض عام ١٩٩٢ .

وتقول قصة : إنه فى بداية عام ١٩٩٤ جند عمر نحو ٣٠ طالباً دينياً بعد أن سمع عن قيام أحد قادة المجاهدين باختطاف قرويتين واغتصابهما ، وبنحو ١٦ بندقية هاجمت المجموعة قاعدة المختطفين وحررت الفتاتين واستولت على كميات كبيرة من الذخائر والأسلحة ، وكانت البداية الحقيقية لذيوع صيت الملا عمر ، وفى نوفمبر ١٩٩٤ استولت طالبان على قندهار ثانى أكبر مدينة أفغانية وبات واضحاً أن نضاله يلقى تأييداً عسكرياً من باكستان .

وفى عام ١٩٩٥ كان عمر ومقاتلوه الشبان يكتسحون شمال أفغانستان واستولوا على العاصمة كابول فى ١٩٩٦ ، ولتحقيق هذا قام عمر بعمل درامى . إذ أخرج عباءة يزعم انها للنبى محمد صلى الله عليه وسلم من مزار مقدس فى قندهار ، ووقف على سطح مبنى وقد لفها على نفسه وسط هتافات أنصاره الذين اجتمعوا أسفل المبنى ، وكانت النتيجة إعلان الجهاد ضد الرئيس برهان الدين ربانى ، وسقطت كابول فى ٢٦ سبتمبر ١٩٩٦ وبقى عمر فى قندهار التى أصبحت بمثابة العاصمة الدينية .

* * *

رؤية الملا عمر للتهديدات الأمريكية

عبر البريد الألكتروني تم توزيع نص الرسالة التي وجهها زعيم حركة طالبان (الملا محمد عمـــر مجـــاهد) الى الأمــة الإســلامية والشعب الأفغاني ودعاهم فيها الى الذود عن الإسلام وعن أفغانستان عندما كانت تتعرض لما اسماه بالهجوم الجديد من الامبراطورية الثالثة (أمريكا) هجوم لا علاقة له بملاحقة أسامة بن لادن بل بتدمير دولة وشعب مسلم كما قال ، وفيما يلي نص الرسالة :

إلى أمة الإسلام والى الشعب الأفغاني الغيور !! هذه هي الإمبراطورية الثالثة تهجم علينا ، كـــلكم على علم أن الإنجليز هجموا على أفغانستان . فبأي حق هجموا على أفغانستان ؟ هل كـــان هناك أسامة ؟ وكذلك هجم الروس على أفغانستان ، هل كان هناك أسامة ؟ وهذه هي الإمـــبراطورية الثالثة تهجم علينا ، وكلكم على علم أن المسألة ليست قضية أسامة ، وإنما هي قضية الإسلام . فهم يعادون الإسلام والمسلمين ، صحيح أنه كانت هناك تفجيرات في أمريكا لـــلطائرات ، ولكـــن كـــل أحد يدرك أن رجلاً واحداً ، ولاسيما اذا كان مهاجرا ووحيدا لا يستطيع ان يكون وراء هذه الانفجارات الكبيرة المنظمة .. وهذا لا يمكن أبداً ، والمدبرون لهذه الانفجارات تعلمهم أمريكا ، ولكنها لا تتهمهم ، وبدلاً من ذلك توجه الاتهامات كلها الى أفغانستان وإلى الإمارة الإسلامية لأنهم يعلمون أن في أفغانستان نظاماً إسلامياً واقعياً حقيقياً ، وهذا يعتبرونه خطراً عظيماً عليهم ، وهم مدركون لهذا الخطر .

اعلموا أن المخرج من هذه الأزمة هو الاعتماد والتوكل على الله والصبر والثبات ، فهذا هـــو الطـــريق الوحيد فإذا هاجمتنا امريكا بـــ (كروز) أو غيره وهجمت على البلاد ، فلابد من مواجهتها والتصدى لها .

وإذا كـــان الله أراد هـــذا فلابـــد أن يقضى ، والمخرج هو التوكل على الله والتصدى لـــلعدوان ، فعلى المسلمين أن يفكروا وينظروا الى الإسلام والى حميتهم الإسلامية وألا يخافوا ولا يحزنوا ، فلابد من هذه المشاكل والذى يموت من أجل دينه ومن أجل الإسلام ، فهذه لذة وســـعادة تفوق كل لذة وسعادة في الدنيا ، لأنه لا مفر من الموت ، فإذا كان الموت من أجل الإســـلام فذلك هو الفوز العظيم ، فليثبت المسلمون وليصبروا وليتوكلوا على الله ، قال الله تـــبارك وتعـــالى : (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) فهل نعتمد على قول الله تبارك وتعالى ، أم على قول أمريكا ؟!!

إن الإيمان ليس دعوة باللسان فقط (أن نقول نحن مسلمون) بل الله يمتحننا بالمواجهة مع الكفر وأمريكا ، وناظر كيف نعمل ، فالله تبارك وتعالى يمتحن إيماننا وغيرتنا على الدين ، وإلا فإنه يسهل على الله تبارك وتعالى أن يهدم أمريكا بأسلحتها وقوتها فلا يبقى منها شيء ، وإذا كانت المشاكل لابد من أن تقع ، فلتقع ، ومن الذى لا تأتى عليه المشاكل ؟

الإنجليز والروس قتلوا الملايين من شعبنا ، ولكن الله أهلكهم بسبب تضحياتنا ، وإن لم تضحوا وتغاروا على دينكم فانظروا الى الدول فى العالم ، سلب منهم إيمانهم وغيرتهم وسلب منهم كل شيء . لماذا نخاف ونحن الذين هزمنا إمبراطوريتى الإنجليز والروس بأيدى شعبنا، ومزقوا كل ممزق ؟! أفغانستان هى أفغانستان السابقة ، وغيرتها هى غيرتها السابقة ، ودينها هو دينها السابق ، وإيمانها هو ايمانها السابق ، فما هو المشكل إذن ؟ إنه لا أكثر من أن يموت الناس ، فليموتوا لكن مع الإيمان والإسلام فليس فى هذا غضاضة ، وإنما المصيبة الكبرى أن يسلب منهم الإسلام ويموتوا بغير الإسلام والإيمان ، فلا يخف أحد ، وليكن كل أحد على استعداد للقيام بأى عمل يكلف به عند الحاجة ، وأى تضحية دون إيمانه ودون دينه ودون كلمة (لا إله الا الله محمد رسول الله) فلينو كل أحد هذا وليعزم عليه ، فالله ينصركم ويقضى على جميع الفتن والبلايا .

إنكم إن جبنتم ولم تغاروا على دينكم ، فعليكم أن تنظروا الى تاريخ أجدادكم الأمجاد ، وانظروا الى هؤلاء المعوقين الذين قطعت أطرافهم فى الجهاد ضد الروس ، كيف غاروا على دينهم وكيف سووا الإمبراطورية الروسية بالأرض ، وأنتم ترون المجاهدين وهم أحياء ، إن ما يحصل هو تدبير وإرادة من الله تبارك وتعالى فلا تخافوا ولا تحزنوا ولا تلوموا الطالبان ، ولا أسامة ، فأقسم بوحدانية الله أننا لو سلمنا أسامة اليهم لا تنتهى المشكلة ، وسيقولون بعده لماذا فعلتم هذا أو ذاك؟ افعلوا هذا ، وافعلوا هذا كما نقول ونأمركم ، فأين يكون إيماننا وديننا فى تلك الحالة ؟!

وهذه التفجيرات ما قام بها أسامة ، ولا يستطيع أن يدير انفجارات منظمة ودقيقة ، وإنما قام بهذه الانفجارات أشخاص ضحوا بأنفسهم ، ولا أحد يضحى بنفسه لأجل أسامة ، والذى يضحى بنفسه لا يضحى من أجل أسامة ، وانما يضحى بنفسه لقناعته الشخصية فهو لا يخاف من أمريكا ولا من أحد ، فلا يفعل هذا أحد لإرضاء أسامة ولا يمكن أن يكون هذا من أسامة .

هذه فقط وفقط هي الإمبراطورية الثالثة تفرض نفسها على العالم ، ويغريها بذلك ويزينه لهـا العـلمانيون وضعاف الإيمان الذين يقفون بجانبها ، بل وقف الى جانبها من يفترض أنهم أعداؤها ، لقد وقف الجميع ضدكم !!

فعـلى كـل مسـلم أن يتذكر إيمانه ودينه ويثبت فى جميع الأحوال ، وإلا كان فى قلق واضـطراب ولا ينجيه ذلك الموت لأن الموت لابد منه ، إنه يجب أولاً على المسلمين فى جميع أنحـاء العالم أن يغاروا على دينهم ويذودوا عنه وعن أفغانستان وأن يستعدوا لكل تضحية من أجل الإسلام ، وإن لم يفعلوا فعلى شعب أفغانستان أن يثبتوا على إيمانهم وغيرتهم وشجاعتهم ويجددوا تاريخهم الجليل . عندما هجم الإنجليز على أفغانستان ، وعندما هجم الروس لم أكن أنـا ولا أسـامة بن لادن ، وقد تصدى لهم الشعب الأفغانى بكل شجاعة ، دون أن آمره أنا أو أسـامة بذلـك ، ولكن الشعب الأفغانى ضحى وغار على دينه وإيمانه ، وهذه الآن وأيضاً حلقة من سلسلة هذه المواجهات . فيجب على كل مسلم أن يثبت ولو كلفه ذلك حياته فهذا هو طريق الفوز ، ولاشك فى هذا ، وليعتمد كل مسلم على ربه وليثق بقوله الله تبارك وتعالى (وأنـتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) . إن الإيمان ليس دعوى باللسان فقط (أن يقول إنسان أنا مسلم) دون أن يخلص أو يصدق . فلابد من الايمان الواقعى ، وبعد الإيمان الواقعى يكون الفوز حليفك ، وهذا وعد من الله تبارك وتعالى ولا يخلف الله الميعاد .

إننى لا أخاف ولا أداهن أعداء الإسلام والمسلمين وسلطتى وحكمى ورئاستى حتى حياتى فى خطـر ، وأنـا مسـتعد لكل تضحية إن شاء الله ، ولو أننى أداهن الكفار وأسالمهم مخالفاً للإسلام فسيؤمنون لى الامارة والسلطة ويمدوننى بالمال ، وأكون فى سعة ورخاء كما يعاملون رؤسـاء سائر البلاد ، ولكنى أضحى حتى بنفسى وأغار على دين الإسلام وعلى هذا الوطن المبارك ، فما بال فرد من الأفراد العاديين الذين ليس عندهم ما يخافون عليه لا يغار على دينه ووطـنه ويخاف ولا يحضر الجهاد ويفر خارج البلاد ؟ فما بالهم وليس عندهم ما يخافون عليه عجباً !!

إن حكمـى وسلطتى وحياتى كلها فى خطر ، ومع هذا أغار على دينى وأدافع عنه . فما بالك أنت لا تغار على دينك وتخاف ؟ إن هناك ضعفاً وهواناً فى إيمانك ، فإن كنت مؤمناً حقاً يكون الإيمان عزيزاً عظيماً عندك ، فعليك أن تضحى فى سبيله .

إننى مستعد لكل هذه التضحيات إن شاء الله ، فأعجب منك كيف لا تستعد !! فإن كان عندك إيمان او غيره فلتثبت ، والا فلا أبالى بك ولا أسمع لك ، ولماذا استمع لك وليس عندك غيرة ولا إيمان ؟ أنت تشير على أن أفعل هذا ، ودع هذا ، فإن كان معك إيمان فلا تتنازل عن دينك وإيمانك ، ولا تقبل فيه ما هو خطر على الإيمان والإسلام واستقلال الوطن ، فإذا كنت تتنازل عن كل شىء وتقبل كل شىء فظاهر أن فيك ضعف إيمان . افيجب عليك أن تقوى إيمانك وتعيد النظر فى منهجك ، لأن الذى معه إيمان قوى ويريد أن يحافظ على إيمانه فلا يقبل أمرًا يكون فيه خطر على الإيمان والإسلام ، فيجب على كل مسلم أن يفكر بعمق ويغار على الإسلام والقرآن . فالله رؤوف رحيم وسوف يكرمنا بالفوز ، والفوز الأكبر هو الموت على الإيمان بدون شك ، وهذا هو طريق رفع راية الإسلام وليس رفع راية الإسلام ولا رفع كلمة لا اله إلا الله محمد رسول الله فى غير هذا الطريق ، فى غير هذا الطريق هدم للإسلام لأن هدم الإسلام أن تقبل ما يقوله الكفار ويأمرونك به ، فهذا هو طريق هدم الإسلام ، وأنت بفعلك هذا سويت اسم الإسلام وقدره بالأرض .

لا تسقط راية الإسلام بالموت والتضحية ، وأنما تسقط بأن تقبل ما يخالف الإسلام ويكون فيه خطر على الإسلام ، عندما يكون هنا استنفار للجهاد فيجب على كل أحد ان يستعد . وأنا لا أقول لكم هذا من أجل الاحتفاظ بالسلطة والسيطرة ، ففكروا جيداً ، فلو كنت أريد مجرد البقاء فى السلطة فيمكننى ذلك بالمداهنة فى الدين والتنازل عن الإسلام لا قدر الله . فلو فعلت ذلك فسوف يحموننى ويمدوننى بالأموال ، حتى بالقوات العسكرية ، وليس طريق البقاء فى الحكم أن يستعد الإنسان للتضحية ، وأنتم تعلمون أننى لا أقاتل من أجل الحكم والسيطرة ولا أحرضكم لأجل ذلك ، وإنما هذا أمر القرآن الكريم . بماذا يأمركم والى أى طريق يهديكم ؟

وصيتى لكم هو ما وصاكم الله به فى القرآن الكريم ، فعلى كل مسلم أن يكون على يقظة فى الأمور وألا يخاف ، ولا تخدعكم وسائل الإعلام لتضعف إيمانكم ، والله يوفق جميع المسلمين الى أن يثبتوا على الإيمان والإسلام ، ومن الله التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم الإسلام أمير المؤمنين

ملا محمد عمر مجاهد

تــلك كانت رؤية الملا عمر لطبيعة الأزمة ، والتى انتهت بحصار دولته (لإمارته) وخنقها وربما قتله ؛ ولقد كانت هذه الرؤية هى ملخص عام لطبيعة " الملا " عمر لدور الدين فى الحياة وفى معــارك أفغانســتان ضــد الغرب ، وهى رؤية رغم صوابها نظرياً إلا أنها تفتقد الواقعية الصــحيحة الــتى تصارع هذا الغرب على أرضية الإسلام المقاوم الذى يمتلك أسباب النهضة والأخــذ بالأسباب وبالعصر دون إخلال بأصول الدين وصحيحه فى مواجهة طاغوت عدوانى نــازى مثل هذا الطاغوت الأمريكى الذى يقتل الأخضر واليابس فى هذا البلد الفقير بحثًا عن رجــل واحد .. وياله من عدوان لا معنى له إلا ما أسماه بوش بزلة لسان ؛ إنه (حرب صليبية جديدة) ولا شك !! •

الفصل الحادي عشر

مستقبل الإسلام السياسى

لا مشاحة لدينا فى أن مستقبل تيارات الإسلام السياسى العربية يتصل بقاء وعدماً بقضية الصـــراع العـــربى / الصـــهيونى ، نعم قد تتعدد القضايا والإشكاليات التى تعوق مسيرة هذه التيارات أو تحجمها أو تغير مساراتها ، ولكن تظل (فلسطين) هى القضية المركز كما أصَّل لها وأبدع من قبل الشهيد الدكتور/ فتحى الشقاقى مؤسس حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين .

إن " قطـــب الـــرحى " ، الذى ظهر على خارطة الوعى الإسلامى وعدل من اتجاهاتها وأفكارهـــا خـــلال الخمسين عاماً الماضية ، كان فلسطين والاحتلال الصهيونى لها وإقامة دولة دخيـــلة على ترابها وفوق مقدساتها الإسلامية التى ليس بمقدور أى مسلم التنازل عنها ، حيث أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين : الأقصى .

وقـــبل الخمســـين عامًا أو المائة (بمعنى أدق) الماضية ، لم تكن للقضية الفلسطينية نفس الأولويـــة . بـــل كـــان للانعتاق من الاستعمار الإنجليزى / الفرنسى ، والتخلص من الحكام المســـتبدين ، ومواجهـــة محـــنة مـــا بعد سقوط الخلافة ، هى القضايا ذات الأولوية بالنسبة للإســـلاميين الحـــركيين كمـــا هى بالنسبة لباقى حركات الرفض السياسى والاجتماعى التى انتشرت فى محيطنا العربى والإسلامى .

* * *

واليوم ...

وقـــد دخـــلت الانتفاضة الفلسطينية عامها الثانى محملة بمسئوليات جسام ، مسئوليات ذهـــب ضـــحية لها قرابة الـــ ٨٠٠ فلسطينى شهيداً والـــ ٣٠ ألف جريح وعشرات المنازل والمؤسسات ودور العبادة المهدمة ، واقتصاد منهار خسر ما يقرب من عشرة مليارات دولار ، وأيضـــاً بتحطـــيم جلى للروح الصهيونية وللاقتصاد والبشر داخل كيانه ، فتألم كما تألم أهل الانتفاضـــة ، ولذلك تعمد أن يزيد من جرعة العنف ضدهم يومياً وفى أجواء مثل هذه ، ومع احـــتمالات الاشتعال مجدداً فى الجنوب اللبنانى المقاوم بواسطة حزب الله ، وفى ظل الأحداث

الدامية والمجرمة التى تجرى على أرض أفغانستان منذ ٢٠٠١/١٠/٧م من قبل الولايات المتحدة الراغبة فى الانتقام بعدما حدث لها فى واشنطن ونيويورك صباح يوم ٢٠٠١/٩/١١م .. حتى لو جاء هذا الانتقام عشوائياً .

فى أجواء مثل تلك .. كيف نقرأ مستقبل تيارات الإسلام السياسى ، وإلى أين تتجه خطى الإخوان المسلمين أكبر فصائل هذا التيار على الصعيد العربى والإسلامى .. وخطى جماعات الجهاد والجماعة الإسلامية وتنظيم (القاعدة) وغيرها من فصائل العنف السياسى التى طغت أفعالها وخطاباتها خلال السنوات الثلاثين الماضية .. ولازالت تطغى ؟

وإلى أين تتجه خطى جماعات الإسلام السياسى المقاوم والذى ينبغى أن نفرق بينها وبين (جماعات العنف السياسى الإسلامى السابقة) تفرقة واضحة .. ونقصد بجماعات الإسلام السياسى المقاوم تحديداً حركتى حماس والجهاد الإسلامى فى فلسطين وحزب الله فى لبنان ؟

وقبل كل هذا وبعده .. كيف تنظر الولايات المتحدة الامريكية إلى مستقبل الإسلام السياسى وجماعاته بعد أحداث ١١ سبتمبر (أيلول) الماضى ؟ ذلك ما نحاول الإجابة عليه فى دراستنا هذه .

* * *

أمريكا وجماعات الإسلام السياسى

من المؤكد أن أمريكا بعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١م غير أمريكا بعدها . فلا الاقتصاد هو الاقتصاد ، ولا السياسة هى السياسة ، ولا العولمة ذات العولمة .. لقد تحولت أمريكا بفعل الضربة العنيفة التى طالت رموز وركائز إمبراطوريتها العظمى [رمز الركيزة الاقتصادية : برجا التجارة العالمى رمز الركيزة والهيبة العسكرية : البنتاجون رمز الركيزة المخابراتية : معقل C. I. A الذى كان موجوداً فى خمس طوابق فى برج التجارة ، وأيضاً لعدم قدرة المعقل الأم لجهاز المخابرات الأمريكى على التنبؤ بما حدث ، وسبل مواجهته] .

لقد تم ضرب رموز لركائز هذه الإمبراطورية ، فتحولت واقعاً إلى دولة من العالم الثالث ، فقدت هاجس الأمن ، وهاجس التعامل الهادىء مع الأحداث ، ومع القوى والدول والتيارات ، وصار الجميع لديها كما عبر رئيسها أثناء الأزمة : (إما معنا أو ضدنا) ، ولم تعد تفرق بين (الإرهاب) الموجه ضد المدنيين والمدان أصلاً ، وبين المقاومة الوطنية التحررية

المشـــروعة •• الكل بات فى سلة أمريكية واحدة ، وأضحت التفرقة بينهما فى أجواء التوتر والخسائر الاقتصادية والنفسية مستحيلة •

فى ظـــل هذه الأوضاع طال جماعات الإسلام السياسى (العربية) منها خاصة ، النصيب الأوفر من الإدانة والوصم بالإرهاب ، وتساوى حزب الله محرر الجنوب اللبنانى بالجيش الأحمر الألمانى واليابانى ، وتساوت حماس وحركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين بمنظمة إيتا الانفصالية ، وأضـــحى تنظيم (القاعدة) لأسامة بن لادن متساوياً مع جبهة (مانويلا رود ريجز) فى شيلى ، وكأنـــنا أمـــام أسطورة إغريقية (أمريكية) من العبث ، تحتاج إلى وليم شكسبير جديد ليعيد صياغتها على المسرح السياسى الدولى الراهن !!

إن هذا الاضطراب الذى أصاب العقل الأمريكى تظهره أكثر هذه القائمة التى وضعتها الإدارة الامــريكية لأسماء التنظيمات التى أسمتها بالإرهابية فى العالم ، وطالبت بضربها وتجميد أرصدها المالية وتجفيف منابعها السياسية والمادية ، وهى تجمع خليطاً فريداً من منظمات عنف فعـــلية جنـــباً إلى جنب مع منظمات جهاد ومقاومة بجوار منظمات عمل سياسى بحت ، كان ولا يزال تيار الإسلام السياسى العريض ، له نصيب الأسد فيها :

تقول القائمة : إن هذه التنظيمات تشمل ٤٧ اسماً إرهابياً بيانها على النحو التالى :

[تنظـــيم القـــاعدة (أفغانســـتان) – جماعة أبو سياف (الفلبين) – جماعة أرماتا كورسا (كورســـيكا – فرنسا) – الجماعات الإسلامية المسلحة – جماعات الجزائر – أوم شند ريكو (اليابـــان) –مـــنظمة إيتا (أسبانيا) –شوكا كوها (اليابان) – الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (فلسطين) – حركة فتح – المجلس الثورى – أبو نضال (مجهولة المقر) – تنظيم فتح (فلسطين) – القوة ١٧ (فلسطين) – حركة حماس (فلسطين) – حركة المجاهدين (كشمير – باكستان) – الجيش الأحمر اليابانى (اليابان) – حركة الجهاد الإسلامى (مصر) – حركة كاخ (إسرائيل) – حـــزب العمـــل الكردســـتانى (تركيا) – حركة العشرة الطيبة (باكستان) – حركة لأو تارو الشـــبابية (شـــيلى) – حركة تحرير نمور تامير – إيلام (سيريلانكا) – قوة المتطوعين الموالين (إيرلـــندا الشمالية) –جبهة مانويلا رود ريجز الوطنية (شيلى) – جبهة مورانز انسنت الوطنية (هـــندوراس) – مجاهدى خلق (إيران) – جيش التحرير الوطنى الكولمبى (كولومبيا) –جبهة الـــتحرير الوطنية الكورسيكية (فرنسا) – جبهة نستو برباز زامورا (بوليفيا) – الجيش الشعبى الجديـــد (الفلـــبين) – جبهة تحرير فلسطين (العراق) – حركة الجهاد الإسلامى (فلسطين) –

الخمير الحمر (كمبوديا) – القيادة العامة للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين (فلسطين) – جبهة النضال الشعبى (سوريا) – الجيش الإيرلندى الجمهورى الحقيقى (إيرلندا الشمالية) – فصـــيل الجيش الأحمر (ألمانيا) – الألوية الحمراء (إيطاليا) – القوات المسلحة الثورية الكولمبية (كولومـــبيا) – مـــنظمة ١٧ نوفمبر الثورية (اليونان) – حزب جبهة التحرير الشعبية الثورية (تـــركيا) – النضال الشعبى الثورى (اليونان) – حركة توباك أمار الثورية – الدرب المضىء (بيرو) – الجماعة الإسلامية (مصر) – حركة أوزباكستان الإسلامية (أوزباكستان) – حركة المجاهدين الكشميرية (كشمير)] .

تظهر هذه القائمة كما نرى كيف أن أمريكا وضعت الجميع فى سلة واحدة ، مما سيوقعها مســـتقبلاً فى حروب وصدامات دامية مع جبهة إسلامية وإنسانية عريضة ، قد تضرب أمريكا ذاتها من الداخل مرة ثانية وثالثة .

* والمـــلفت للانتباه أن أمريكا لم تحاول أن تنتبه لمنظمات أوروبية وأمريكية إرهابية تعمل بداخـــلها وداخل أوروبا ، وقصرت الأمر على من يعمل خارجها وخارج أوروبا وبالذات فى عالم الإسلام ، وإذا أردنا أن نورد نماذج لهذه المنظمات فإننا سنكتشف الآتى :

١ ـ منظمات أوروبية إرهابية :

[مـــنظمة الخلايـــا الثورية الألمانية (يمينية متطرفة) – منظمة القوى الشعبية (ماركسية مـــتطرفة) – الجيـــش الســـرى الأرمنى لتحرير أرمينيا (يسارى متطرف) – الألوية الحمراء (إيطالية يسارية راديكالية متطرفة) – الحرس الأحمر الألمانى (يسارى راديكالى) – منظمة الثانى مـــن يوليو الألمانية (يسارية راديكالية) – لواء الغضب البريطانى (يسارى راديكالى) – منظمة العمل المباشر الفرنسى (يسارى راديكالى) – الجيش الجمهورى الإيرلندى (انفصالى) – منظمة الباسك الأسبانية (انفصالية) – منظمة الكاثوليك الأيرلندية (انفصالية) – منظمة السيخ الهندية (انفصالية)] .

٢ ـ نماذج من المنظمات الإرهابية الأمريكية :

[منظمة أنصار الإنجيل – الحزب الثورى – منظمة النازيون الأمريكيون – منظمة حزب الله الـــثورى – منظمة فرسان الليل – منظمة التحالف ضد الأجانب – منظمة حزب العمل الأبيـــض – مـــنظمة الجـــبهة الانفصالية (انفصالية) –منظمة المحاربون البيض من أجل الحرية

(انفصالية) – منظمة عصبة الدفاع المسيحى (انفصالية) – منظمة الرؤوس الحليقة (انفصالية) – منظمة جيش الله (انفصالية) – منظمة الإخوان الأمريكيون المتمردون (انفصالية) –منظمة الجبهة المعادية للخطر الملون (انفصالية) – منظمة الملاشيا البيضاء (انفصالية) – منظمة ديفيد كورش التى نفذت حادثة أوكلاهوما] .

ترى من سيتصدى لهذه لمنظمات ؟ .. إذا كانت أمريكا قد تفرغت للإسلام السياسى الذى لم تثبت إدانته حتى الآن فى أحداث ٢٠٠١/٩/١١م .

* * *

وإذا مددنا النظر أكثر لاكتشفنا أن أمريكا بدأت تحاصر الوجود العربى والإسلامى حتى بداخلها ، وتفترض فى كل امرأة محجبة ؛ إرهابية ، وفى كل (ملتحى) ؛ متطرف يريد خطف طائرة .. فإذا علمنا أن هذا الوجود العربى الإسلامى قد وصل إلى ٧ ملايين ، فإننا أمام جيش من الإرهابيين المحتملين الذى بإمكانه أن يزعزع أمريكا لثلاثة قرون قادمة ، فى حال استمرار حالة عدم الفهم والحماقة السياسية الراهنة . خاصة إذا علمنا أن هذا الوجود بيانه كالتالى :

[مليون مسلم أمريكى من أصول عربية – ٣ مليون مسلم أمريكا من أصول أمريكية وغير عربية – ٣ مليون أمريكى من أصول غير أمريكية أغلبهم من باكستان والهند وإيران وتركيا والدول العربية] ، أما مجموع إحصاء الأمريكيين من أصول عربية المقيمين بصورة رسمية فى أنحاء الولايات المتحدة الامريكية فيبلغ ثلاثة ملايين عربى توزيعهم كالتالى :

[١,٠٠٠,٠٠٠ مسلم بنسبة ٣٣% (الجالية الثانية فى أمريكا) ٣٠٠,٠٠٠ بروتستانتى بنسبة ١٠% – ٥٧٠,٠٠٠ أرثوذكسى يونانى كلدانى بنسبة ١٩% – ٦٠,٠٠٠ أرثوذكسى مصرى بنسبة ٢% – ١٨٠,٠٠٠ كاثوليك روم بنسبة ٣٦% (الجالية الأولى فى أمريكا وتقع أكبر تجمعات هؤلاء الأمريكيين من أصول عربية فى المدن التالية) : ٣٠٠,٠٠٠ لوس أنجلوس – ١٦٥,٠٠٠ نيويورك – ٩٥,٠٠٠ شمال شرق نيوجرسى – ٩٥,٠٠٠ شيكاغو – ٧٠,٠٠٠ واشنطن] .

إن مستقبل الإسلام السياسى إذن من المنظور الأمريكى مستقبل مظلم للطرفين ، فسوء التفاهم قائم ومستمر ولن ينقشع لسنوات طويلة مقبلة ، وقد يشهد صدامات كبيرة فى أنحاء متعددة من العالم بل وداخل الولايات المتحدة ذاتها .

* * *

الاخوان المسلمون إلى أين ؟!

بعـــد أحداث ١١/٩/٢٠٠١م ، دخل الإخوان – وهم التنظيم الأكبر والأقوى من بين جماعـــات الإسلام السياسي العربي – مرحلة جديدة حتى وإن كان قادته لم يروا ملامحها بعد ؛ وهـــي مرحـــلة سيغلب عليها المضايقات السياسية من قبل أنظمة الحكم التى تدين فى أغلبها لأمـــريكا بـــالولاء ، وهي لكي تكتسب مودتها الدائمة وتحالفها الاستراتيجى معها ، ستضيق الخـــناق عـــلى الإســـلاميين بما فيهم المعتدلين كالإخوان . انطلاقاً من كونهم ووفقاً للمنظور الأمريكي سالف الذكر (إرهابيون محتملون) •

والمـــثير للانتـــباه هنا أن الخارجية الأمريكية قبل أحداث ١١/٩/٢٠٠١م كانت تنظر للإخـــوان المسلمين بقلق ، وتعتبرهم أكبر تهديد للأنظمة الحاكمة فى المنطقة وبخاصة فى مصر وتطـــالب بالتضـــييق عليهم ، ففى تقرير الخارجية الأمريكية الذى نشر يوم ٣/٤/٢٠٠١م فى صحيفة (الأسبوع المصرية) جاء فيه : [أن الاخوان يشكلون الظاهرة الأكثر قلقاً فى مصر ، ويعـــدون الجماعـــة الأكـــثر تنظيماً ولديهم القدرة على الوصول للسلطة فى غضون سنوات قليلة •

واعتـــبر الـــتقرير أن الإخـــوان يحاربون انتشار الاستثمارات الأجنبية فى داخل مصر ، ويشـــكلون بـــين الحين والآخر مجموعات ضغط لإجبار الشركات الأجنبية على التراجع عن الاستثمار فى مصر • ويرى التقرير الأمريكي أن الحكومة المصرية ، وعلى الرغم من محاربتها المستمرة لأنشطة الإخوان المسلمين وتقليم أظافرهم بين الحين والآخر إلا أن الإخوان اكتسبوا تـــأييداً شعبياً برز فى انتخابات مجلس الشعب الأخيرة ويتوقع التقرير تزايد عدد الفائزين من الإخوان فى الانتخابات المقبلة ليصل إلى ثلاثة أضعاف العدد الحالى فى حالة عدم حدوث تدخل حكومى •

وحـــذر الـــتقرير مـــن أن الإخـــوان المسلمين لديهم أفكار أكثر تشدداً من الجماعات الإســـلامية . خاصـــة أنهـــم يعتقدون أن خيارات القوة والعنف هى الأساسية فى التعامل مع إســـرائيل والولايات المتحدة فى بعض الأحيان ، وانهم بدأوا منذ عامين أو أقل فى تبنى مخطط جديـــد يهدف إلى التسلل لعدد من المشروعات الاقتصادية ذات الأهمية الاستراتيجية ، وعلى الـــرغم مـــن أن أجهزة الدولة تحارب أنشطتهم فى هذا الصدد إلا أن مشروعاتهم الاقتصادية مازالت تحقق أرباحاً جيدة] •

بالمقـــابل ، وقفـــوا ولا يزالون ضد الطغيان الأمريكى على شعب أفغانستان وعلى باقى تيـــارات الإســـلام السياســـى العـــربية بعد أحداث ١١ سبتمبر (أيلول) ، وأدانوها بقوة ، بل وأخرجوا المظاهرات الطلابية والجماهيرية من الجامعات العربية والمصرية (بخاصة باعتبارها بـــلد المقر للجماعة) ومن الأزهر الشريف ، وكان ملفتاً خلال الشهور الماضية دمج الإخوان المســـلمين فى بيانـــاتهم وحركـــتهم بين قضيتى أفغانستان وفلسطين ، ومثلما كان لهم صوت مســـموع فى الشهور الأولى من انتفاضة الأقصى الأخيرة (عام ٢٠٠١) كان لهم أيضاً صوت مســـموع فى قضية أفغانستان ، ولم يكن يمر أسبوع دون أن تنشر الصحف الإخوانية فى مصر تحـــركات وبيانات المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ مصطفى مشهور ، والتى يدين فيها وبقـــوة العدوان الامريكى على أفغانستان والعدوان الصهيونى على الفلسطينيين ، وكنموذج لهـــذا الموقف المتجدد، وفى أحدث بيان سياسى للاخوان وصف مصطفى مشهور المرشد العام للإخـــوان المسلمين الحملة العسكرية البربرية التى تشنها أمريكا على الشعب الأفغانى الأعزل والـــتى دخـــلت شهرها الثانى بأنها تنطلق من روح الثأر والانتقام خاصة حين تغير الطائرات الأمريكية على كابول فى يوم واحد إحدى عشرة مرة متواصلة ، لتقلى خلالها بقنابلها الضخمة على الأحياء السكنية ومخازن الطعام التابعة للهيئات الإنسانية ، وقال إن أمريكا التى لا تكف عن التغنى بشعارات الحرية وحقوق الإنسان ترفض الاستماع لنداءات هيئات الإغاثة الدولية بوقف الغارات على الشعب الأفغانى الأعزل حتى تتهيأ الفرصة لتوصيل الطعام والغذاء للألوف مـــن الأبرياء ، كما ترفض الاستماع لنداءات منظمة العفو الدولية بالكف فوراً عن استخدام القـــنابل العنقودية المحرمة دوليا أو تأكيد وتشديد الإجراءات اللازمة لضمان عدم قتل المدنيين خلال غاراتها على حركة طالبان الأمر الذى يشكل إدانة وإهانة للعالم .

وأكـــد المرشـــد العـــام أنـــه فى الوقت الذى يشيع فيه الفلسطينيون عشرات الشهداء مـــن إخوانهـــم وأبـــنائهم ، الذين اغتالهم الإرهاب الصهيونى يقول وزير الخارجية الأمريكى فى مجلس النواب : إن أمريكا أكبر صديق ومؤيد لإسرائيل .

وكان الإخوان المسلمون قد أصدروا بياناً آخر جديداً أدانوا فيه الصمت العالمى الكامل والانحيـــاز الأمـــريكى الواضـــح والعجز العربى والإسلامى المخجل إزاء ما يجرى فى فلسطين وما يمارسه مجرم الحرب أرئيل شارون ضد الشعب الفلسطينى الأعزل وإعادة احتلال الأراضى مـــرة أخرى . وقال البيان : (إن الشعب الفلسطينى والأفغانى اليوم فى أمس الحاجة إلى نصرة الأمـــة الإســـلامية وشـــعوب العالم كله لتمدهم بأسباب الصمود والقوة فى وجه آلة الحرب

الشـيطانية ، وإغاثة ملايين اللاجئين بالغذاء والكساء والدواء ، وإذا كانت حكومات الدول العربية والإسلامية ، تعلن أن حركات المقاومة الفلسطينية حركات تحرر وطنى وتعارض بقوة أى محاولـة صـهيونية لإدراجها تحت مسمى المنظمات الإرهابية فيجب عليها أن تقرن القول بالعمل وأن تمد الشعب الفلسطينى : سلطة وحركات مقاومة وشعباً بأسباب العون من السلاح والمـال والغذاء والدواء حتى يستطيع تحرير وطنه وأرضه وإقامة دولته ، وهو قادر على ذلك بعـون الله تعـإلى ، وكذلـك قطع العلاقات وطرد السفراء من الدول التى تعترف بالكيان الصـهيونى ، ولا داعـى لتعليق الآمال على الشرعية الدولية التى سقطت عنها ورقة التوت أو عـلى العـدل الأمـريكى الذى رسب فى امتحانات كثيرة لن يكون آخرها " الحملة ضد الإرهاب " .

هـذه المواقف الإخوانية ، ولطبيعة التطورات العالمية سوف يتم التضييق على الإخوان ، وافتعال المعارك السياسية معهم والزج بقياداتهم فى السجون بمحاكمات عسكرية وهمية (كما حدث من قبل) سيكون للأسف هو المنهج الغالب فى التعامل مع فصيل هام من أبرز الفصائل المعتدلة فى تيار الإسلام السياسى .

* * *

مستقبل جماعات العنف الإسلامى

أما جماعات العنف الإسلامى وبخاصة فى مصر والجزائر واليمن والسودان ولبنان (نقصد هـنا الجماعـات السـنية العنيفة مثل عصبة الأنصار) ، فإننا نتوقع أن تزداد عنفاً ، ودموية فى نطـاق تعاملها السياسى مع الأنظمة ومع الأحداث الراهنة ، وذلك لمواجهة حملات القمع الـتى سـتمارس (وبـدأت بالفعل تمارس الآن) ضدها من قبل هذه الأنظمة تارة ، ومن قبل الولايات المتحدة والغرب تارة أخرى ، وأيضاً فى مطاردة الإسلاميين الذين لجأوا سياسياً إليه ، ولعـل فى محاكمات السرى وأبو قتادة وأبو حمزة المصرى فى لندن وغيرهم نموذج لما سيسرى على الآخرين والذين قد ينتهى بهم الأمر إلى أن يسلموا إلى بلادهم ، وليعدموا فيها فى أغلب الأحيان .

هذا المستقبل المظلم الخانق لهذه القطاعات من الإسلاميين الحركيين سوف يجعل ظهرهم للحائط – كما يقولون – ويجعلهم يقدمون على ارتكاب أعمال عنف يائسة ، لأن من سيفعل ذلك سيموت فى كل الأحوال سواء بيد نظامه أو بيد الغرب والولايات المتحدة .

إن أحداث سبتمبر الماضية ، وأحداث أفغانستان، سوف تربك حسابات هذه التنظيمات، وأخص بالذكر (الجهاد الإسلامى المصرى - والجماعة الإسلامية المصرية - والجماعة الإسلامية الجزائرية - والجماعة المقاتلة الليبية - والجماعات السلفية فى اليمن وبعض الحركات الاسلامية فى باكستان والصين) .

ولن تنضبط الأمور بشأنها إلا إذا هزمت امريكا فى أفغانستان وسقطت بالفعل وليس بالحملات الاعلامية التى تتابعها فى أفغانستان وصارت بأقدامهما فى الوحل الأفغانى كما الدب الروسى سابقاً ، ساعتها قد تأخذ هذه الحركات نفساً ، وتستطيع ان تراجع ذاتها وتعيد ترتيب أولوياتها ومصالحها ، بغير هذه الهزيمة فإن هذه التنظيمات سوف تصبح بين شقى رحى : المطرقة والسندان ، مطرقة النظام الحاكم فى بلادها وسندان الولايات المتحدة والغرب بجبروته وأجهزته وعملائه وأمواله وسياساته !!

* * *

المستقبل للمقاومة فى فلسطين

يظل دائماً المستقبل للإسلام السياسى الذى يضع فلسطين فى سلم أولوياته ، فالنصر حتماً حليفه ، والتقدم للأمام قدره ، وانفتاح الحياة ، والعالم أمامه ، مسالة مؤكدة ، هكذ فهمت المقاومة الإسلامية فى فلسطين طبيعة القضية ، فقدمت إسهاماتها وجهادها ، فالتأمت الأمة خلفها ، وندر أن تجد من لا يحب ويحترم (حماس) و(الجهاد الإسلامى) ومن قبل (حزب الله) حتى لو كان يقع فى مربع علمانى معادى للتوجهات الدينية لدى أى فصيل أو جماعة ، فعند هذه الحركات المقاومة يرفع الجميع القبعة : تقديراً واحتراماً وربما خجلا أمام جهادها وشهدائها !!

المستقبل المضىء سيكون حليف هذه الحركات ، رغم الصعوبات الراهنة والتى أبرزها وأولها محاولة سلطة أوسلو (سلطة ياسر عرفات) إعادة قطار المفاوضات البائس من جديد ليقلع من محطة الدم والشهادة (الانتفاضة) التى لفظته تماماً ، ورغم ذلك مازال فريق أوسلو البائس متمسكاً بها ، وهو تمسك يمثل أول الصعوبات والمعوقات أمام انطلاق حركات المقاومة كى تقدم نموذجاً فذاً للإسلام السياسى الصحيح والمعافى من أمراض الحركات والتيارات الإسلامية الأخرى .

ويـــأتي التحدى الثاني : من حصار الأنظمة العربية للمقاومة فى فلسطين ولانتفاضتها ، وهـــو حصار يفوق الحصار الإسرائيلى ذاته الموجود فى الداخل ، لأنه يحول دون تثوير المحيط العـــربى / الإسلامى ليمثل حاضنة تُبقى هذه المقاومة / الانتفاضة حية ، وتساعدها بالتإلى على تحسين أدائها وخطاباتها الإسلامية السياسية لتنضج وتوحد وترتب الأولويات بشكل صحيح ، أولويـــات ترى فى العدو الصهيونى ، العدو الأول ولا تفتعل خصومات أو معارك مع الأنظمة فى هذه المرحلة ، للأسف هذه الأنظمة تصر على تعطيل هذا البرنامج وتصر أن تجعل من نفسها (إسرائيل العربية) ، لتجعل الجميع فى مواجهتها بدلاً من أن تجعل يدها فى يد المقاومة التى هى حركة تحرر وطنى وليس حركة إسلام سياسى انقلابى تخشاه .

والـــتحدى الثالث : يأتى من الكيان الصهيونى ، والذى يحاول بكافة السبل والأسلحة المحـــرمة دوليـــاً اجهـــاض سبل الانتفاضة التى يقودها تيار الإسلام السياسى والتيار الوطنى الفلســـطينى ، والكيان الصهيونى هنا يعاد ويتحدى الإسلام السياسى ككل ، ولا يوجد هناك داخـــل الكيـــان الصـــهيونى ؛ حمائم وصقور كما يروج البعض من منظرى التطبيع والتسوية البائســـة، ومن المفيد هنا تأمل أحدث الاستطلاعات التى أجرتها الصحف الإسرائيلية عن هذه المـــزاجية العدوانية السائدة لدى كافة الإسرائيليين ، لعل فى تأملها ما يفيد ، وما يؤكد على جذريـــة العـــداء لكـــل ما هو إسلامى ووطنى وعربى يبغى التحرر داخل فلسطين حيث أكد استطلاع جديد للرأى أجرته صحيفة " هآرتس " الإسرائيلية أوائل نوفمبر الحإلى نزعة الشارع الإســـرائيلى إلى المواقـــف اليمينية العنصرية وتأييده سياسة رئيس الحكومة أرئيل شارون فى عدوانه على الشعب الفلسطينى .

وأفـــاد الاســـتطلاع أن ٧٧% مـــن اليهود يؤيدون مواصلة سياسة اغتيال الناشطين الفلســـطينيين ، وعارضـــها ١٥% فقـــط ، وأيـــد ٦٨% توغل جيش الاحتلال فى المدن الفلســـطينية وعارضـــه ٢٧% ، وقـــال ٥٦% إن الهدف من التوغل توجيه إنذار للسلطة الفلســـطينية وليس تقويضها ، وفيما رأى ١٧% ضرورة الانسحاب الفورى ، وقال ٥٢% إن الانســـحاب يجب أن يتم بعد انتهاء النشاط العسكرى ، وأيد ٦٢% من اليهود ضرورة محاربـــة الإرهـــاب " الإســـلامى " بكل الوسائل ، وعدم التقيد بروحية القوانين ونصوصها أو بالقوانين الدولية .

أما التحدى الرابع فيأتى من الولايات المتحدة الأمريكية ، والتى فقدت توازنها السياسى والعسكرى و" القيمى " بعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١م وهى ستزداد شراسة تجاه جماعات المقاومة بعد أن تنتهى من مهمتها فى أفغانستان ، وهى إن نجحت فسوف تتوحش فى مشرقنا العربى بلا رادع ونظنها لن تنجح ، ومن المفيد تأمل موقف إحدى قوى الإسلام السياسى المقاومة من التهديدات الأمريكية المتجددة ، تجاههم ، وهو موقف يقدم لنا صورة عما سيحدث مستقبلاً فيما لو فكرت أمريكا فى الاقتراب - عسكرياً أو حتى سياسياً - من هذه القوى ، ففى رأى السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله تعليقاً على إدراج أمريكا لحزبه على قوائم الإرهاب المطلوب مواجهتها مستقبلاً ، قال : " من المنطقى إدراج اسم حزب الله على لائحة الإرهاب ، لأنه بعد ١١ أيلول (سبتمبر) رفض أن يتخلى عن المقاومة وأن يخرج من دائرة الصراع العربى / اللإسرائيلى ، ولأنه رفض أن يتخلى عن تقديم الدعم والنصرة للشعب الفلسطينى المجاهد والأبى والمظلوم " .

وقال نصر الله : " من دواعى الفخر أن يعتبرنا الشيطان الأكبر عدواً يجب أن يصنف على لائحة الإرهاب ، وعندما تصدر الإدارة الأمريكية لائحة تدعى أنها تضم مجموعة من المنظمات الإرهابية فى العالم ، وتدرج اسم حزب الله وبقية الحركات الجهادية والمقاومة وتصر على ذلك فهذا أمر طبيعى ولا نتوقع من الإدارة الأمريكية سوى ذلك " .

وأثارت التصريحات الأمريكية الأخيرة . لاسيما تصريح الدبلوماسى ديفيد ساترفيلد ، واللوائح التى أدرجت اسم " حزب الله " على لوائح سميت إرهابية ردود فعل لبنانية وعربية رافضة ، وفى موضع آخر أكد نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم تعليقاً على هذه الأحداث ، ورابطاً مقاومة حزبه بالانتفاضة (إن بندقية الحزب إلى جانب بندقية الشعب الفلسطينى ، وسيجدنا معه فى قناعتنا بالتحرير من البحر إلى النهر وسنحرر مزارع شبعا بقوة السلاح والمقاومة ، ولن نعتمد على قرارات الأمم المتحدة ، ونحن أمام خيارين فى فلسطين : إما الاستمرار فى الانتفاضة وإما الخضوع لإملاءات الاستسلام ، لكن آمال الانتفاضة الآن أكبر ، وهى الأقوى والمؤشر يتجه نحو العطاء لمصلحة النصر ، وقال - فى كلمة ألقاها فى ذكرى استشهاد الدكتور فتحى الشقاقى - لا يمكن الاعتماد على أى وعد دولى ، والشعارات التى أطلقها الرئيس الأمريكى جورج بوش وغيره عن الدولة الفلسطينية فارغة " .

وقـــال مسئول منطقة الجنوب فى " حزب الله " الشيخ نبيل قاووق : إن رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون يخطط لجر المنطقة إلى حرب واسعة وكبيرة ، وعلينا فى لبنان أن نكون مستعدين لكل احتمالات الحرب ، معتبراً أن الخروق الاسرائيلية للأجواء اللبنانية يومياً دليل على نيات شارون العدوانية ، وأضاف – خلال تخريج دفعة من عناصر الدفاع المدنى فى حزب الله فى الخيام – إن المقاومة لا تسمح بتمرير المخططات العدوانية حتى ولو كان العالم مشغولاً بحــربه على الإرهاب وهى حرب إرهابية " وأضاف : المعادلة هى معادلة العين بالعين والمحتل أظـــلم ، وإذا كانت كل المنظمات الدولية عاجزة عن أن تضع حداً للخروق وأن تعيد أسرانا ومعتقليـــنا وأرضنا المحتلة ، فإن المقاومة قادرة على الالتزام بالوعد ، وتطرق إلى وضع الشعب الفلســـطينى الذى يذبح كل يوم فى ظل تواطؤ دولى وصمت عربى ، وقال : نحن فى حزب الله نعتـــبر أنفســـنا فى ساحة معركة واحدة . لأن الجرح واحد والاحتلال واحد والعدو واحد ، معتبراً أن إسرائيل تخشى كثيراً تكامل الانتفاضة مع المقاومة اللبنانية ، من هنا كانت المقاومة فى منأى عن كل التهديدات والمناورات الإسرائيلية أو الأمريكية ، ورأى أن المعادلة اليوم لمصلحة لبنان والعرب ، ولم يمر يوم على الصهاينة وأمريكا كانوا فيه أضعف من هذه الأيام .

* * *

هـــذه المقـــولات لقـــادة حـــزب الله ومثيلاتها التى قالوها فى أكثر من مناسبة للمجاهد د. رمضـــان عبد الله شلح والشيخ عبد الله الشامى والشيخ أحـــمد ياسين ، وخالد مشعل ود. موسى أبو مرزوق ، وغيرهم من القادة المجاهدين أبناء الإسلام السياسى المقاوم تؤكد أن الـــتحديات الأربع السابقة لن تفت فى عضدهم وسيتغلبون عليها ، وستنتصر خياراتهم ، لأنها الخيارات الصحيحة فى قصة هذ الإسلام المجاهد .

* * *

وتبقى كلمة : .. الإسلام السياسى بعد ذهاب (بن لادن)

نختلف أو نتفق مع (أسامة بن لادن) و(الظواهرى) وغيرهما ، إلا أن ثمة حقيقة هامة وهى أنـــنا أصـــبحنا أمـــام منحى جديد وخطير فى قصة (الإسلام السياسى) خاصة بعد أن دُكت أفغانستان ، التى تأوى هؤلاء (العرب الأفغان) بعد أن دُكت واشنطن ونيويورك ؛ وهذا المنحى

الجديـــد ، لامـــس وتراً حساساً لدى جمهور الأمة ، ولاقى استحساناً واسعاً ، رغم اختلاف من استحسن مع بن لادن وقاعدته وطالبانه ، فى الرؤية والمنهج والأولويات .

لماذا ؟!

لأن مـــن استحســـن – ولا يزال – فعل بن لادن ، كان يستحسن مواجهته للغطرسة الأمـــريكية وليس للشعب الأمريكى ، كان يفرح أو يشمت فى السياسة الأمريكية الخارجية المنحازة ضد مصالح العرب والمسلمين ، لصالح الكيان الصهيونى ، ولم يكن يشمت فى الأبرياء الذيـــن قتلوا فى برجى التجارة العالمى وأكثريتهم من جنسيات غير أمريكية بل إن منهم ٥٠٠ مسلم – كما قيل – .

مـــن هـــنا فإن الإسلام السياسى كما طرحه أسامة بن لادن ، سواء بالفعل إذا ثبت أنه خلف التفجيرات فى واشنطن ونيويورك ، أو بالقول (أحاديثه المتكررة فى قناة الجزيرة أو بياناته المنشورة فى الصحف) صادف هوى وتعاطفًا من فريق واسع من أبناء الأمة العربية والإسلامية لكنه فى تقديرنا ، تعاطف مؤقت ، لأن إسلام (أسامة بن لادن) السياسى ، لم يضع عملياً ، حتى لحظتنا هذه ؛ قضايا هذه الجماهير المُستلبة الإرادة فى موضعها الصحيح ، وهى أن تكون على قمـــة الأولويات أفعالاً وأقوالاً ونقصد بها (قضية فلسطين) بكل أبعاها ومستوياقا وتفاصيلها المؤلمة والمبشرة فى آن .

واذا قـــدر لإســـلام (أسامة بن لادن) أن يتجه اليها فإننا سنشهد تحولات هامة قادمة ، سوف تؤثر فى خريطة هذا التيار الإسلامى السياسى العريض ، وسوف تحدث انقلابات حادة فى مسيرته ، وقد تتغير المنطقة كلها بعد ذلك ، حتى لو قتلت أمريكا (أو أحد حلفائها) أسامة بن لادن ، فساعتها سيظهر أكثر من (أسامة) أو كما قال الرئيس المصرى أثناء الأزمة سيظهر (ألف أسامة بن لادن) ؛ لأن الفكرة هى التى تخلق من يحملها ، وهى التى تدفع من يحملها إلى الـــتكاثر والمثابرة ، فإذا كانت الفكرة متصلة بالعداء للصهاينة ، وبترتيب صحيح للأولويات ولمواقـــع الأعداء ، وخنادق الأصدقاء ، وبالآفاق الرحبة للاجتهاد الإسلامى كما كان عصر الأفغانى وعبده ، وبمواجهة الاستبداد السياسى لحكام ظلمة فإنها حتماً ستصل إلى غاياتها ، وإلى انتصاراتها الحتمية لتيار عانى ولايزال من [أبنائه] قبل [أعدائه] .

الجزء الثانى

(المستقبل السياسى) للمنطقة العربية

الفصل الأول

سطع فى أفغانستان .. فهل يُقبر فى فلسطين ؟
المسيخ الدجال .. يضرب !!

بعـــد أن انتهى (أسامة بن لادن) من بيانه المتلفز الذى بث - فقط - عبر قناة الجزيرة مساء الأحد (٧/١٠/٢٠٠١م) الذى أقسم فيه بالأ تنعم أمريكا بالأمان طالما لا ينعم به العرب وبخاصـــة فى فلســطين والخــليج العــربى ، بعدها مباشرة بدأ وزير الدفاع الامريكى دونالد رامسفيلد مؤتمره الصحفى بعد بدء القصف الأمريكى المباشر على أفغانستان ، والذى قال فيه إن معــركة الولايات المتحدة ضد ما أسماه بالإرهاب ، لن تقتصر على (طالبان) بل ستمتد الى بلاد أخرى .. فقط أفغانستان هى البداية !! .

قــارنت بين منطق الرجلين (القوتين) .. وتأملت المشهد خاصة بعد خطابات الرئيس بوش اليومية عن الحرب وتطوراتها بأسلوبه السينمائى المبتذل ، والتطورات الحاصلة فيه وحوله فخرجت بحقيقة أو لنقل بقناعة ثابتة وهى أن الولايات المتحدة الأمريكية وهى تحاول أن تعيد رسم خريطة المنطقة الإسلامية والعربية بدءاً برأس بن لادن ، وصولاً الى رأس حسن نصر الله (حفظهما الله من كل سوء) قد تشبه الى حد ما (دون كيشوت) فى معاركه الوهمية التى انتهت بموته ، رغم الخلاف بين نبله وشهامته حتى وهو مجنون وبين خسة وغطرسة الولايات المتحدة ، ولكن الى حد بعيد هذا الفعل للولايات المتحدة ضدوهم (الإرهاب) ، يشبه إلى حد كبير يعرفه موروثــنا الإسلامى بالمسيخ الدجال ، ذلك الذى سيأتى فى نهاية الزمان ليفتن الناس عن دينهم وإســلامهم باسم الدين والإسلام ذاته ، كتب على جبهته (كافر) لا يراها - أو لا يدركها - إلا مسلم صحيح الإسلام !! لقد وردت أحاديث ونصوص تراثية عديدة بهذا المعنى ، وكان من أدق التفاســير الإسلامية التى قالت بهذا المعنى مبكراً ومنذ قرابة الـــ ٩٠ عاماً هو هو تفسير (الجواهر) للعالم الاسلامى الكبير الراحل (الشيخ طنطاوى الجوهرى ، وهو عالم أزهرى مصرى تـــوفى فى ثلاثيـــنيات القرن الماضى) ويقع تفسيره للقرآن فى ٢٦ جزءاً ، قال فيه إن (المسيخ الدجال) فى ظنه وتقديره هو هذا الغرب بطائراته وأسلحته وفساده !!

وبقيـــاس ، مـــع امـــتداد التفسير الى منتهاه ، وإعادة قراءة المشهد سياسياً وليس دينياً فحســـب ٠٠ يمكننا ان نقول الآن ونحن نشاهد هذا الإجرام الأمريكى فى أفغانستان ، وهذا المـــنطق النازى لوزير الدفاع الأمريكى فى مؤتمره الصحفى ، إننا أمام مسيخ دجال من طراز ٢٠٠١ ، مســـيخ دجال لا يريد أن يقيم العدل إلا وفق موازينه ومعاييره هو ، مسيخ دجال يـــريد – عـــبر وزير دفاعه ورئيسه الذى يتمتع بأكبر نسبة حماقة سياسية عُرفت لدى رؤساء الولايات المتحدة السابقين – أن يزرع الفتنة التى لن يراها إلا (المؤمن) المتعلق قلبه بقضايا أمته ومصـــيرها المعـــرض لـــلخطر مـــن هذا العدوان الأمريكى المتحالف حتى النخاع مع العدو الإســـــرائيلى ، وهـــى فتنة تقسم العـــالم كما قال أسامه بن لادن الى قسمين – وفقاً لرؤيته ومـــنهجه – قســـم (الكفـــر) وقســـم (الإيمان) ووضع طبعاً الولايات المتحدة ومن يؤيدها فى القـــــسم الأول ، وطالب كل العرب والمـــسلمين أن ينضموا وبوضوح الى القسم الذى هو فيه !! ٠

ورغم خلافنا مع رؤية (بن لادن) ومع طريقة فهمه للإسلام وقضايا المسلمين وأولويات الجهاد فى هذه القضايا خلال العشرين عاماً الماضية التى قضاها فى أفغانستان بدلاً عن فلسطين رغم ذلك فإننا نرى أن المعادلة التى طرحها فى آخر ما تحدث به الى العالم (عبر قناة الجزيرة) هى أن (أمـــن أمريكا = أمن فلسطين) وأن [استقرار وراحة الشعب الامريكى = استقرار وراحة الشعب العربى والمسلم شاملاً طرد القوات الامريكية من الخليج] ، هى معادلة صحيحة حتى ولـــو كان يقصد بها إثارة عواطف ووجدان العرب والمسلمين ، أو الإرهاب النفسى للولايات المتحدة حتى لا تبادر باغتياله ورفاقه وتنظيمه والدولة التى تأويه !!

المعادلـــة حـــين تطـــرح فى مواجهة المنطق السياسى المعاصر للمسيخ الدجال أو (دون كيشـــوت مـــا بعـــد ١١/٩/٢٠٠١م) ، تكتسب مصداقية وواقعية فى التحليل ، خاصة إذا ما قرئت تحت أضواء المجازر التى ترتكب يومياً ومنذ عام كامل فى فلسطين ٠

ترى ما هى دلالات ما يجرى الآن فى أفغانستان وحولها وما هى آفاقه مستقبلاً ؟

ذلك ما نحاول أن نجيب عليه فى هذا التحليل السياسى ٠

* * *

أولاً : الولايـــات المـــتحدة تضرب الآن بأحدث ما أنتجته الترسانة العالمية من أسلحة التدمير من طائرات بى ٥٢ حتى صواريخ كروز وتوماهوك ، وتوسع منطقة الانطلاق من بحر العـــرب والخـــليج العـــربى التى يتواجد لها (٤٠ ألف جندى فضلاً عن المدمرات والقواعد العســـكرية الثابـــتة والمتحركة) وصولاً للقواعد البريطانية فى المحيط الهادى مع قواعدها هى (قواعد الولايات المتحدة المنتشرة من بلادها حتى البلاد الأوروبية والإسلامية (للأسف!!) كل ذلك كى تضرب رجلاً واحداً على الأقل الآن ، كل ذلك لكى تقصف مدناً وأبرياء يعيشون حيـــاة بســـيطة فقيرة ولكن بكرامة وعزة اشتهر بها الأفغان منذ حاولت بريطانيا غزوهم عام ١٨٣٧م وحتى اندحار السوفيت منها عام ١٩٨٩ !!

إن هـــذا العنف والشراسة فى تنفيذ العقاب ضد من تتصوره الولايات المتحدة أنه يقف خـــلف العمليات التى تمت فى واشنطن ونيويورك ظهر يوم ٢٠٠١/٩/١١م ، ليعكس مدى الغطرســـة والاستهانة بقيم العدالة التى تميز هذا التحالف الغربى تجاه العالم خاصة خلال الأيام القادمـــة . إن تعمد هذا التحالف بقيادة الولايات المتحدة ألا يقدم مجرد أدلة واضحة وصادقة تثبت ان بن لادن خلف العمليات التى تمت ، ثم طلبهم – أو أمرهم بمعنى أدق – أن يختار العالم وفى كـــلمة واحـــدة بينهم وبين بن لادن ، يؤكد مدى الغرور والعنصرية التى تميز قادة هذا التحالف الذى وصف حربه – عن حق – الرئيس الامريكى / جورج بوش بأنها (حرب صليبية جديـــدة) وإن اعـــتذر بعدهـــا باعتبار ما قاله (زلة لسان!!) وعلم النفس يقول إنه كى تصل الى تحـــليل علمى دقيق لعقيدة ونفسية شخص ما (ما بالك برئيس دولة كبرى) عليك بتحليل (زلات اللسان) ففيها يكمن المنطق والمدركات كلها !!

* * *

ثانيـاً : عـــندما حـــاول الرئيس المصرى (حسنى مبارك) أن ينصح الإدارة الأمريكية المسكونة بعقلية الانتقام ، عقلية (المسيخ الدجال الجديد) ، مؤكداً لها أن قتل بن لادن لن يحل المشـــكلة وسيولد ألف بن لادن غيره ، وأن جوهر المشكلة بالنسبة للعرب والمسلمين يأتى من مصادر الإرهاب الحقيقية فى المنطقة وهو الإرهاب الصهيونى ضد الفلسطينيين العزل . . عندما حاول الرئيس المصرى ذلك وتلاه ولى العهد السعودى (الأميرعبد الله بن عبد العزيز) والرئيس بشـــار الأسد ، لم تلتفت الولايات المتحدة لنصائحهم ، وضربت – ولاتزال تضرب – ورغم أن الذيـــن نصـــحوا الإدارة الأمريكية هم من المحسوبين عليها ، ويعتبرون من أعز الأصدقاء

فى المنطقة، إلا أن (دون كيشوت) لم يأخذ بنصيحتهم ، بل ولم يلتفت لها ، وليس من المتوقع أن يلتفت اليها مستقبلاً ، وستكون (الرؤية الإسرائيلية) هى المكون الأصيل لما ستفعله الولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينية ، ولن يرتدع قادة واشنطن أو يأخذوا " قسم " أسامة بن لادن الذى أعلنه عبر (الجزيرة) مأخذ الجد ، ولن يربطوا أبداً بين انحيازهم الأعمى للكيان الصهيونى فى ممارساته العنصرية تجاه الشعب الفلسطينى وبين علو ظاهرة (بن لادن) وانتشارها بين العرب والمسلمين !!

إن هذا الغباء السياسى - إن جاز الوصف - والذى لا يفرق بين المصالح والأمن الأمريكى والمصالح والأمن الاسرائيلى كان ولايزال من أكبر العوامل لنمو الكراهية لدى الشرق الإسلامى والعربى تجاه الولايات المتحدة ، وسيكون فى تقديرنا هو بداية انهيار هذه الإمبراطورية وإن ادعت غير ذلك أو تجبرت باستعراضها لقوات وترسانات عسكرية جبارة ، ولكنها على أية حال لم تفلح يوم ١١/٩/٢٠٠١م وبالتالى لن تفلح بعده !!

إن إعلان (شارون) الذى راهن البعض على وجود سوء تفاهم بينه وبين (جورج بوش) ، أنه ودولته (لإسرائيل) كانا أول من علم بالضربة الأمريكية / البريطانية لأفغانستان بحوالى ساعتين ، دون باقى دول العالم (وبخاصة الدول العربية والإسلامية الصديقة لأمريكا) ليؤكد مجدداً على أن نصائح حسنى مبارك والأمير عبد الله وبشار الأسد وغيرهم .. لم تفد بل ولن تفيد ، وبخاصة فيما يتصل بالملف الإسرائيلى الملغم .

* * *

ثالثاً : ربما لم تقرأ الولايات المتحدة جيداً - وهى تبدأ حملتها الطويلة ضد أفغانستان - قصة الوجود الروسى بها ، وكيف تحولت أفغانستان الى مستنقع شديد القذارة لهذا الوجود على كافة الأصعدة ، فخرج مهزوماً رغم ترسانة الأسلحة النووية والكيماوية والجرثومية التى يملكها . لقد خسر الاتحاد السوفيتى فقط فى مجال الطيران داخل هذا البلد (الذى يعيش حياة العصور الوسطى كما يحلو للمحللين المتأمركين أن يصفوه) ١٦٠٠ طائرة من أحدث الطائرات ، فضلاً عن ألوف القتلى والجرحى ومئات المعدات العسكرية الحديثة .

هل قرأ الأمريكيون الملف جيداً ، أم هى الرغبة فى الانتقام ، وفى إعادة رسم خريطة المنطقة ، بما يتماشى ومصالحهم مستقبلاً من بترول بحر قزوين الى حصار إيران وتحجيم قنبلة باكستان النووية وصولاً الى ضرب العراق وسوريا وحركات المقاومة فى فلسطين ؟!

أو ليس فى ذلك الهدف الكبير ما تعجز قدرات الولايات المتحدة عن تحقيقه بل وقد يودى بها ؟ ألم يسأل أحد صناع القرار والاستراتيجية الأمريكية نفسه هذا السؤال ؟ طبعاً لم يحدث وإن ادعو غير ذلك ؟ .

إن النهاية إذن ، قادمة ، فقط هى ستبدأ فى أفغانستان وقد بدأت ولن تنتهى إلا فى فلسطين ، فصناعة التاريخ بهذه الغطرسة والقوة والعنف وبتعمد الإخلال بمعايير العدل والإنسانية ، حتماً تكون نهايته فى غير صالح صناعه ، ولكن أليست تلك هى فلسفة (المسيخ الدجال) كما جاءت فى موروثنا الدينى ، والتى ستنتهى أيضاً فى فلسطين مع ظهور المسيح عليه السلام والمهدى المنتظر الذى يقيم ميزان العدل المختل ويعيد ترتيب العالم وفقاً لقيم السماء العادلة !!

قد يسخر بعض الغارقين فى (واقعيتهم الأمريكية) أو (عقلانيتهم الغربية) من هذا المنطق أو يرونه مجرد خيال وأساطير ، ولكن دعونا نتأمل مشهد برجى مركز التجارة العالمى ومبنى البنتاجون (القلعة المسلحة) وهى تنهار فى أقل من نصف ساعة بطائرات مدنية أمريكية .. كأننا أمام أعظم أفلام هوليوود .. لنتأمله ثم نتدارس من جديد مفهومى (الواقعية) و(العقلانية) تجاه ما يحدث فى عالمنا اليوم !!

* * *

رابعاً : وبعودة الى دلالات الحملة الأمريكية / الغربية التى بدأت ، وآفاقها ، لنتأمل مشهد جانبى من الصورة يشى بمعان عدة ، ففى توقيت واحد متزامن – تقريباً – تحدث أسامة بن لادن محذراً – عبر قناة الجزيرة كما سبق وأشرنا – وتحدث الرئيس الأمريكى ووزير دفاعه معلنين بدء الحرب .

لنتأمل .

بن لادن يتحدث وخلفه صخور جبلية قاسية ، وأمامه كوب ماء ، ويرتدى بزة عسكرية ويحمل سلاحاً .. وبجواره د. أيمن الظواهرى أمير حركة الجهاد الإسلامى المصرية والذى تحدث بنفس القوة وبنفس التحذير للشعب الأمريكى .. ومعهما اثنان أحدهما لم يتحدث والآخر هو سليمان أبو غيث (يقال إنه كويتى) هو الذى بدأ بالحديث مرحباً بالجهاد ومتحدثاً رسمياً باسم تنظيم القاعدة .

بالمقابل ..

كان جورج بوش يجلس على كرسى مريح محاطا بالزهور فى البيت الأبيض ، ومن وراء زجـاج مكتبه كانت تظهر الشوارع الواسعة المحاطة بالأشجار والخضرة ومظاهر الدعة وبعض القطـط والكلاب الأليفة تتجول مع حراسها ، أما وزير الدفاع ورئيس العمليات (الذى جاء مسـتنداً على عكازين) فلقد بديا أيضاً فى أناقة وثقة - تصل الى حد الغرور - ومن خلفهما شعار وزارته ودولته والحوائط المزانة بالأعلام " والمظاهر الفارغة " .

الأول (بـن لادن) كـان يتحدث أمام كاميرا فيديو واحدة بدائية الصنع ويجلس على سجادة على الأرض .

الآخـرون (الـرئيس الامـريكي ووزيـر دفاعه ورئيس عملياته) يتحدثون أمام حشد من الكاميرات والأضواء والميديا الزاعقة !!

مشـهدان فى زمن واحد ، وبدلالات مختلفة ، الأول ترى ما الذى يخسره إن هو اعتقل أو قتل ، أما الثانى ، فأمامه وخلفه ، وتحته وأعلاه ، دنيا كاملة من الدعة والرفاهية !!

الأول يطلب وبثقة (الآخرة) أما الثانى فيعض بالنواجذ على (الدنيا) .

هـل يصـلح (هذا) لمواجهة (ذاك) لفترة طويلة ؟ وهل تقاس المواجهة بينهما بالزمن ، والإمكانات المادية فحسب . ام بقوة العقيدة والايمان بالمبدأ (حتى ولو كان خاطئاً) ؟!!

لنتأمل المشهد الجانبى لهذه الصورة ، ثم لنحلل سياسياً واستراتيجياً دلالاته بعد ذلك !!

* * *

خامساً : أمـا عن الآفاق المستقبلية فإننا مقبلون ولاشك على مرحلة جديدة من تاريخ العالم ، وحرب امريكا على أفغانستان والمنطقة العربية والاسلامية (وان ادعى الرئيس الامريكى عـدة مـرات انه لا يقصد الاسلام والمسلمين) - لزوم التكتيك السياسى مرحلياً حتى ينجز مهمته دون مشاكل جديدة !!

هـذه الحرب هى - كما سبق وقلنا فى دراسات سابقة - حرب عالمية جديدة ، حرب لا تخضـع لمعـايير ثابتة وصحيحة مثلما حدث مع الحروب السابقة فى تاريخ العالم ، ولذلك ستكون تداعياتها وآفاقها أخطر مما تحسبها معامل الاستراتيجية والسياسة فى واشنطن ولندن ،

وقـــد نشاهد من بين نتائج هذه الحرب ، التى ستستمر على أفغانستان على الأقل حتى مطلع شهر رمضان القادم (يعنى قد تستمر شهراً) ، ضرباً لمصالح الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى المنطقة الإسلامية ، وقد تتعرض مصادر النفط فى الخليج لعمليات تدمير أو تخريب واسعة ، على اعتبار الها من جملة أهم المصالح الغربية (٧٠% من احتياجات الغرب من النفط تأتى من الخـــليج) وقد نلحظ اغتيالاً عشوائياً أو منظماً للوجود الأمريكى (تحديداً) فى المنطقة (بدأ هذا فى مديـــنة الخـــبر السعودية يوم ٢٠٠١/١٠/٦م) وقد يمتد الى بلاد أخرى بها وجود أمريكى مكـــثف (للعلم يوجد فى مصر ٤٠ ألف أمريكى كأكبر جالية للولايات المتحدة فى العالم !!) وسوف نعيش (١١ سبتمبر / أيلول) جديد فى أكثر من بلد أوروبى وربما فى أمريكا ذاها (لقد نشـــرت بعض الدوريات المتخصصة أن أتباع أسامة بن لادن الجاهزون لعمليات استشهادية يصلون الى ٢٠٠ عنصر بعضهم كامن منذ سنوات وسينطلق بعد ضرب أفغانستان) وأن غير الاستشهاديين يصل عددهم الى ثلاثة آلاف !!

وســـتحاول إسرائيل – كعادهًا التاريخية – الصيد فى الماء العكر ، وستصعد مع الشعب الفلســـطينى وستزداد مذابحها وعملياهًا القذرة (تحديداً محاولة اغتيال قادة الانتفاضة بل وطرد ياســـر عـــرفات شخصياً من غزة وبدء عمليات تهجير جديدة للفلسطينيين خارج فلسطين) ثم إشعالها لجبهة الجولان والجنوب اللبنانى مع استخدامها لكافة الأسلحة المحرمة دولياً ، وسيرد حزب الله وسوريا ولن تقف مصر (حكومة وشعباً) على الحياد ٠٠ ومن ثم قد ينفجر الشرق الأوسط (وفقاً للتعبير الأمريكى / الغربى) كله ٠

* * *

إن المعـــنى المباشـــر مـــن كل هذا اأن كل ما تحاول أمريكا أن تهندسه صناعياً ، سيبوء بالفشـــل ، فعواطف ومصالح وأولويات ومشاعر الشعوب لا يمكن هندستها وراثياً أو صناعياً مثـــلما فعـــلت مـــع الحيوانات والنباتات فى معاملها ، وستأتى النهايات من حيث لم يحتسب أحد ٠٠

إن آفاق حملة (مسيخ العالم الدجال) الجديدة التى بدأت فى كابول وقندهار وجلال أباد مســـاء الأحـــد ٢٠٠١/١٠/٧م قـــد تكون سهلة البداية ولكنها – تماماً مثلما هى حملات الاستكبار الاستعمارية عبر التاريخ – مريرة النهاية غير مضمونة النتائج ٠

الفصل الثاني

بالوثائق والتاريخ :

عندما يكون الإرهاب صناعة أمريكية ؟!

[الهدف ليس (بن لادن) .. بل إعادة رسم العالم وفقًا للمصالح الأمريكية !!]

اليـــوم تدخل المواجهة الأمريكية لقوى الغضب الإسلامي والعربي ، مرحلة جديدة بهذه التحركات الواسعة لقواها العسكرية الضخمة تجاه أفغانستان والخليج العربي .

إن الـــتحركات ليس هدفها اصطياد (أسامة بن لادن) وحده ولا حتى حركة (الطالبان) وتنظـــيم (القـــاعدة) ، ولكن الهدف كما تشي طريقة وحجم هذه التحركات هو إعادة رسم خـــريطة المنطقة كلها من لبنان وسوريا وفلسطين وصولاً الى نفط بحر قزوين الذى تطمع فيه الشركات الأمريكية وتريد الانفراد باستغلاله ، مروراً بالعراق واليمن وإيران وغيرها !!

إن الهدف ، فى تقديرنا أبعد من (إرهاب) مزعوم لتنظيم لم يبق منه فى أحسن التقديرات الاستراتيجية المحايدة سوى خمسين شخصاً يلتفون بفقرهم وإمكاناتهم المحدودة حول أسامة بن لادن المعزول عملياً عن العالم ؛ إن الهدف هو (إعادة إنتاج) الإرهاب الأمريكى مرة جديدة ، بعد أن تم تجريبه فى العالم خلال القرن الماضى بأساليب عتيقة ، الآن يراد إعادة إنتاجه وتصديره تحـــت لافـــتات مختـــلفة . تـــزعم محاربة الارهاب الذى تسبب فى مصرع ٧ آلاف أمريكى (وجنسيات أخرى) فى أحداث الثلاثاء الأسود (١١/٩/٢٠٠١م) .

* إن الإرهـــاب الأمـــريكى ، فى تقدير البعض ، قد يكون هو الذى صنع هذا (الثلاثاء الأسود) ليعيد تنفيذ أطماعه ومخططاته القديمة تجاه هذه المنطقة الغنية من العالم بالنفط والثروات والموقع!! وقد يكون (الإرهاب) الأمريكى إرهاباً رسمياً وليس مجرد جماعات عنف محدودة يصل عددها داخل أمريكا ٤٠٠ جماعة أشهرها جماعة ديفيد كورش التى نفذت انفجار (أوكلاهوما) وهى جماعات يقدر عدد عملياتها خلال الفترة من ١٩٦٤ حتى ١٩٩٩ بحوالى ٤٣٢ عملية ، وصـــناعها كـــانوا دائماً هذه الجماعات الصغيرة ، إلا أن الذى حدث يوم ١١/٩/٢٠٠١م

من ضرب لأكبر رموز القوة الامريكية (المال : مركز التجارة العالمى) والمخابرات (عدم كشفها للعمـلية وأيضـاً يـتردد ان الـ CIA كانت تحتل ٥ طوابق فى مبنى مركز التجارة العالمى) والعسـكرية (البنتاجون) . نقول ربما كان الإرهاب هذه المرة صناعة داخلية لأجنحة رسمية أمريكية متحالفة مع شركات السلاح الذى سيستخدم فى هذه المعركة الطويلة بكثافة شديدة ، ومع (شركات النفط) والتى لها تاريخ طويل فى إقالة الأنظمة وإثارة النعرات والحروب من أجل الذهب الأسود .

الأمـر فى التحليل النهائى .. وبالسرعة التى تم بها تحديداً (العدو - الهدف) ، والمنطقة التى يعمل فيها ؛ ينبىء عن (حقائق) أخرى أكبر من تلك المعلنة . حقائق خلف الستار استخدم فيها اسم (الإرهاب) للتضليل وللفت الأنظار بعيداً عن الأطماع الحقيقية الصانعة لكل هذا ، إنها نفس الأطماع التى خلقت تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية القبيح تجاه العالم خلال المائة والخمسين عاماً الماضية .

إن الادارة الأمريكية الحالية تماماً مثل (الرئيس جورج دبليو بوش) ليست سوى عرائس خـارج السـياق تحركها سياسة أخرى لشركات عملاقة ولقوى جبارة ، تأبى إلا أن تمارس إرهابهـا عـلى العالم أجمع وتعيد رسمه وبرمجته وفقاً لخططها ومصالحها ، ولنا فى تاريخ الغزو والإرهاب الأمريكى ، وكذلك فى ترسانة القوى والمليارات المخصصة لصناعة الإرهاب داخل الولايات المتحدة .. لنا عظة ودرس ولنتأمل الحقائق التالية علها تفى بالغرض :

تاريخ من الغزو والإرهاب

تقـول الحقـائق المتوفرة عن تاريخ (الإرهاب الأمريكى) تجاه العالم أنه بزغ مع بدايات القرن التاسع عشر ، وتحديداً منذ العام ١٨٣٣ ففى هذا العام قامت القوات الأمريكية بغزو نيكاراجوا وفى عام ١٨٣٥ دخلت هذه القوات الى بيرو ، وفى عام ١٨٤٦ احتلت القوات الأمـريكية أرضـاً طالبت بها المكسيك ، وهى ما تعرف الآن بولاية تكساس ، وبهذا أثيرت الحـرب المكسـيكية ، وفى أعقاب انتصار سنة ١٨٤٨ ضمت لولايات المتحدة تلك الأرض بالإضـافة الى كاليفورنيا ونيومكسيكو ، وفى سنة ١٨٥٤ دمر المارينز الأمريكى ميناء جراى تـاون فى نيكارجوا انتقاما من إبعاد الوزير الامريكى الذى كان فى زيارة لتلك البلاد ، وبعد ذلـك بعام غزت القوات الأمريكية أوروغواى ، ثم قامت بغزو قناة بنما ، وفى عام ١٨٥٧

تدخلت القوات الامريكية فى نيكاراجوا لإفشال محاولات وليم روكز وهو مغامر من تنيسى حاول تولى السلطة فى نيكاراجوا ، وقامت القوات الأمريكية بغزو كولومبيا عام ١٨٧٣ بعدة انزالات عسكرية تتابعت فى الأعوام ١٨٨٥ و١٨٩١و١٨٩٣و١٨٩٨و١٨٩٩ ، وفى عام ١٨٨٨ تدخلت القوات الأمريكية فى هايتى ، وفى عام ١٨٩١ فى تشيلى ، وفى عام ١٨٩٤ تدخلت القوات الأمريكية مرة أخرى فى نيكاراجوا ، وفى عام ١٨٩٨ كانت الحرب الأمريكية الأسبانية ، حيث افتعلت الولايات المتحدة حادثة كوبا ، وقد حاصر على أثرها الأسطول الأمريكى الموانىء الكوبية بينما قام الجيش والمتطوعون بما فيهم رجال تيودور روزفلت بسحق القوات الأسبانية على الشواطىء ، وبعد ثلاثة أعوام جعلت الولايات المتحدة من كوبا وكراً أمريكياً للقمار كما ضمنت الحق فى قاعدة بحرية فى خليج جوانتا نامو ، ومازالت تحتفظ بها حتى الوقت الحاضر ، وفى عام ١٩٠١و١٩٠٢ تدخلت القوات الأمريكية فى كولومبيا ، وفى عام ١٩٠٢ تدخلت فى هندوراس ، وفى عام ١٩٠٦ خلال الحرب الأهلية فى كوبا انتظمت القوات الأمريكية فى جيش التهدئة الكوبية لاستعادة النظام ، وإقامة حكومة مستقلة خلال ثلاث سنوات ، وفى عام ١٩٠٧ تدخلت القوات الأمريكية واستولت على ست مدن فى هندوراس ، وفى عام ١٩١٤ دخل المارينز الأمريكيون الى هايتى فى عملية إنزال حيث سرقوا البنك المركزى استرداداً لبعض الديون ، وبعد سنة واحدة – أى فى عام ١٩١٥ دخلت القوات الامريكية الى هايتى واحتلت البلاد عام ١٩٣٤ ، وفى عام ١٩١٤ أمر الرئيس ولسون بحريته بقصف واحتلال فيركروز ، وفى عام ١٩١٦ وبعد غارات مكسيكية على الأراضى الأمريكية أرسل قوة بقيادة بيرشنغ دخلت المكسيك لمطاردة زعيم الثوار بانكوفيلا ، وفى عام ١٩١٦ تدفقت القوات الأمريكية الى الدومنيكان لتهزم الثوار وتسيطر على البلاد بحكومة عسكرية حتى عام ١٩٢٤ ، وفى عام ١٩٣٢ تدخلت القوات الأمريكية فى السلفادور بمساعدة السفن الكندية ، وفى عام ١٩٥٤ أطاحت الولايات المتحدة بحكومة جواتيمالا ، وفى عام ١٩٦١ غزت أمريكا خليج الخنازير فى كوبا بواسطة جيش من المبعدين الذين تبنتهم وانتهى هذا الغزو الى الفشل ، وفى عام ١٩٦٢ فرض الرئيس كنيدى حصاراً جوياً وبحرياً على كوبا لإجبار السوفيت على إبعاد صواريخهم الذرية من جزيرة ، وفى عام ١٩٦٧ ساعدت المخابرات المركزية الأمريكية " سى أى إيه " فى قتل جيفار فى بوليفيا ، وفى هذه الأثناء اشتدت التدخلات الأمريكية فى فيتنام وكوريا ، وفى عام ١٩٦٧ أمدت الولايات المتحدة الامريكية إسرائيل بالمال والعتاد والأسلحة ، ونتج عن ذلك هزيمتها للعرب فى نكسة ١٩٦٧ ، وفى عام

١٩٧٣ تدخلت الولايات المتحدة عن طريق وزير خارجيتها هنرى كيسنجر وأوقفت مد النصر العربى على إسرائيل فى حرب ١٠ رمضان المجيدة (أكتوبر المجيدة) ، واعتباراً من تولى الرئيس ريجان للسلطة عام ١٩٨٠ وهى ترسل المساعدات والمستشارين عملاء "السى آى إيه" الى مختلف بلاد العالم ، وفى عام ١٩٨١و١٩٨٢ بدأت أمريكا بتعزيز أساطيلها العسكرية فى الخليج العربى ونشر الصواريخ فى أوروبا ، وفى عام ١٩٨٣ تدخلت القوات الأمريكية فى لبنان بدعوى حفظ السلام ، وغزت جرينادا وهى من دول أمريكا اللاتينية . وفى عام ١٩٨٦ شنت القوات الأمريكية غارة على ليبيا لقتل الرئيس معمر القذافى ، وضربت الأسطول الليبى فى خليج سرت ، وفى عام ١٩٨٦ قامت باختطاف الطائرة المصرية ، وفى عام ١٩٨٨ ضربت القوات الأمريكية فى الخليج طائرة الركاب الإيرانية ، وفى عام ١٩٩٠ كانت جريمة أمريكا فى الخليج وتدمير العراق والكويت معاً .

إرهاب التسعينيات

وخلال حقبة التسعينيات مارست الولايات المتحدة إرهابها على منطقة البلقان وتحديداً (يوغوسلافيا سابقاً) وفى السودان وليبيا . ومارست ضغوطاً شديدة على العرب فى حربهم وانتفاضاتهم ضد الاحتلال الصهيونى . سواء فى الجنوب اللبنانى أو فى الانتفاضة الفلسطينية الأولى (٨٧ – ١٩٩٣) أو الثانية (٢٠٠٠ – ٢٠٠١) ، وهذا ليس جديداً على أمريكا – كما سبق وأكدنا – إذا علمنا أنها قد خصصت ميزانية " لممارسة الإرهاب " قدرها ٢ مليار دولار منذ العام ١٩٦٩ وازدادت الآن الى ١٠ مليار لتنفقها مبكراً جداً على فريق خاص (٢٠ ألف مجند) للعمليات الخاصة بالاغتيال السياسى والتصفية الجسدية لمن تسميهم بأعداء الولايات المتحدة خارج الحدود – حتى لو كانوا حركات تحرر وطنى – وهم فى الغالب كذلك ، تصفيهم دون انتظار قرار دولى أو إذن من مجلس الأمن تماماً كما حدث فى حرب الخليج الثانية ، وكما يحدث فى الحرب الراهنة ضد أفغانستان .

وإذا علمنا أيضاً أن لدى الولايات المتحدة فرقاً خاصة للإرهاب المنظم الأولى تتلخص مهمتها فى تمشيط أرض من يسمونهم بأعداء أمريكا تمهيداً للاقتحام ، كما حدث فى أنجولا والصحراء الإيرانية اثناء المحاولة الفاشلة لإطلاق سراح رهائن السفارة الأمريكية ، أما الوحدة المدنية: فمهمتها مراقبة المواطنين المحليين من الامريكان أنفسهم ، ثم الوحدة النفسية التى تختص بترويج الإشاعات وإعداد المنشورات السرية ، هذا بالإضافة الى وجود وحدة متميزة تعرف

باســـم (DDETTA FORCE) وتشبه القـــوى الخاصة ، وتضم عناصر قيادية من المخابرات المركزية (CIA) ومكتب التحقيقات الفيدرالى ، وتتكون هذه الوحدة من ألفى مجند على أعلى المســـتويات ، وهى مزودة بطائرات الهليوكوبتر ، وقد ألحق بها غواصتان بعد إعادة تأهيلهما وهما الغواصتان سام هيوستن وجون مارشال ، وكل غواصة تضم ١٠٠ جندى مدربين تدريباً خاصاً لشن هجمات صاعقة على أهداف خطيرة ، ويكفى أن نعلم بأن تأهيل الغواصتين لهذه العمليات تصل تكلفته الى ٨ ملايين دولار .

وإذا كانت أمريكا تدعى بأن العرب صانعوا الإرهاب فلا ندرى بماذا سترد عندما نعلم بأن هناك ميزانية أمريكية مخصصة لعمليات الاغتيالات السياسية ، وأن هناك معاهد متخصصة فى تخـــريج إرهـــابيين وخـــبراء يعرفون كيف ينفذون عمليات الإرهاب ينتشرون فى أمريكا وإســـرائيل وبريطانيا ودول أخرى ، وانها قد نجحت فى أن تلصق تهمة الإرهاب بضحاياه من العالم الثالث والإرهاب كما يعترف الأمريكان أنفسهم فى كتاب " الإرهاب كأيدلوجيا وصناعة ثقافية " للكاتبين إدوارد هومان وجيرى أوسيلفان أنها حيلة خبيثة لأغراض سياسية ، وفى هذه الأحوال تصبح الجوانب الإيديولوجية والدعائية للإرهاب هى السمة البارزة ، فمنذ فترة حكم نيكسون وهناك مكتب مخصص فى الإرهاب يدخل كمكون رئيسى لوزارة الخارجية الأمريكية والـــــ (CIA) والبنتاجون ، وهناك موظفون بهذه الأماكن مهمتهم مكافحة الإرهاب ، كما تحـــدد أمـــريكا مفهومه ، فقد يكون هذا الإرهاب هو ضرب للعراق أو الأطفال الفلسطينيين أو تشـــريد الأمهات فى السودان وليبيا ، وقد زادت ميزانية هذا المكون حتى قاربت الأربعين مليوناً فقط للإنفاق على الموظفين ممن يقومون بوضع هذه السياسات ، أما الجزء الثانى لصناعة الإرهاب فهو معاهد خاصة تعقد مؤتمرات وندوات عن الإرهاب وتستهدف تقديم وجهة نظر هـــذه الدول حول مفهوم الإرهاب ، ومنها معهد يوناتا الذى ترعاه إسرائيل بشكل مباشر ، هـــناك أيضـــاً معـــاهد أخرى تعتمد على عقود البحث مع الحكومة والاستشارات الكبرى ، وتســـتمد المعـــاهد تمويلها من الشركات الكبرى (شركات النفط والسلاح وهى التى ستدير حـــرب أفغانســـتان) وطـــبقة كبار الأثرياء بالولايات المتحدة ، ويكفى أن نقول بأن مركز الدراســـات الأمريكى جمع عام ١٩٨٦حوالى ١٤ مليون دولار من ١٥٣ اتحاداً من اتحادات الشركات و٩٢ مؤسسة بما فيها ٢٦ شركة تزود البنتاجون بالأسلحة ، وهذه المعونات تقدمها الولايـــات المـــتحدة لـــلدول التى تقاوم الإرهاب (وفقاً لمفهومها المغلوط) ، والتى تعتبر مثلاً أن مســـاعدة ليبيا لحركات المقاومة الفلسطينية نوع من الإرهاب فى حين أن مساعدة إسرائيل

فى عدوانها المستمر على الأراضى المحتلة ليس إرهاباً ، ومع كل ذلك تحاول أمريكا حشد العالم خــلفها الآن لمواجهة الإرهاب الذى تزرعه يومياً فى مناطق متفرقة من العالم ، وحصدت أخيراً بعض ما زرعته !!

الإرهاب الأمريكى المسلح

الحقائق السابقة موصولة بحقائق أخرى جديدة وهامة فى معركة أفغانستان الراهنة ، تؤكد مجتمعة على أن الإرهاب صناعة أمريكية كاملة الأوصاف . فالقوات التى ستحارب (بن لادن وقــوات طالبان ضعيفة التسلح والقدرات) قوات شرسة ومتقدمة عسكرياً بعشرات السنين التكــنولوجية قياساً بما لدى بن لادن ورفاقه فى (الطالبان) ، وهى تصلح لمواجهة دولة عظمى وليس مجرد قبائل تمتاز بالعناد والصلابة فى القتال البدائى منذ مراحل الغزو الإنجليزى (١٨٤٢ - ١٨٧٨ - ١٨٧٩ - ١٩١٩) ثم الــروس (٧٩ - ١٩٨٩) إن ما تقوله الحقائق الراهنة عن القوات الأمريكية المتجهة الى هذه البلاد الفقيرة عسكرياً ، يمثل فى مجمله تأكيداً لإرهاب الدولة الأمريكية وإعادة إنتاج لفلسفتها القديمة فلسفة (رعاة البقر) الذين لا يحترمون الخصم ولا يتحققون من جرمه . بل يقتلونه هو وأهله وعشيرته بدم بارد (تماماً مثلما حدث مع الهنود الحمــر أصحاب أمريكا الأصليين) ومع الزنوج ثم مع اليابان فى الحرب العالمية الثانية ثم فيتنام فى الستينيات .

تقول الحقائق إنه يوجد تحت تصرف قيادة العمليات الخاصة الأمريكية ٢٩ ألف جندى من أصل ١,٤ مليون جندى يؤلفون قوام الجيش والبحرية وسلاح الجو ، ولإنجاز مهمة الهجوم على شبكة القاعدة الإرهابية التى يتزعمها أسامة بن لادن فى جبال افغانستان ، يتوقع أن تنشر تشــكيلة تابعــة للجيش تضم " القوة دلتا " و" القبعات الخضر " و" فوج المغاوير الـــ ٧٥ " ووحدات " سيل " التابعة للبحرية ، والوحدات الجوية الخاصة البريطانية على النحو التالى :

١ـ **الجيــش الامــريكى فوج المغاوير الـ ٧٥** : قوات خاصة مزودة بأسلحة خفيفة ، مدربة على الحرب غير التقليدية ، قد يطلب منها التغلغل فى أفغانستان بواسطة مروحيات لشن غــارات خاطفة ضد قواعد طالبان ، شارك الفوج فى القتال فى جرنادا والصومال وبنما حيث قــتل ١٨ مــن أفراده فى ١٩٩٣ ، وشن الفوج غارات خاطفة فى حرب الخليج ، ولم يتكبد أى إصابات .

٢ ـ **قـوات خاصة . القبعات الخضر** : تنفذ أنشطة لمكافحة الإرهاب ومهمات تفتيش وتدمير ، وتدرب قوات أجنبية – مثل الجيش الكولومبى الذى يحارب تجار المخدرات – وتقوم بعمليات استطلاع سرية ، اكتسبت شهرة واسعة (قذرة) خلال حرب فيتنام .

٣ ـ **سلاح الجـو ـ فـوج الطيران الـ ١٦٠ للعمليات الخاصة** : يستخدم مروحيات مجهـــزة خصيصاً لنقل القوات الخاصة سراً ، وتنفيذ عمليات لمكافحة التمرد والإنقاذ . يتألف الفوج من ثلاث كتائب،اثنتان بيضاء وواحدة سوداء ، تستخدم لمهمات سرية،ويعرف مقاتلو الفـــوج بـــ (مطاردو الليل)،وشعارهم "الموت ينتظر فى الظلام"،وشاركوا فى القتال فيما سُمى بعاصفة الصحراء فى حرب الخليج الثانية وفى الصومال وليبيريا، وتستخدم الوحدة مروحيات من طراز سبكتر "اى سى ١٣٠" وهى قادرة على تدمير أهداف برية بقوة نارية هائلة .

٤ ـ **القوة دلتا** : تعرف أيضاً باسم " سى اى جى " (مجموعة تطبيقات القتال) تتخصص فى إنقاذ الرهائن والمهمات البالغة الخطورة ، تتألف دلتا من ثلاث سرايا عملياتية وسرية إسناد وســـرية اتصـــالات وفصـــيلة طيران ، وما يسمى بـــ " الفصيلة العجيبة " التى تضم مجندات وساهمت هذه القوة فى عاصفة الصحراء وعملية القضية العادلة فى الصومال .

٥ ـ **البحرية فرقة سيل** : الاسم يعنى فرق البحر والجو والبر ، ويشتهر افرادها البالغ عددهـــم ٢٢٠٠ بعنفهم وعدم إنسانيتهم فى أعمال التدمير والاستطلاع تحت الماء والعمليات الحـــربية غير التقليدية ، شاركت فرق سيل فى عمليات قتالية واسعة (قذرة) فى غابات فيتنام حيث نفذت كمائن وعمليات إنقاذ أسرى فى عمق الأراضى الفيتنامية .

٦ ـ **الجيـش الـبريطانى الوحدات الجوية الخاصة** (إس آى إس) : ساهمت هذه الوحدة الغامضة فى كل نزاع كبير تقريباً منذ إنشائها فى الحرب العالمية الثانية ، تتألف من أربع ســـرايا (اى ، بى ، سى ، دى ، جى) تتألف كل واحدة من أربع مجموعات تضم ١٦ جندياً ، وترتبط " إس آى إس" بعلاقات وثيقة مع " القبعات الخضر " و" القوة دلتا " نفذ أفراد فوج " إس آى إس " الــــ ٢٢ عمـــليات سرية خلف الخطوط السوفيتية خلال غزو أفغانســـتان فى الثمانينات .

* * *

ماذا يعنى كل هذا ؟!

إنه يعنى ببساطة أننا أمام غطرسة جديدة للقوة الأمريكية ، ومصالح جديدة لهذه الغطرسة تريد بها إعادة رسم العالم وفقاً للمزاج الأمريكى السياسى والاقتصادى ، دون مراعاة للقانون أو للعدل أو لكرامة الآخرين ، ولو تعلم الإدارة الامريكية والشركات العملاقة الشرهة (شركات السلاح والنفط وغيرها) التى تقف خلف هذا (المزاج) ، أن فى ذلك الاستهتار بالبشر وبالعالم ، نهايتهم المؤكدة ، لربما فكروا قليلاً ، وأعملوا العقل والحكمة والإنسانية ولو لمرة واحدة فى تاريخهم ، ولكنهم لا يتعلمون ويسيرون الى حتفهم (الذى قد يطول زمانياً ولكنه آت ومؤكد) بدأب وإصرار عجيب لا يمتاز به عادة إلا الحمقى ، والطغاة !!

الفصل الثالث

بعد رأس (بن لادن) : هل المطلوب رأس (حزب الله) ؟!

المتابع لتصريحات ومطالب قادة الكيان الصهيونى وصناع السياسة الأمريكية خلال الأيام الماضية (وتحديداً بعد بدء الحملة الأمريكية على أفغانستان يوم ٢٠٠١/١٠/٧م) ، يلحظ نبرة عـداء كامنة تستحضر (سوريا) و(حزب الله) أولاً بأول وكأهداف مقبلة للضرب ، فها هو السـفير الأمـريكى فى بيروت [فنسنت باتل] يتعجرف وهو يتجه الى وزير الخارجية اللبنانى (ليـثير) - هكذا قال (Iraised) معه قضية العناصر الثلاثة الذين كانوا أعضاء فى حزب الله [حسن عز الدين - على عطوى - عماد مغنية] ، ويطالب وبكل وقاحة أمريكية تعودناها ، بتسـليمهم ، إنـه - هـذا السفير - يتعامل وكأن (١١ أيلول / سبتمبر) لم يكن !! نفس الاسـتفزاز والغطرسـة ، ونفـس العداء والشعور بالامتلاء والاستعلاء على العالم حيث هم وحدهم - أى الأمريكيين - من يعاقب ويحاكم ويعفو كإله صغير على الأرض !!

وها هو وزير الدفاع الصهيونى بنيامين بن اليعازر يصرح لصحيفة " يديعوت أحرونوت " بأنه التقى قبل أيام بالجنرال (كرلتون بولفورد) نائب قائد منطقة أوروبا فى الجيش الأمريكى ، وقد عبر له عن تقديره للطريقة التى تتعامل بها إسرائيل مع الأحداث بعد ١١ سبتمبر وبخاصة مع العـرب ، ويقول بن اليعازر [وعندما حاولت أن أوضح له أنه لا يوجد فـرق بين حماس والجهاد الإسلامى وحزب الله وأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة] أجابنى بالموافقة ثم قال [نحن نعـلم هذا وهذه المنظمات موجودة لدينا على قائمة الإرهاب وسنتعامل معها مستقبلاً] ، بل وقـال لى : [إن حـزب الله يشكل تهديداً دولياً - وليس فقط تهديداً عليكم فى إسرائيل - وأن دولاً مثل سوريا ولبنان وليبيا موضوعة على خريطة الأهداف المستقبلية] .

وفى موضـع آخر أضاف بن اليعازر أنه قال للجنرال الأمريكى : [هل سمعت بتصريح بشـار الأسـد الذى فرق بين حركات التحرير التى تتمتع برعايته وبين منظمات الإرهاب ؟

فأجـاب الجـنرال الأمريكي،سمعنا بهذا التصريح بالتأكيد ، ولم يرق لنا – نص هذا الحوار فى صحيفة العربي – القاهرة ١٤/١٠/٢٠٠١م) ٠

وفى السياق نفسه ، أكد نائب وزير الخارجية الأمريكي (ريتشارد أرميتاج) – وهو معروف بأنه إسرائيلى الهوى – أن الأهداف فى الحملة على الإرهاب ، تشمل كل الجماعات التى تهدد مصالح الولايات المتحدة وحلفائها ، وزاد أن هذه المنظمات ستكون الهدف الذى سنركز عليه فى المرحلة التالية من الحرب ، وسئل عن العواقب إذا لم تلب دول مثل سوريا التوقعات الامريكية ، فأجاب "العواقب قد تكون أى شيء يجد التحالف أنها تستحقه ، ويتراوح بين العزلة والإجراءات المالية وصولاً الى عمل عسكرى محتمل" ، وأشار الى أن واشنطن تشعر بخيبة أمل تجاه سوريا ، وأضاف : " لا اعتبر أن سوريا جزءاً من التحالف ، إنهم يشيرون من وقت الى آخر ، الى أنهم يريدون المشاركة ثم يتراجعون بعض الشيء كما يبدو، وهذه الآن فى أفضل الأحوال مناسبة لمحاولة فتح عينى سوريا " وأبدى أرمتياج شكوكاً فى استجابة السودان لمطالب واشنطن ، علماً أنه مازال أيضاً على (اللائحة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب) ، وتابع المسئول الأمريكي " اتخذ السودان بعض المبادرات الجيدة الى حد بعيد ، ولكن إذا شاء أن يكون فى التحالف ، عليه أن يتبنى القيم ذاتها " ، انظر مدى غطرسة الإله الصغير على باقى الخلق فى الأرض !! والمعروف أن الخرطوم كانت قدمت للولايات المتحدة بعض المعلومات الاستخباراتية التى تتعلق بمساعدين لأسامة بن لادن ، وبفترة إقامة الأخير فى السودان (١٩٩١ – ١٩٩٦) ، واعتبر أرميتاج أن قصف الجيش السودانى مناطق المتمردين فى الجنوب دليل على أن السودان لم يبد بعد استعداده للسعى الجدى الى السلام وانتهاج سبيل المصالحة مع شعبه ، وفى إشارة الى دول عربية لم تؤيد بوضوح الحملة العسكرية الأمريكية على أفغانستان ، قال أرميتاج " بلدان كثيرة فى الشرق الأوسط تحاول فعل ما هو صحيح، أى ملاحقة الإرهاب، مع وضعها فى اعتبارها ما ترى أنه احتمال غضب الشارع ، ولكن هذا لا يكفى ، وسنتابع نحن كل هذه الأمور بعد الانتهاء من أفغانستان ٠

وإذا ما أردنا أن نمد التحليل على استقامته ، فإن المتأمل لمشهد اللوبى الأمريكى والميول اليهودية الصهيونية داخل الإدارة الأمريكية سيجد أن احتمالات ضرب سوريا ولبنان (حزب الله تحديداً) احتمالات قوية بعد الانتهاء من ضرب أفغانستان ، طبعاً ليس بالضرورة أن يكون الضرب وفق السيناريو الأفغانى ، ولكن عبر سيناريوهات أخرى ٠

إذا عدنا الى هذا اللوبى فإننا نلمح فيه بعد الرئيس جورج بوش (الذى يحسب قلباً وقالباً علـى الـلوبى اليهودى) ديك تشينى نائب الرئيس – كولن باول وزير الخارجية – كوندليزا رايس مستشارة الأمن القومى – بول وولفوفيتز نائب وزير الدفاع – ريتشارد أرميتاج نائب وزير الخارجية – ريتشارد هاس مساعد وزير الخارجية لتخطيط السياسة فى وزارة الخارجية – آى لويــس ليجى مدير مكتب نائب الرئيس ديك تشينى – ريتشارد بيل رئيس مجلس سياسية الدفــاع (وهــى هيئة استشارية هامة من خارج الإدارة) بالإضافة الى آخرين فى مواقع أخرى مؤثرة كأجهزة المخابرات (C-I-A) والـ اف – بى – آى .

هــذا اللوبى الأمريكى / اليهودى إسرائيلى الهوى والمصلحة ، لعب ولايزال يلعب دوراً حثيثاً فى الدفع فى اتجاه ضرب سوريا وحزب الله وباقى حركات المقاومة الفلسطينية ، بعد أن يتم غسل الأيدى الأمريكية مما علق بها من دماء القرويين الأفغان !!

* * *

ولكن ...

هــل الأمــور بهــذه البساطة ، وهل العالم بهذه الخفة والصغر أمام صناع الاستراتيجية الأمريكية حتى بعد زلزال ١١ سبتمبر (أيلول) ؟! وهل يصلح استنساخ فعل الهندسة الوراثية التخــليقية الــتى تجرى فى المعامل على الطيور والحيوانات .. لكى يُنقل على البشر والأمم والشعوب ؟!

أسئلة تعن للباحث حين يتابع الأخبار سالفة الذكر التى يحاول بها قادة الولايات المتحدة والكيان الصهيونى ، إرهاب منظمات المقاومة (وفى القلب منها حزب الله) وما تبقى من دول الصــمود (نمــوذج لها سوريا) ، وابتزاز إرادتهم وتجييرها لصالح الأطماع الإسرائيلية ، وهى محــاولات أمــريكية أن استمرت بهذا المستوى من الغطرسة ، ستنقلب لعنة على صانعيها ، ولنضع هذه الملاحظات بداية على المشهد العام لهذه القضية :

فأولاً : ثمــة لــبس أمريكى متعمد (وقديم فى الواقع) بين الإرهاب والمقاومة المشروعة للمحــتل ، وهــو لــبس تحول الى خلط مقصود بينهما الى الحد الذى دفع الإدارة الأمريكية ولسنوات عديدة الى وضع أسماء المنظمات الفلسطينية واللبنانية المجاهدة على ما يسمى بلائحة الإرهــاب السنوية ، وكأن هذه الإدارة هى الإله الجديد للعالم الذى يصنف الناس والأهداف

والعالم وفقاً لهواه ومصالحه [هذا إرهابي وذاك غير إرهابي] ، وهذا اللبس الأمريكي على فهم حركات المقاومة الفلسطينية واللبنانية (بقيادة حزب الله) يجعلها غير مدركة لما يسمى بحركات التحرر الوطنى من المحتل ، ويسقط تماماً هذا المفهوم من ذاكرتها وقواميسها . فهل هناك طرق أكثر استدعاءً من هذا لمشاعر الكراهية ضد الولايات المتحدة فى العالم العربى والإسلامى ، عندما توصف حركات المقاومة بحركات الإرهاب .

العالم كله - نقصد الشعوب طبعاً - ينظر لحزب الله باعتباره (جماعة أهلية تريد تحرير ارضها المحتلة وتهدف عبر نضالها الى الاستقلال والحرية) ، الدولة الوحيدة فقط فى العالم التى ترى غير ذلك هى الولايات المتحدة (وطبعاً إسرائيل) فهل يساعد هذا الفهم الظالم للحقائق والتاريخ ولطبيعة الأشياء على خلق مناخ صحى تتنفس فيه الإدارة الأمريكية بهدوء هواء هذه المنطقة .

ثانياً : وإذا ما مددنا حبل الاستشراف المستقبلى على استقامته ، وتخيلنا الولايات المتحدة المنتصرة (لا قدر الله) فى أفغانستان برياً وبعد ربحها جوياً للمعركة لو تخيلنا أنها قد بدأت فى تنفيذ أحلام أرميتاج وبيرل وولفوفيتز تجاه سوريا وحزب الله ، ماذا سنشاهد كرد فعل على هذه الاستهانة والغطرسة ، هل سيصمت (حزب الله) حتى يتم تدمير قواعده فى الجنوب ؟ هل سيصمت حتى يتم تصفية قياداته وضرب منشآته عبر السواحل من الأساطيل الأوروبية والأمريكية التى تقترب هذه الأيام منها أو عبر طائرات الأباتشى والـ إف ١٦ القادمة من تل أبيب ؟! هل ستصمت سوريا عندما يتم اختراق أمنها القومى ، وتضرب المكاتب السياسية لحركة حماس والجهاد الإسلامى والجبهة الشعبية والديمقراطية والقيادة العامة وغيرها [الموجودة فى دمشق ولا تمارس إلا عملاً إعلامياً بحتاً ؟!!] .

لا نعتقد أن هذه القوى ستصمت ، وستلقى الإدارة الامريكية درساً بليغاً لم تتلقاه فى أفغانستان ، وقد يحتاج السفير (فنسنت باتل) لفترة زمنية طويلة كى يحل ألغازه ، باعتباره غير خبير بالمنطقة ، وإن ادعى غير ذلك !!

إن (حزب الله) ، رغم شراسة اللحظة التاريخية التى تمر بها المنطقة ، والهوس الأمريكى فى الانتقام ، قادر على أن يدير الجولة الجديدة من الصراع - وفقاً لأجندته هو ، ووعيه هو بمواطن ضعف خصمه ومصادر قوته ، تماماً مثلما أدار انتصاره فى الجنوب .

بالطبع ، قد تتعرض الأهداف المدنية اللبنانية للضرب ، وقد يضرب ما بقى من الجيش السورى فى لبنان ، وقد يتم اغتيال بعض القيادات اللبنانية والفلسطينية (فى لبنان) ، وقد ينتصر الهجوم الأمريكى – الإسرائيلى مؤقتاً ، ولكن قدرة وحنكة حزب الله وباقى القوى المجاهدة ، فى الرد طويل المدى ستكون – إن ارتكبت الإدارة الأمريكية هذه الحماقة – أشد وأقسى وأكثر تأثيراً .

* * *

ثالثاً : بالمقابل وإلى إن ينفذ رجال اللوبى اليهودى فى الإدارة الأمريكية تهديدهم ، على كافة التنظيمات الفلسطينية واللبنانية المقاومة أن تستعد للجولة الجديدة من الصراع ، أن تستعد وكأنها قد بدأت ، فنحن إزاء إدارة أمريكية حمقاء – بامتياز – وبلا مبادىء ، وما تعد به اليوم أو ترشو به القادة العرب قد لا تنفذه فى الغد ، وهى حين قالت إنه لن يتم ضرب أية دولة عربية ، كانت تكذب ، فالضرب – فى الغالب قادم وإن بأساليب مختلفة .

إن شارون يعلم أنه غير قادر على هزيمة قوة شعبية وجهادية منظمة مثل (حزب الله) ولذلك هو يستعدى حمقى وزارة الخارجية الأمريكية عليه ، ويتولى وزير دفاعه ووزير خارجيته (بيريز مجرم مذبحة قانا) الترويج لمقولة إن حزب الله ، حركة إرهابية تستحق العقاب !! ، وبدأت تفتح بناء على هذا ملفات قديمة من أيام الحرب الأهلية ، وهو الأمر الذى استفز المسئولين اللبنانيين الذين أعلنوا إن ملف تلك المرحلة بحلوه ومره قد أغلق تماماً ولا يجوز أو يحق لأحد (خاصة أمريكا) أن تطالب بفتحه واستدعاء أصحابه أمام محاكمها لمقاضاتهم بأثر رجعى على نضالهم المشروع ضد الوجود الأمريكى الذى كان يلوث وقتها الأرض اللبنانية !!

إن خير وسيلة للدفاع عن النفس بهذا الصدد هى (الهجوم) ، والهجوم هنا يكون بوضع قوائم للمجرمين من الأمريكيين والإسرائيليين الذين تسببوا فى إبادة عشرات الألوف من اللبنانيين طيلة الخمسين عاماً الماضية ، ولن نتحدث عن المذابح فى البلاد العربية ، ويكفى فقط فتح ملف مذبحتى (صبرا وشاتيلا) و(قانا) لكى نبدأ بهما الهجوم الفورى ضد منطق البلطجة الأمريكى / الإسرائيلى الذى يحلو له العبث بمصائر الأمم والشعوب والاستعلاء عليهم ، وكأن ٢٠٠١/٩/١١م لم يكن !!

* * *

وبالمقابل نعتقد أن لجان مقاومة التطبيع ومساندة المقاومة عربياً ، عليها فى المرحلة المقبلة مسـئوليات جسـام لفضـح المخطط الكبير الذى تعده الاستراتيجية الأمريكية والإسرائيلية للمنطقة بعد الانتهاء من غسل الأيدى من الدماء الأفغانية !! وهذه المسئولية تتمثل فى الآتى :

١ – تصـعيد عمليات المساندة الحقيقية للانتفاضة الفلسطينية التى تكاد تنسى فى غمرة الحضـور الطـاغى لأفغانسـتان وأسامة بن لادن ، والمساندة تبدأ بتأكيد الترابط بين ضرب أفغانستان بهذه الشراسة مع الصمت المهين وبين الضرب المحتمل فى فلسطين وما حولها (لبنان – سـوريا) ، وبـأن الـلوذ بالصمت فى أفغانستان لا يجوز (ولن ينفع) فى باقى أركان الأرض الإسـلامية ، وما أفغانستان ، والعراق من قبل إلا بروفة لما ينتظر حبات المسبحة العربية التى سـتكر تـباعاً ، ومن هنا فالربط بين القضايا والتصعيد ضد الوجود الأمريكى فى بلادنا بدءاً بمقاطعـة السلع ومروراً بالنضال السياسى لضرب مصالحه ، هو عين المساندة الجادة للمقاومة وللانتفاضة فى عامها الثانى ٠

٢ – الضـغط على الحكام العرب سياسياً وجماهيرياً من خلال مثلث [الحرية وضرورة مقاومـة الاسـتبداد السياسى] و[إغلاق ملفات التطبيع الاقتصادى والسياسى مع الكيان الصهيونى] و[إنهاء الوجود العسكرى / السياسى / الاقتصادى الأمريكى فى المنطقة] والذى وصل الى حد إعطاء قواعد ثابتة (كما فى البحرين وقطر والكويت) ومناورات دورية بـ ٧٠ ألـف جـندى كل عامين (مناورات النجم الساطع فى مصر) والتى تعد بروفة أمريكية دائمة لكيفية ضرب البلاد العربية مستقبلاً ذات البيئة المشابهة ٠

هـذا المثـلث يستدعى نضالاً سياسياً وليس نضالاً مسلحاً ، لأن لجان مقاومة التطبيع ومسـاندة المقاومـة والانتفاضـة ليسـت تنظيمات سرية مسلحة ، ولكنها حركات شعبية عريضـة وواسعة ومدنية بالأساس ، سلاحها الكلمة والمظاهرة والإعلام السياسى والبرلمان ، ومن ثم بإمكانها وبوسائلها الشرعية ، أن تضغط على أنظمة الحكم العربية لتحقيق إنجاز فعلى فى مثـلث المواجهـة سالف الذكر ، وهو إنجاز قد يطول ، ولكنه حتماً سيستمر وسيكون فى المحصـلة الأخـيرة خـير داعم لنضال حركات المقاومة وخير حامٍ لها من عشوائية الضربات الأمريكية القادمة والتى تستعين بصمت الحكام كى تضرب وهى مطمئنة !!

٣ – المطـلوب فتح ملف (النفط العربى) و(الاستثمارات العربية) فى الولايات المتحدة والدول الأوروبية (حوالى ٨٠٠ مليار) ، ولجان مقاومة التطبيع فى الخليج العربى ، تقع عليها

المســئولية المباشرة فى ذلك ، خاصة وأنها حين انطلقت دشنت انطلاقها بحملة إعلامية ضخمة وبأمانى نضالية واسعة ، وللأسف حتى الآن لم نشهد فعلاً إيجابياً مؤثراً لها ، اللهم إلا " الكلام " والطحين اللفظى بغير قمح ، إن قيامها بفتح ملف الوجود الأمريكي فى بلادها ، بالإضافة إلى ملف النفط وملف الاستثمارات العربية (الخليجية بالأساس) فى البلاد الأوروبية والأمريكية ، كفيــل بأن يمثل سنداً قوياً لحزب الله وحماس والجهاد وقوى الانتفاضة ، وكفيل بفتح أبواب المــناورة ، حــتى أمــام الحكام العجزة . لأنه سيصبح سلاحاً فى أيديهم يلوحون به فى وجه الأمريكى القادم من أفغانستان متعطشاً للدماء .

إن المقترحات وإمكانات الفعل عديدة أمام من يرغب فى المقاومة ؛ وإذا كان (بن لادن) هــو أول القائمــة الأمريكية فان (حسن نصر الله) لن يكون آخرها ، خاصة إذا لاذت نخبتنا وقوانا الحية بالصمت ، وسط طوفان الأحداث والتحولات التاريخية التى ستجرف فى طريقها أول من تجرف ، الصامتين من الــنُوَّم الخائفين .

إن امــريكا تمامــاً كإسرائيل التى سبق أن قال عنها سيد المقاومة اللبنانية (السيد حسن نصر الله) (أوهن من بيت العنكبوت) ، فقط هى تحتاج الى مقاومة شعبية جادة ، مقاومة تأخذ مــن (بــن لادن) صــموده حتى وإن اختلفت معه فى فهمه للإسلام وقضايا العصر ، وتأخذ مــن (حســن نصر الله) إرادته ووعيه وإن اختلفت معه فى ترتيب الأولويات وأسرار صمت الجــنوب بعد الانتصار ، وتأخذ من (فتحى الشقاقى) فروسيته ونبله إستعداده الدائم للشهادة .. حتى نالها وهو غريب ، وهذا ما لا يجوز الخلاف معه أو حوله .. حياً وميتاً !!

الفصل الرابع

(المقاومة : قدر وليست خيارًا !!)

هل نغلق ملف المقاومة قبل أن يغلقه الأمريكى القبيح القادم من أفغانستان ؟

كان ماوتسى تونج الزعيم الصينى الراحل يقول لأتباعه حين ينشدونه مراعاة ظروف العالم وتحولاته الكبرى ، وهو يشق عليهم فى نضاله من أجل التحرير : [إحفروا خنادقكم وامسكوا بنادقكم ، ثم انظروا حولكم فى أوضاع العالم ، وتأملوا ٠٠ وبعدها وليس قبلها لكم إن تخرجوا من الخنادق الى أى اتجاه تختارون] ٠

ربما هذا بالتحديد ما ينبغى أن يقال لحكامنا العرب ٠٠ ولفريق أوسلو البائس فى فلسطين والى من لف لفهم من المثقفين ، المذعورين دوماً مما حدث ويحدث حولهم ، وبخاصة بعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١م فى أمريكا وأحداث ٢٠٠١/١٠/٧م فى أفغانستان ، وهجوم " الأمريكى القبيح" على عالم الإسلام والعرب !!

لقد تجرأ أحدهم وهو دوماً يتماهى مع المشروع الصهيونى ، ودوماً يصف جهاد (حزب الله وحماس والجهاد الإسلامى) بالجنون وبالعمالة لإيران ، تجرأ هذا الكاتب شديد التعاطف مع الصهاينة فى كل ما يكتب فى صحيفته اللندنية – مشبوهة الصلات – بأن الإسلاميين العرب مقبلون على هزيمة أقسى من هزيمة ١٩٦٧ ، وإن ما يحدث لهم الآن مشابه تماماً لما حدث للمشروع القومى حين إنكسر وانهار بعد حرب الأيام الستة ، وأخذ يرقص على أنغام فكرته المتهافتة وينظّر لأبعادها ، ومراميها ، علها تثبت فى الأرض ويدركها عاقل !!

هذا الصنف من المذعورين والمتماهين دوماً مع لغة ومصلحة عدو أمتهم ، والذى لم يتوقف عند حدود الكتابة ، وتجاوزها الى فعل القادة ، والذين كان آخر ما عبر عنهم وعن حالهم البائس اجتماعهم الوزارى الطارىء فى الدوحة (اجتماع وزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامى يوم ٢٠٠١/١٠/١٠م) وبيانهم الهزيل المرتعب ، والخائف من مجرد ذكر للعدوان الأمريكى غير المبرر على دولة إسلامية بالكامل لمعاقبة (فرد) أو (تنظيم سياسى) واحد !!

هــذه الحالة والتى قد تمتد – وهى حتماً ستمتد – لتصل الى المقاومة المسلحة المشروعة للعدو الصهيونى ، فى فلسطين ولبنان ، وسوريا ، والمقاومة السياسية والاقتصادية ، لهذا العدو فى الــبلاد العــربية الأخــرى التى ابتليت بفيروس التطبيع وإقامة العلاقات مع هذا الكيان الصهيونى ، نقول إن ذلك كله يستدعى أن نناقش المسألة ونحللها ، وصولاً الى نتائج صحيحة وســط هذا الهلع المجانى الذى دأب البعض من المهزومين من داخلهم على تقديمه على أطباق من الزيف ، لعدوهم ، فيكسرون من حيث لم يريدوا (هذا إذا افترضنا صدقهم) إرادة أمتهم فى الصمود والبقاء ، يكسرونها بدعوى (الواقعية) و(العقلانية) وعدم الوقوف أمام رياح التغير الحتمية القادمة مع الوحش الأمريكى القبيح الذى يغسل ثيابه ويديه الآن مما علق به من دماء الأفغان !!

حول هذه القضية نضع المحاور التالية .. علها تفيد !!

* * *

فـأولاً : ما تقوم به أمريكا وبريطانيا والمنظومة الأوروبية فى افغانستان وبعيداً عن النفاق السياســى الشائع الآن هذه الأيام بين الحكام والمثقفين المهزومين من داخلهم ، ما يحدث ليس سوى (حرب صليبية) جديدة ، كان بوش صادقاً جداً حين قالها ، وكاذباً جداً حين نفاها لاحقاً مدعياً أنها " زلة لسان " !!

فالحــرب التى تستخدم فيها الطائرات (بى – ٥٢) والصواريخ توماهوك وكروز وقنابل ثقيلة زنة ٥٠٠٠ رطل والمخصصة لتدمير الملاجىء والكهوف فى مواجهة شعب أعزل لا يملك سوى عشرين أو ثلاثين طائرة (سوخوى) قديمة الصنع وأسلحة لا تصلح إلا فى حروب برية مع جيــوش مــن العالم الثالث .. هذا العدوان المتغطرس القبيح لا يمكن وصفه إلا أنه (حرب صــليبية جديدة) ضد مسلمين عُزل ، قتل منهم حتى لحظة كتابة هذه السطور ألف وخمسمائة رجــل وامــرأة مــن المدنيين القرويين البسطاء ، ولم يقتل أحد من رجال (طالبان) أو تنظيم " القاعدة " !!".

وأى تكييــف أو تســمية أخــرى لهذه الحرب ، سواء باسم مقاومة الإرهاب أو الثأر لأحــداث ٢٠٠١/٩/١١م ، ليــس إلا نفاقــاً سياسياً رخيصاً أدمنه من غاصوا فى المشروع الأمريكى / الصهيونى ، ولم ينعتقوا منه بعد .

* * *

ثانياً : ورغم هذا العنف الأمريكي وتلك الحرب الصليبية الجديدة التى تشن ، إلا أن آفاق الهزيمة بدأت فى السطوع مع بدء الاستعداد للحرب البرية وإنزال القوات لتتواجه رجل لـــرجل فى صـــحراء أفغانســـتان ، هنا بشائر الهزيمة الأمريكية ستبدأ ، لأن أنصاف الرجال من قوات الصفوة الأمريكية الذين يتشاطرون على المقاتلين الأفغان ، وهم فى طائرات الـــ (بى ٥٢) المحلقة فى الجو على ارتفاعات بعيدة ، سيتحولون - كما هى عادتهم - الى مجرد فئران مذعورة حين يلتحمون أرضاً ٠

وربمـــا كانت هذه هى سنة التاريخ مع الغزاة دوماً ، ألم يقل عمر المختار ذلك من قبل عندما قالوا له محذرين من القائد الإيطالى الجديد إنه جزار وفاشى شرس ، وإن سلاحه المذابح وهتك الأعراض ٠٠ أجاب عمر المختار : [أنهم هكذا دائماً ، يأتوننا أسوداً ويعودون كالماعز المنهكة] وحين يقف فى قيوده مسلسلاً أمام هذا القائد الإيطالى السفاح بعد أن تم أسره يسأله: هـــل كـــنت تتصـــور أنه كان بإمكانك التغلب على قوتنا العظمى ؟ فيرد عمر المختار بهدوء المجاهدين الكبار : " سيبقى أننا قاومنكم " ٠

نعم سيبقى أن الشعب الأفغانى ، وفى سطوة النفاق السياسى ، والتبعية المهينة للشيطان الأكبر ، والعبودية المجانية لإرادته ٠٠ سيبقى أنه قاوم ورفض الخضوع للمشيئة الأمريكية !!

إن هذا الرفض هو فى جوهره يعنى هزيمة العدوان الأمريكى لأنه لم يصل - بكل جبروته وأســـلحته المتقدمة - الى هزيمة الروح الأفغانية من داخلها ، بل ستتحول هذه الأسلحة وذاك الجبروت مع بدء الحرب البرية أو التواجد العسكرى الأرضى طويل المدى للقوات الأمريكية الى هزيمة مضادة ثقيلة بإذن الله ، عندها سيلتفت صناع هذه الآلة العسكرية الجبارة حولهم بحثاً عن الأصدقاء والمنافقين فلن يجدوهم !!

* * *

ثالثاً : إلا إن هذا الجبروت الأمريكى - كما أشرنا - أصاب الكثير من حكامنا بالهلع، وجعلهم يوافقون دون بحث أوتدقيق على كل ما تريده الولايات المتحدة تحت العنوان المضلل (مقاومـــة الإرهـــاب) وزايـــد بعضهم عليها وأعطاها معلومات أو قواعد عسكرية للانطلاق أو أمـــوالاً ، أكـــثر ممـــا طلبت ، ووصل هلع البعض منهم الى المطالبة بإغلاق ملف حركات المقاومـــة المجـــاهدة فى لبـــنان وفلســـطين ، بل وحركات مقاومة التطبيع ، ومقاطعة السلع والشـــركات الأمـــريكية والإســـرائيلية ، لمـــاذا ؟ خوفاً من أن يتم محاسبتهم هم أمام الجزار

الأمريكى ، على مجرد صمتهم على وجود هذه الحركات المناضلة ، وبادر بعضهم الى اعتقال ومحاصرة نشاط هذه الحركات مع بدء القصف الجوى الأمريكى على كابول وقندهار !! .

وحتى نثبت من نفسيتهم الخائفة .. أو لنقل حتى نهدىء من روعهم ، وجبنهم ، نقول لهـم ببسـاطة : أن الولايات المتحدة،ومعها الكيان الصهيونى ،لن يجرؤا على إعادة السيناريو الأفغـانى مـع حركات المقاومة العربية (بالتحديد حزب الله - حماس - الجهاد الإسلامى - وفـريق مـن فتح)، أو مع الدول التى تأوى قيادات هذه الحركات أو تمول أنشطتها (نقصد تحديـداً إيران - سوريا - لبنان) ، لأن المعادلة هنا مختلفة ، والثمن أشد فداحة على الوجود الأمـريكى والإسرائيلى ككل ، خاصة والعلاقات والقوى والمصالح متداخلة ومتشابكة بحيث يستحيل استخدام نفس المخططات التى تمت مع أفغانستان تجاه هذه الدول والحركات .

صـحيح أن أمريكا وإسرائيل ومعهما التحالف الدولى الصليبى المشكل حديثاً ، يتمنون ذلـك ، ولكن ليس بالضرورة كل ما يتمناه المرء يدركه ، خاصة مع التعاطف الشعبى العربى والإسـلامى تجاه قوى المقاومة فى فلسطين (أصل الصراع ومركزه) ولبنان،ومع إدراك الرأى العام العالمى - الشريف - أن هذه جماعات مقاومة ، وليست تنظيمات إرهاب ، وأن المقاومة وفقـاً لكافة المواثيق الدولية والشرائع السماوية مباحة بل ومطلوبة ، وأن الفروق بينها وبين (الإرهاب) شاسعة ، وكون المسيخ الدجال لهذا العصر (الولايات المتحدة) (أعور) تماماً مثلما هو المسيخ الدجال المبشر به فى موروثنا الإسلامى ؛ فهذه مشكلته هو وليست مشكلتنا وعليه ان يعالج نفسه أولاً قبل أن يفقد - هنا - العين الثانية له !!

إن أى محاولـة أمريكية لمعاقبة أو حصار أو ضرب الدول الصامدة (إيران - سوريا - لبنان) والحركات المجاهدة ، بعد الانتهاء (ولو جواً) من ضرب افغانستان ، سيفتح باب جهنم الحقيقـى عليها،وعـلى تابعيها وتابعى التابعين بغير إحسان من حكام ومسئولى هذه الأنظمة المتحالفة معها !!

* * *

رابعاً : ثم لنسأل أنفسنا وبصراحة .. هل المقاومة لمشروع الهيمنة الغربى والإسرائيلى فى المنطقة ، مجرد خيار فرض علينا ضمن خيارات أخرى . أم هو قدر مرتبط بقاء وزوالاً بهذه الأمة ؟!

إن المــتأمل فى مشـــهد العلاقة التاريخية بين أمتنا وبين الغرب منذ بدء الحروب الصليبية فى القــرن الحادى عشر وصولاً الى سقوط (غرناطة) فى القرن الخامس عشر الميلادى . ذلك السقوط الذى وصفته الملكة عائشة حين رأت ابنها الأمير (أبى عبد الله الصغير) يبكى لسقوط غرناطة ومن ثم لسقوط الأندلس .

ابك مثل النساء ملكاً ضائعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال !!

ثم هــزيمة الأســطول العثمانى فى معركة ليباتول البحرية عام (١٥٧١م) ثم فك حصار الجيوش الإسلامية العثمانية الذى ضربت حول فيينا عام ١٦٨٣م ، ثم حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨م واحتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠م ولتونس عام ١٨٨٠م ثم احتلال انجلترا لمصــر عــام ١٨٨٢، ثم تبعتها بالسودان وتوغلها فى أفريقيا ، وفرض سطوتها ونفوذها على مشــيخات الخــليج ، فى الوقت الذى كانت فيه إيطاليا تزحف الى ليبيا ، والمغرب يتفرنس ، والمشرق العربى يتمزق بين الدولتين العظميين وقتها (فرنسا وبريطانيا) ويهيئان الأوضاع لقدوم المولــود الجديد (إسرائيل) بناء على وعد بلفور وهجرات اليهود الغربيين لفلسطين للاستيطان والاحتلال وبناء (بارجة حربية غربية) فى المنطقة تحل محلهما وظيفياً حين يقدر لهما الرحيل !!

وقد كان . . .

هــذا الصــراع الممتد لأكثر من عشرة قرون ، لا يمكن إلا أن نسميه بصراع حقيقى للحضــارات والمصالح بين ثقافتين وحضارتين أحدهما تبغى التحرر والنهضة والسمو الأخلاقى (وهــى الحضارة الإسلامية) والثانية تبغى الهيمنة والسيطرة وامتصاص خيرات الأمم ومصادرة مستقبلها (الحضارة الغربية) .

أمام هذه الطبيعة للصراع الممتد ، أصبحت (المقاومة) له ولكل مفرداته وتوابعه ، (قدراً محــتوماً) وسمــة أصيلة من سمات أمتنا ، وليس مجرد بديل أو خيار بين خيارات اخرى ، لقد صارت المقاومة للمشروع الأمريكى (الغربى) والصهيونى ، أحد المكونات الأساسية لشخصية الأمة العربية . تماماً كاللغة والدين والأرض والثقافة ، وبتجاهلها أو تعمد إسقاطها ، هو إسقاط لهويــة الأمة وشخصيتها ، ومن ثم فإن ما يحدث فى أفغانستان ، وصولاً الى فلسطين وما بينهما (إيران - كشمير - الشيشان - نفط جزيرة العرب المرتهن - ضرب العراق اليومى - التطبيع الصــهيونى المــنظم مع أغلب الدول العربية . . الخ) يستدعى التأكيد على روح المقاومة من جديد ، والتأكيد على أنها ليست مجرد خيار بين عدة خيارات نأخذه أو نتركه حسب الحاجة ، ولكنه سمة أصيلة من سمات هذه الأمة تسقط بسقوطها وترتفع بارتفاعها !!

* * *

خامساً : ونأتى الى فلسطين ، فهذه الأيام يحاول بوش وجوقة التحالف الصليبي الغربي ، أن يزيفوا الحقائق أمام الرأى العام العربي والإسلامى ، بادعاء أنهم يوافقون على إنشاء (دولة فلسطينية) هكذا تحدث بوش وبعده تابعه الأمين (تونى بلير) ، وفرح أعضاء فريق أوسلو البائس ، دون أ يتوقفوا ليسألوا عن (ماهية هذه الدولة) وكيف انها لن تخرج عن مجرد (دولة كرتونية) تلبى المصالح الإسرائيلية فى الأمن وحماية المستوطنين وتمنع الانتفاضة وإمال بيع فلسطين ، لم يتوقف سماسرة المفاوضات ليدققوا جيداً فى الأسباب التى دفعت بوش إلى إعلان هذا الموقف الآن . وكيف ان كلمات أسامة بن لادن عن (ربط أمن أمريكا بأن ينعم العرب بالأمن فى فلسطين) ، وهى الكلمات التى أداها للأسف وزير الاعلام الفلسطينى (ياسر عبد ربه) كانت هى السبب الرئيسى فى تحريك شفتى ذلك الرئيس الأحمق وتابعه الذليل .

ورغم أن الإعلان سيكون مثل سابقه أيام كلينتون ، مجرد حبر على ورق رخيص ، فإن الحاصل على الأرض سيكون أشد رخصاً . خاصة ، إذا ما تأملنا حجم التنازلات التى تمت للوصول الى هذه الدولة الوهمية من خلال تأمل مسلسل الاتفاقات والتنازلات منذ مدريد ١٩٩١ وحتى اتفاق شيمون بيريز لوقف الانتفاضة يوم ٢٠٠١/٩/٢٧م [٩ اتفاقات مبرمة من داخل الاتفاق الأم و٨٨ تنازلاً حصراً] .

إن هذه الاتفاقات والتنازلات التى وصلت الى حد الحديث والتفاوض على الـ ٧% من مساحة فلسطين التاريخية مع التسليم بـ ٩٣% من المساحة الكلية (٢٧ ألف كم٢) ، يجعلنا نرى أن كل ما يعلنه جورج بوش وما يشيعه تابعه تونى بلير ، مجرد سراب جديد يقصد به تخدير القيادات الفلسطينية وإيقاف الانتفاضة ، وتحويل فوهات البنادق الى صدور الفلسطينيين كما حدث قبل أيام ، ولكن رغم قسوة اللحظة ، الا أن المقاومة ستستمر فى فلسطين وحولها ، وسينفجر الوضع فى الجنوب اللبنانى ، وفى الجولان ، وربما مع مصر ، لأن الغطرسة والظلم الأمريكى – الصهيونى ، فاق الحدود ، ولكل علوٍ نهاية ، وإن طالت وفقاً لمعايير التاريخ والسياسة .

* * *

إن (أفغانستان) وما يجرى فى سمائها وفوق رمالها ، تؤكد – كما سبق وقلنا فى دراسات سابقة – أن العصر الأمريكى قد ولى ، وأن العصر ما بعد الامريكى قد بدأ ، صحيح قد تطول سنوات الرحيل لهذا العصر ، وقد تكثر ضحاياه ، كنتيجة لعشوائية اللحظة الأخيرة واضطراب أصحابها ، ولكنها حتماً آتية ، وفلسطين برجالها ومقاوميها وتاريخها وطبيعتها وموقعها فى ضمير الأمة ، ستكون حتماً هى أرض المواجهة القادمة والدائمة ، والمنتصرة ، بإذن الله .

الفصل الخامس

هل أخطأ (بن لادن) •• حين وقع فى حب فلسطين ؟

مشاهد عبثية من بقايا العصر الأمريكى

فى أقل من شهرين ، وعبر الفضائيات العالمية ، فاجأ (أسامة بن لادن) العالم ، بالوقوع فى حب فلسطين ثلاث مرات ، فى ثلاثة أحاديث متلفزة ومكتوبة ، مترنماً بجمالها وقداستها رابطاً تارة أمن أمريكا بأمنها ، وساخراً تارة أخرى من عبثية الاستناد الى الأمم المتحدة لاسترداد ثراها المقدس الذى تدوسه جيوش (الكفرة من اليهود) – على حد وصفه – ومناشداً تارة ثالثة أمة الإسلام أن تهب لنجدة أهلها لأن الذى يجرى هناك لا تحتمله أمة من الأمم البشرية ، بل أمة من الكائنات الحية!!

هذا الوقوع فى الحب ، رفضه بعض المسئولين الفلسطينيين والعرب ، واعتبروه مزايدة غير مقبولة ، وتشنج أحدهم أمام شاشات التلفاز صارخاً [إننا نرفض ربط قضية فلسطين بأسامة بن لادن ، لأننا نعتبره الوجه الآخر لشارون !!] •

وتدافعت كرة الثلج •• وبدلاً من أن يستثمر فريق أوسلو البائس الأحداث ويحاول أن يستفيد منها ولو سياسياً ، إذ به يقذف بكل ما فى يده من أوراق ، ببلاهة تعودناها ، متقمصاً دور المناضل الذى يرفض (الإرهاب) ؛ مزايداً حتى على الأمريكان أنفسهم ، ومضحياً لهم بكل شىء حتى بالدم ، فى الوقت الذى ينزف فيه شعبه دماً وحزناً من جراء إرهاب أكبر وأشد مرارة مُصنعاً ومُسانداً وحتى الرمق الأخير من ذلك الصديق الأمريكى راعى عملية السلام التى لم تنجز شيئاً لأن الراعى للغنم ، ذئب !!

* * *

- ولأنه (أى أسامة بن لادن) تجرأ وأعلن عن حبه لفلسطين (ترى من منا يتحدث العربية ولا يحبها؟!) دون أن يأخذ إذناً من ياسر عبد ربه وزير الإعلام فى السلطة الفلسطينية (مثلاً!!) فإنه استحق اللعنة ، والطرد من جنة السلطة التى احتكرت وحدها مفاتيح المحبة لفلسطين

كل ذلك لأن الرئيس الامريكى (بوش) ومن بعده تابعه رئيس الوزراء البريطانى (بلير) لوحوا ، مجــرد تلويح، بأنهما يوافقان على قيام (دولة فلسطينية برئاسة السيد عرفات) ، وهو تلويح تصوره مالكى (مفاتيح الجنة) إنه بمثابة وعد بلفور جديد ، وإن كان هذه المرة للفلسطينيين ، ولم يـستوقفوا ليســألوا عن مضمون هذه الدولة ، وضمانات تحققها على الأرض ، وحظها من الوجود الفعلى خارج نطاق الوعود الزائفة المستمرة منذ كامب ديفيد ١٩٧٩ وحتى اليوم !!

م يتوقفوا ويسألوا تماماً مثلما لم يتوقف ويسأل باقى الحكام العرب والمسلمين – هل أخطأ (بــن لادن) ، حــين أعلن عن حبه لفلسطين ، وحين ربط مأساها بمآسى العرب والمسلمين فى أفغانستان وكشمير والشيشان والبوسنة والسودان والعراق ، أم هى الحقيقة التى يحاول هؤلاء أن يتجاهلوها عمداً ، أو خجلاً ؟

إن الــذى يحدث بعد ٢٠٠١/٩/١١م ، على الصعيد الدولى ، والعربى ، يؤكد – حتى لــو كان هؤلاء الحكام يلوذون بالصمت – أننا بالفعل أمام سيناريو متصل الحلقات ، سيناريو مــن الظلم الاقتصادى والاجتماعى والسياسى مارسته القوى الاستعمارية الغربية وفى طليعتها الولايــات المتحدة ضد الشعوب العربية والمسلمة طيلة ثلاثة قرون مضت ، ازدادت شراستها وضوحاً خلال الخمسين عاماً الماضية ، وتبلور ظلمهم وضوحاً حين أنشئت (إسرائيل) كبراجة عســكرية أمريكية وغربية فى المنطقة ، وكأعلى مراحل الاستعباد الغربى لمنطقتنا المُبتلاة بحكام لا يرون إلا ما تراه الولايات المتحدة ، وكأنها بالفعل (إله العالم الجديد) الذى اليه تشد الرحال والنفوس والأفئدة !!

* * *

وقــبل أن نجيب بتوسع نسبى عن تساؤل هل أخطأ (بن لادن) فى حبه لفلسطين ؟ دعونا ندلــل عــلى كون (فلسطين) و(أفغانستان) وغيرهما مجرد حلقات – كما قال بن لادن نفسه فى حديثه التليفزيونى الثالث (قناة الجزيرة مساء ٢٠٠١/١١/٣م) – من الظلم الغربى المتواصل ليــس لشعوبنا فحسب ، بل لشعوب العالم أجمع ، وهل كان أسامة بن لادن صادقًا فى ادعائه أم مــبالغ ؟ وإذا كان صادقاً أفلا يستدعى هذا كراهية أمريكا ومحبة المظلومين وفى مقدمتهم بلادنا العربية وعلى رأسها فلسطين !!

تحدثنا الوثائق المتاحة على سبيل المثال بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أنها عبر تاريخها المحـدود قد غزت وقتلت أثناء غزوها عشرات البلاد ، وسنقتصر الحديث على الخمسين عاماً الماضية فحسب والتى من أبرز ما احتوته :

فى عام ١٩٥٠ تدخلت القوات الأمريكية فى بورتريكو لسحق ثورة استقلال .

فى عام ١٩٥٠ تدخلت القوات الأمريكية فى كوريا ، وسط تهديدات نوبية ومازالت لأمريكا قواعد فى كوريا الجنوبية .

فى عام ١٩٥٣ تدخلت القوات الأمريكية فى إيران عن طريق وكالة المخابرات لإعادة الشاه الى العرش بعد ثورة عليه .

فى عام ١٩٥٤ تدخلت القوات الأمريكية فى فيتنام وسط تهديد نووى لانقاذ القوات الفرنسية المحاصرة .

فى عـام ١٩٥٤ تدخلت القوات الأمريكية فى جواتيمالا وسط تهديد نووى بعد تأميم أراض تابعة لشركات أمريكية .

فى عـام ١٩٥٦ تدخـلت القوات الأمريكية فى مصر وسط تهديدات نووية لإجلاء الرعايا الأجانب .

فى عام ١٩٥٨ تدخلت القوات الأمريكية فى لبنان ضد ثورة وطنية .

فى عام ١٩٥٨ تدخلت القوات الأمريكية فى العراق وسط تهديد نووى ضد غزو الكويت .

فى عام ١٩٥٨ تدخلت القوات الأمريكية وسط تهديد نووى ضد الصين لمنع قواتها من التقدم الى تايوان .

فى عام ١٩٥٨ تدخلت القوات الأمريكية فى بنما لقمع احتجاج .

بـين عامى ١٩٦٠ و١٩٧٥ خاضت القوات الأمريكية حرب فيتنام وسط تهديدات نووية ومات فى هذه الحرب نصف مليون شخص .

فى عام ١٩٦١ تدخلت القوات الأمريكية فى كوبا بعد فشل محاولة غزو .

فى عام ١٩٦١ تدخلت القوات الأمريكية فى أزمة سور برلين فى ألمانيا وسط تهديدات نووية.

فى عـــام ١٩٦٢ تدخـــلت القـــوات الأمـــريكية فى كوبا خلال أزمة الصواريخ فى الاتحاد السوفيتى .

فى عام ١٩٦٢ تدخلت القوات الأمريكية فى لاوس خلال حرب ثورية .

فى عام ١٩٦٤ تدخلت القوات الأمريكية فى بنما للمطالبة بعودة القناة الى سيادها .

فى عـــام ١٩٦٥ تدخـــلت القوات الأمريكية فى أندونيسيا فى انقلاب عسكرى دبرته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وقتل فيه مليونا شخص .

فى عام ١٩٦٥ تدخلت القوات الأمريكية فى جمهورية الدومنيكان لأسباب انتخابية .

فى عام ١٩٦٦ تدخلت القوات الأمريكية فى جواتيمالا ضد حركة ثورية .

فى عـــام ١٩٦٧ تدخلت القوات الأمريكية فى ديترويت ضد تمرد للسود ولقى ٣٤ شخصاً مصرعهم .

فى عـــام ١٩٦٨ تدخلت القوات الأمريكية فى ٢١ مدينة بعد اغتيال الزعيم الأسود مارتن لوثر كنج .

فى عام ١٩٦٩ تدخلت القوات الأمريكية فى داكوتا الجنوبية لفك حصار .

فى عام ١٩٧١ تدخلت القوات الأمريكية بتهديد نووى فى حرب أكتوبر .

فى عام ١٩٧٣ تدخلت القوات الأمريكية فى شيلى فى انقلاب ضد الرئيس المنتخب سلفادور الليندى .

فى عام ١٩٧٥ تدخلت القوات الأمريكية فى كمبوديا .

فى عـــام ١٩٧٦ تدخلت القوات الأمريكية فى فى أنجولا لمساعدة جنوب أفريقيا ضد الثوار السود .

فى عام ١٩٨٠ تدخلت القوات الأمريكية فى إيران وسط تهديد نووى لإنقاذ الرهائن .

فى عام ١٩٨١ أسقطت القوات الأمريكية طائرتين ليبيتين .

فى عام ١٩٨١ تدخلت القوات الأمريكية فى الحرب الأهلية فى السلفادور .

فى عام ١٩٨١ تدخلت القوات الأمريكية فى الحرب الأهلية فى نيكاراجوا .

فى عام ١٩٨٢ تدخلت القوات الأمريكية فى الحرب الأهلية فى لبنان .

فى عام ١٩٨٣ تدخلت القوات الأمريكية فى هندوراس .

فى عام ١٩٨٣ تدخلت القوات الأمريكية فى جرانادا .

فى عام ١٩٨٤ أسقطت القوات الأمريكية طائرتين إيرانيتين فوق الخليج العربى .

فى عام ١٩٨٦ قصفت القوات الأمريكية ليبيا لإسقاط حكومة العقيد القذافى .

فى عام ١٩٨٩ أسقطت القوات الأمريكية طائرتين ليبيتين .

فى عام ١٩٨٩ تدخلت القوات الأمريكية فى فيرجين إيلاند لقمع تمرد للسود .

فى عام ١٩٨٩ تدخلت القوات الأمريكية الى جانب حكومة الفلبين بغطاء جوى ضد انقلاب .

فى عام ١٩٩٠ تدخلت القوات الأمريكية فى بنما فى قلاقل داخلية مات فيها ٢٠٠٠ شخص .

فى عام ١٩٩٠ تدخلت القوات الأمريكية فى ليبيريا لإجلاء الأجانب .

فى عام ١٩٩٠ تدخلت القوات الأمريكية فى تحرير الكويت الى جانب قوات الدول العربية.

منذ عام ١٩٩٠ والقوات الأمريكية تفرض حظراً جوياً وبحرياً على العراق ، وتقوم بغارات مستمرة على الأراضى العراقية .

فى عام ١٩٩٢ تدخلت القوات الأمريكية فى لوس أنجلوس لمقاومة تمرد ضد البوليس الأمريكى .

فى عام ١٩٩٢ تدخلت القوات الأمريكية فى الحرب الأهلية الصومالية .

فى عام ١٩٩٢ تدخلت القوات الأمريكية فى صربيا اليوجوسلافية لحصار بحرى .

فى عام ١٩٩٣ تدخلت القوات الأمريكية بقصف جوى فى نزاع البوسنة .

فى عام ١٩٩٤ تدخلت القوات الأمريكية فى هاييتى لإعادة الرئيس أريستيدس الى السلطة .

فى عام ١٩٩٥ تدخلت القوات الأمريكية فى كرواتيا ضد الصرب .

فى عام ١٩٩٦ تدخلت القوات الأمريكية فى زائير .

فى عام ١٩٩٧ تدخلت القوات الأمريكية فى ليبيريا لإجلاء الرعايا الأجانب .

فى عام ١٩٩٧ قصفت القوات الأمريكية بالصواريخ السودان وأفغانستان بعد عمليتى السفارتين الامريكيتين فى نيروبى ودار السلام .

فى عام ١٩٩٨ قصفت القوات الأمريكية العراق لمدة ٤ أيام بعد أن منعت بغداد لجان التفتيش على الأسلحة من الدخول .

فى عام ١٩٩٩ قصف جوى أمريكى مركز ليوجوسلافيا فى نزاع كوسوفا .

فى عام ٢٠٠٠ هوجمت المدمرة كول فى اليمن .

فى عام ٢٠٠١ اشتركت القوات الأمريكية مع قوات الناتو فى نزع أسلحة الثوار الألبان فى مقدونيا .

هذا العام احتشدت القوات الأمريكية قرب افغانستان برا وبحرا وبدأت فى ضرب قواعد أسامة بن لادن وقوات حركة طالبان تحت زعم الرد على الهجمات التى وقعت فى نيويورك وواشنطن .

* * *

واليوم وكما يقول د. سمير أمين المفكر العالمى الاقتصادى المعروف ، فإن الولايات المتحدة تحاول ومنذ حرب الخليج الثانية (١٩٩١) عسكرة العولمة التى هى ديانة أمريكا والغرب الجديدة ، وأكد د. سمير فى ندوة عقدت مؤخراً بالقاهرة فى مركز الدراسات العربية أن استخدام أمريكا قبل ٢٠٠١/٩/١١م لما يمكن تسميته باليد الخفية للسوق بهدف فرض شروط العولمة الاقتصادية أصبح لا يجدى ، دون استخدام العنف العسكرى ، حيث حولت العولمة الجديدة نظم الحكم من سياسية الى عسكرية ، وكان الخطاب السائد حول العولمة أنها تتيح مزيداً من الازدهار لصالح الأغلبية ، وأضاف د. أمين أن تنفيذ الوصفة الليبرالية أضر بمصالح العمال والفلاحين والطبقات الكادحة وأدى الى زيادة الركود ، وانخفاض معدلات النمو والاستثمار بنسبة تصل الى ٥٠٪ . وأكد د. أمين أن الاقتصاد الأمريكى يعانى

من عجز فى ميزان المدفوعات الخارجية ، وانخفاض نسبة الادخار الى صفر ، وطبيعة الاقتصاد الأمريكى طفيلية اصطناعية مرحلية قائمة على امتصاص فائض الأموال فى الدول الأخرى ٠

وأشـــار د٠ سمـــير أمـــين (مدير معهد الأمم المتحدة للتخطيط والتنمية) الى أن الهيمنة الأمـــريكية قائمـــة عـــلى استغلال ميزتها الحقيقية لكونها دولة موحدة فى مواجهة أوروبا التى لا يوجـــد بيـــنها ســـوى جزء من التنسيق السياسى ، وهذا ما يفرض أمريكا كقائد للنظام الاستعمارى الجديد ، الذى تحاول أن تفرضه على العالم ٠

واســـتطرد د٠ أمين قائلاً : إن العولمة الاقتصادية تسببت فى مزيد من الفقر والتهميش والتفكك فى النسيج الاجتماعى ، وفقدان مصداقية السياسة والنظم والأحزاب داخل الدول الـــتى تتبنى الوصفة الأمريكية وتنفذها دون تحفظات ، فى حين نجد أن أمريكا لا تطبق نظرياتها الاقتصادية وكذلك بعض الدول التى شهدت نمواً فى الاقتصاد ٠

أكد د٠ سمير أمين أن خروج الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب العالمية الثانية متفوقة فى جميـــع المجـــالات ، كان خدعة لم تستمر طويلاً ، بدليل أن اليابان وبعض دول أوروبا مثل فرنســـا وألمانيـــا اســـتطاعت اللحاق بها والتفوق عليها فى فترة قصيرة جداً ، وبدأت مواقف الثالوث الأمريكى والأوروبى واليابانى تتقارب فى أبعادها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، واختفت النـــزاعات ٠ وطالب د٠ سمير أمين بضرورة ، بوجود استراتيجية لدى دول الجنوب تنبع من الواقع لمواجهة الهيمنة الأمريكية لتى تحاول فرضها فى ظل تفاقم الوضع الاقتصادى ، وفقـــدان الشـــرعية بين بعض النظم الحاكمة ، وطالب أيضاً بضرورة وجود حركات مناهضة للعولمة كما حدث فى جنوة وضرورة إنعاش مناخ مؤتمر باندونج وإقامة جبهة عالمية للدفاع عن حقـــوق دول الجنوب والتى لا تكون إلا بالبعد عن فكرة صراع الحضارات التى تحاول بعض الدول الترويج لها بعد حادث سبتمبر ٠

* * *

فى أجواء هذه العسكرة الأمريكية للعالم ، ولديانتها الجديدة (العولمة) ، عربدت إسرائيل وزادت مـــن سفك دماء الفلسطينيين ، بل وباركت الولايات المتحدة هذه العربدة ، ولم تفلح محاولات تجميل الوجه القبيح لنبى العالم الدجال الجديد (الولايات المتحدة) ، والتى كان آخرها (بالونة) الدولة الفلسطينية وأحاديث الساسة الأمريكيين الزائفة عن حربهم ضد الإرهاب فقط وليـــس ضد الإسلام بدءاً من بوش وكولن باول ورامسفيلد ، وآخرهم ذلك المستشار الذى

يتنفس الكذب وبلغة عربية تعلمها فى معامل المخابرات الأمريكية وهو يعمل فى وزارة الخارجية الـــذى تحدث عقب حديث أسامة بن لادن فى قناة الجزيرة مساء يوم ٢٠٠١/١١/٣م واسمه (كريســـــتوفر روس) ، ولكـــنهم فى الواقـــع وكما هو مشـــاهد ، يكذبون ، وينافقون ، ومن ثم تكتسب دعوة (بن لادن) لكراهية الولايات المتحدة وسياستها مصداقية وشعبية واسعة لأنهـــا تقـــوم عـــلى أساس من الواقع ، نشاهده يومياً ولا يحتاج الى فذلكة فارغة من وعاظ لسلاطين دعاة الإســـلام الأمريكى الذى آن له أن يختفى من حياة المسلمين . مع هذا العدوان الأمريكى الدائم والمستمر منذ قرنين من الزمان •

* * *

بعـــد كل ما سبق نعود الى السؤال الذى بدأنا به هذا البحث هل أخطأ (بن لادن) حين وقع فى حب فلسطين ؟ ، ونجيب عليه عبر نقطتين :

النقطة الأولى : طبعاً لم يخطىء بن لادن وأخطأ من خطأه . سواء من السلطة الفلسطينية أو الحكام العرب وسماسرتهم من مثقفين ورجال دين ، وإن كان الواجب الدينى والوطنى يدفعنا لأن نقول لـــ (بن لان) ولكل من يرى رؤيته من الإسلاميين . سواء من أهل السنة والشيعة إنه كـــان مـــن الواجب أن تكون فلسطين حاضرة فى ضميرهم وفعلهم السياسى والجهادى طيلة الســـنوات العشـــرين الماضية قبل وبعد أفغانستان ، لأنها قطب الرحى ومركز الصدام ، وإذا كانت الظروف الدولية والإقليمية لم تسمح لهم بذلك خلال السنوات الماضية فنظنها الآن وبعد أحـــداث ١١ ســـبتمبر / أيلول ، ملائمة للغاية كى تكون فى قلب فعلهم وعقلهم وضميرهم وجهـــادهم ، ومـــن ثم يكـــون وقوعهم فى حبها ، وقوعاً حقيقياً وليس مفتعلاً أو انتهازياً ، أو موضع اتهام . كما حاول بعض مسئولى السلطة الفلسطينية أن يصوروه •

الـــنقطة الـــثانية : أن أسامة بن لادن كان يعبر ، حتى لو كان غير صادق (كما يروج الـــبعض) عن إحساس الشعوب تجاه فلسطين وما يحدث فيها من مجازر ، وكان يعبر وبصدق (رغـــم خلاف الكثيرين معه من الناحية الإيديولوجية) عن ضيق الشعوب العربية والإسلامية مـــن نفاق حكامها ومثقفيها وعلماء الدين بها ، حين أمسك البعض منهم العصا من المنتصف ولم يعلـــنوا وبوضـــوح كامل العداء لأمريكا وأنها تشن بالفعل حرباً صليبية ظالمة ضد العرب والمسلمين منذ أكثر من خمسين عاماً ، وأنه إذا كان دم الأطفال العراقيين (مليون عراقى ماتوا منذ ١٩٩١ حتى اليوم بسبب الحصار والقصف الجوى الأمريكى) ودم الأطفال الفلسطينيين

(١٧٠) فقــط خلال الانتفاضة الأخيرة و١٥ ألف خلال الـ (٥٠ عاماً الماضية) ، رخيصاً بالنســبة لــلولايات المــتحدة وربيبتها إسرائيل ، فمن الواجب على الحكام وعلى وعاظهم ومــثقفيهم أن يعلــنوا أيضاً أن دم الأمريكيين أشد رخصاً ولا يستحق كل هذا التألم والنفاق السياسى والتبرع بالدم والوقوف دقائق حدادًا !!

وإذا لم يفعل هؤلاء ذلك ، وهم لن يفعلوا (للأسف) ، فمن حق أسامة بن لادن ، أن يقع فى حــب فلسطين ، وفى كراهية أمريكا وإسرائيل ، وأن يكتسب من حيث لم يرد .. تأييداً واسعاً لدى الشعوب المستضعفة ، ربما ليس حباً فى شخصه وفكره ، ولكن كراهية فى الولايات المتحدة وسياستها وعنصريتها وغطرستها الدائمة .

الفصل السادس

حروب أمريكا « الجديدة »

بدأت بحزب الله .. (فهل تنتهى) برأس الحكام !!

أن يتجرأ السفير الأمريكى فى بيروت (فنسنت باتل) ، ويستقل سيارته ، ويدخل الى مقر الحكومـــة اللبنانية ، ويتقدم الى رئيسها بطلب تجميد أرصدة حزب الله فى البنوك اللبنانية بناء على رغبة واشنطن فى محاصرة الإرهاب وتجفيف منابعه المالية ، على اعتبار أن (حزب الله) على رأس قائمـــة الإرهاب الأمريكية السنوية .. أن يفعل (باتل) ذلك ، دون أن يستشعر حرجاً أو تعـــلو وجهه حمرة الخجل ، بل ويتعمد لقاء رئيس الحكومة ، مرتين فى أقل من ٤٨ ساعة (يومـــى ٨و٩/١١/٢٠٠١م) ، فإن من الواجب علينا ، وكذا من واجب كل من خبر حزب الله ، وعـــلم حجـــم نضاله وتضحياته وأسماء شهدائه ، والتى عمدت أرض الجنوب ،بدمائهم الطاهرة طيلة ثمانية عشر عاماً من حرب تحرير شعبية ، وليست حرب إرهاب ..

مـــن حـــق (حزب الله) على هؤلاء جميعاً ، أن يهمسوا - (أو يصرخوا) ، كل حسب قدراتـــه ، وهـــامش حريـــته - فى أذن ووجه السفير الأمريكى وإدارته : أن اخجل قليلاً !! ويـــا حـــبذا لو تفضلت ، وفارقت منطقتنا بإرهابكم المنظم هذا ؛ الذى لا نرفضه فحسب ، بل نعاديكم بسببه ، وبسبب هذه الغطرسة والوقاحة السياسية التى تتميزون بها عن باقى دول العالم !!

ولكن ...

هل يفهم السفير الأمريكى ، لغة الكلام فحسب ، هل يجدى معه ومع إدارته لغة البيانات والاســـتنكارات ، ولغة إمساك العصا من المنتصف مثلما فعلت روسيا وفرنسا حين أبديا عدم الارتيـــاح لانفراد واشنطن بتحديد قوائم الإرهاب ، وقوائم تجفيف الينابيع المالية والبشرية ؟! وكأن الخلاف فقط حول (الانفراد) فى التحديد وليس حول (أحقية) التحديد و(شرعيته ؟!) .

الأمـــر فى ظنى ، يحتاج الى ما هو أبعد ، يحتاج الى فعل عربى (شعبى) وحكومى ، مضاد وواســـع ، يضـــع هذه الحرب الأمريكية الجديدة والتى تبشر بالمزيد ، فى إطارها الصحيح من التحدى ، ويعيد إنذار واشنطن بالطريقة الوحيدة التى ثبت بعد أحداث ١١ سبتمبر (أيلول) أنهـــا تفهمها : بأن ثمة آخرين فى هذا الكون خارج نطاق سيطرة الرب الأمريكى ،ولا يحبون إطاعته ، ويفتخرون بمعصيته،لأن فيها (جنتهم) باعتباره مسيخ العالم الدجال الجديد !!

وإلى إن يـــتم ذلـــك ، لـــنحرر المسألة (كما يقول علماء الأصول) ، ونحاول الاقتراب الصحيح منها ، علنا نتمكن من اكتشاف ، فعل ، يعطل جرأة (باتل) وإدارته ، ويوقف قليلاً حركتهما التى بدأت ، بحزب الله وحماس والجهاد الإسلامى فى فلسطين ، وغداً ستصل الى رأس بعـــض الحكام الذين لا يعجب الإدارة الأمريكية مثلاً ، شكلهم الشرقى ، أو موقفهم المستقل عنهم فى حملة مكافحة الإرهاب العشوائية تلك !!

* * *

أولاً : من الجائز – نظـــرياً – ، أن نقـــدر المعاناة الأمريكية من جـــراء ما حدث يوم ٢٠٠١/٩/١١م ، حين تحطمت رموز العولمة والهيمنة الأمريكية وراح معها ٥ آلاف أمريكى قتـــلى ، ومن الجائز – نظرياً – أن نتفهم ردود الفعل الأمريكية الطائشة بعد هذا اليوم ولعدة أيـــام تاليـــة ، ومـــن الممكن تبرير – نظرياً – أيضاً ، محاولاتهم العثور على مرتكب الحادث ومحاكمته وعقابه .

كل ذلك جائز نظرياً . . .

ولكن . . .

عمـــلياً ، لا يمكن تبرير أعمال الإرهاب المنظم الذى تقوده الولايات المتحدة وبريطانيا مـــنذ مساء يوم ٢٠٠١/١٠/٧م فى أفغانستان ضد أبرياء – بكل ما تعنيه الكلمة من معنى – فى كابول وقندهار ومزار الشريف وغيرها من مدن أفغانستان ، فهذه بلطجة سياسية ليس لها ســـابقة إلا فى حرب الخليج الثانية ؛ وهى تنفيس بغيض عن إحن عنصرية ، سماها دبليو بوش (بالحرب الصليبية) وهى إحن من الصعب علاجها بالترجى والحوار والمناشدة ؛ فهذا القصف الوحشى الدموى لا يمكن أن يرتكبه إلا شيطان خارج لتوه مطروداً من رحمة ربه .

كـــان بإمكان الولايات المتحدة لو أنها أرادت أن تواصل حكم العالم ، باعتبارها حاملة لــواء العولمــة ، أن تسعى بالسبل التى أقرها القانون الدولى ومواثيق الأمم المتحدة (الحقيقية) وليســت المصنعة خصيصاً لاصطياد الشعوب الفقيرة / المقاومة للعصر الأمريكى ؛ أن تسعى لإجراء محاكمة عادلة بعد تحقيق جدى وبالأدلة الدامغة (غير المفبركة !!) للمتهمين الحقيقيين فى أحــداث ١١/٩/٢٠٠١م ، ولأمكنها بذلك أن تضرب مثلاً فى التعالى على الجروح الذاتية مقــابل ســـيادة قيم العدالة والحرية واحترام إرادة الشعوب التى ظلت تنادى بها منذ حروب الاســتقلال قبل قرنين من الزمان ، ولكنها تعمدت أن تنتهج فلسفة حروب الغاب ، وتفرض هيمنـــتها بالقوة ، وليس بالقانون والحوار ، فكانت (واقعة أفغانستان) التى لا يزال الدم يجرى فيها ، بلا حساب أو رقيب .

إن أقصـــى ما يؤلم فى مشاهد الدمار والفقر التى تطالعنا بها الفضائيات ووكالات الأنباء العالمية من افغانستان ، هو أن ذلك كله يتم تحت شعار زائف اسمه مكافحة الإرهاب .. شعار يظلله دخان كثيف إعلامى / دعائى أمريكى لا مثيل له ، فأى إرهاب هذا وما نراه مجرد أبرياء يذبحون يومياً كأنهم خراف !! إن هذا الهجوم الإعلامى / الدعائى هدفه ، إعادة تشكيل العقل وتـــزييف الحقـــائق أمامـــه بعـــد أن شلت الإرادة والقدرات ، وكأننا فى مشهد عبثى جديد مـــن مشـــاهد رائعـــة جـــورج أوريـــل (١٩٨٤) التى تحولت فيها الحقائق الى (أكاذيب) ؛ و(الأكـــاذيب) الى (حقـــائق) واختلطت الأمور ، وطلب من المواطنين أن يصدقوا ما يرون ثم يكذبونه فى اليوم الثانى .. وهكذا !!

* * *

ثانياً : وعندما نبه العقلاء من مفكرى وسياسيى العالم الى ان ما يجرى ليـــس له (نهاية) وإن عـــلمت (بداياته) ، وأنه مثل حبات المسبحة ، سوف يكر (عنصريته) و(إحنه) تباعاً على رأس العـــالم ، وبـــالذات العالم الإسلامى ؛ كانوا على حق ، فما أن هدأت – نسبياً – ردود الفعـــل عـــلى إرهاب الدولة الامريكى فى أفغانستان (بعد مرور شهر وأسبوع على الضرب المتواصل) إذ بنا نفاجأ بالإدارة الأمريكية التى يسيطر عليها اللوبى اليهودى / الصهيونى ، تسفر عـــن أهدافهـــا الحقيقيـــة ووجههـــا القبيح الذى حاولت أن تجمله خلال الشهر الماضى عبر التصريحات الهادئة لفريق الرئاسة الأمريكى التى وضع لافتة ثابتة للتجميل يقول مضمونها (نحن لا نستهدف محاربة الإسلام) بل محاربة (الإرهاب الذى يلتحف بالإسلام كرداء) وكان أول

موقف عملى لهذه الإدارة يظهر نياتها الحقيقية هو التحرك تجاه حزب الله ، والمطالبة بكل وقاحة أمـريكية اشـتهرت بهـا منذ عصر رعاة البقر قتلة الهنود الحمر ؛ بأن تقوم الحكومة اللبنانية بمصادرة ممتلكاته وأرصدته فى البنوك اللبنانية .

كـان الـبعض يبرر للولايات المتحدة ، قبل شهر مضى ، أن تقوم بضرب معاقل تنظيم (القاعدة) الذى نفذ - وفقاً للادعاءات الأمريكية - هجوم ٢٠٠١/٩/١١م ؛ وكان البعض الآخر يبرر ضرب حركة طالبان باعتبارها الحاضنة السياسية والعسكرية لتنظيم القاعدة ، ولكن لم يكـن أحـداً يتصور أن تبدأ وبهذه السرعة ، حركة الولايات المتحدة تجاه جماعات المقاومة العربية ، بل وأن تبدأ بأبرزها وأشرفها وأكثرها رصيداً محترماً فى الضمير العربى والإسلامى : حزب الله .

وكأن الولايات المتحدة ، تريد - عبر إدارتها اليهودية - أن ترفع وبوضوح برقع الحياء، والتجميل ، دفعة واحدة ، وفى صدمة مباشرة للحكام العرب - المعتدلين - قبل شعوبهم غير المعتدلة !!.

إن اخـتيار (حزب الله) لتبدأ به الإدارة الأمريكية معركتها ضد المنطقة العربية ، وكونها تنزل به من مجرد (رقم) على (قائمة مقاومة الإرهاب السنوية) الى (حالة) مطلوب اتخاذ موقف مـالى ثم سياسى منها ، يؤكد أننا أمام فعـل أمريكى مدروس ومخطط له ، وإن غلفته الوقاحة الأمـريكية المعتادة ، وهو فعل يبدأ هذه المرة بحزب الله ، فإن قـدر له المـرور ، فقد يصل إلى حكام، وأنظمة لا تروق له .

* * *

ثالثاً : ولكن السؤال الذى يعنُّ للمراقبين المحايدين الآن هو : من وراء هذه التحركات والحروب الأمريكية المفاجئة والجديدة ؟ لقد قلنا من قبل إن هناك لوبى يهودى داخل الإدارة الأمـريكية ، ونـزيد اليوم أن هذا اللوبى يتشكل من الرئيس جورج بوش (الذى يحسب قلباً وقالـباً عـلى الـلوبى اليهودى) ديك تشينى نائب الرئيس - كولن باول وزير الخارجية - كونداليـزا رايـس مستشارة الأمن القومى - بول وولفوفيتز نائب وزير الدفاع - ريتشارد أرميـتاج نـائب وزيـر الخارجية - ريتشارد هاس مساعد وزير الخارجية لتخطيط السياسة فى وزارة الخارجيـة - آى . لويس ليجى مدير مكتب نائب الرئيس ديك تشينى - ريتشارد

بيـــل رئيس مجلس سياسة الدفاع (وهى هيئة استشارية هامة من خارج الإدارة) بالإضافة الى آخرين فى مواقع أخرى مؤثرة كأجـــهزة المخابرات (C-I-A) والـــ إف – بى – آى •

هذا اللوبى (اليهودى) لا تهمه مصلحة الولايات المتحدة ولا مصيرها ، أو سمعتها ، بقدر مـــا يشغلهم المصلحة الإسرائيلية ، إذ بأقل حسبة عقلية فان التحليل السياسى الهادىء يقول إنـــه ليـــس من مصلحة الولايات المتحدة الآن – ولا حتى مستقبلاً – افتعال أزمة مع الدول المحيطـــة بالكيـــان الصهيونى ، وبجماعات المقاومة المشروعة التى تساندها وأن افتعال مثل هذه المعارك ، سوف يفقدها حلفاء كثر فى معركة (مقـــاومة الإرهـــاب العالمى) المنصوب سركها الآن فى أفغانستان •

وأنـــه أيضاً وبحسبة عقلية بسيطة ، عندما يتم وضع حزب مثل (حزب الله) على قوائم الإرهـــاب وهـــو الحـــزب الذى يكتسب احتراماً هائلاً على الصعيد الرسمى والشعبى عربياً وإســـلامياً ، ولا نبالغ إذا قلنا إنه الحزب الوحيد عربياً الذى يحتل هذا الموقع المحترم بين كافة الأحـــزاب العـــربية المقاومة وغير المقاومة ، إن وصفه أمريكياً بهذا الشكل ؛ سوف يضع من يعاديـــه فى خانـــة أعـــداء هذه الأمة – حتى لو رفع رايات كبيرة تبدو عادلة مثل (مكافحة الإرهاب)، وسيسأل الرأى العام ساعتها ، إذا كان عمى الألوان والحول السياسى لدى الإدارة الأمـــريكية قـــد وصل الى حد (حزب الله) ، وأرصدته التى توجه الى أسر الشهداء والأعمال الخيرية وأعمال المقاومة المشروعة فى الجنوب اللبنانى وليس فى الجنوب الأمريكى . إذا كان هذا هـــو الحال مع حالة مقاومة واضحة وجلية بهذا الشكل ، فمن سينقذ الآخرين من براثن هذا العمـــى ، والآخـــرون حـــتماً فى منـــزلة أقل وضوحاً من حالة حزب الله ، سواء فى مقاومته أو خطابه السياسى المعتدل الذى يجعل حتى القوى العلمانية العربية تلتف من حوله !!

* * *

رابعاً : ثم دعونـــا نسأل الإدارة الأمريكية التى طالبت بتجفيف منابع حزب الله المالية باعتـــباره حـــزباً إرهابيـــاً ، ما هو حدود تعريفها لكلمة (الإرهاب) والفرق بينها وبين كلمة (المقاومة) ؛ حتماً لا إجابة لديها ، فالكل فى سلة واحدة ؛ إن مجرد التدقيق فى أسماء الجماعات الموضوعة على لائحة الإرهاب الأمريكية الأولى يكشف عن أن هناك ١٦ جماعة مقاومة عربية وإسلامية اصطفت جنباً الى جنب مع جماعة (كاخ الإسرائيلية) وإيتا الأسبانية وغيرها !!

إن هـــذا الخـــلل فى الفهم وفى النظر الى جماعات المقاومة يستدعى منا أن نقول للإدارة الأمريكية ولسفيرها القلق والمتجول فى بيروت ، إننا عرباً ومعنا (حزب الله) ، نعرف الإرهاب بأنـــه ذلـــك [الفعل الهمجى غير المنظم الذى يستهدف تحقيق مصالح سياسية عبر استهداف مدنيـــين عـــزل] وأنه يندرج من حيث مستخدمه من إرهاب فردى الى إرهاب جماعة أو فئة أو حتى طبقة ، الى إرهاب دولة بكاملها ، وإن توسله لتحقيق أهدافه دائماً يكون عبر أساليب غـــير كـــريمة تقوم على التفزيع والغدر والعنف الأعمى ، وهو يؤدى الى حلقات متتالية من إرهاب مضاد يستتبعه إرهاب جديد وهكذا .

أمـــا المقاومة (أو ما يحلو للبعض تسميته بالإرهاب الإيجابى قياساً على الإرهاب السلبى سالف الذكر) فهى مشروع استنهاض ومواجهة للظلم بكافة أشكاله وللاستبداد بكافة أنوعه [الفـــردية أو الطائفيـــة أو الحكومية] ، والمقاومة عادة تتوسل بالأساليب النضالية الكريمة لـــتحقيق أهدافهـــا ، وهى حين تنطلق تبنى لها خطاباً شاملاً وإنسانياً ، غير متصادم مع حقائق الـــتاريخ والواقع ؛ المقاومة فعل ملزم حين تُحتل الأرض أو تتعرض الكرامة الإنسانية للإذلال أو تغتصب الحقوق وتُمان المقدسات .

وفى موروثنا الإسلامى ، المقاومة أو (الإرهاب الإيجابى) مطلوبة لمواجهة أعداء الله وأعداء الأمـــة [وأعـــدوا لهـــم ما إستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم]، والـــتحريض على المقاومة والمواجهة لهؤلاء الأعداء فريضة قرآنية [يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال] والذى هو فى قمة فعل المقاومة التى تبدأ بالكلمة المحرضة الشاحذة للهمم وتنتهى بالنضال المسلح ..

وفى واقعـــنا المعاصـــر وبعـــد أحـــداث واشنطن ونيويورك ٢٠٠١/٩/١١م وأحداث أفغانســـتان ٢٠٠١/١٠/٧م ، صـــارت المقاومة للمشروع الأمريكى الصهيونى المعتدى على أمتنا ، فرض عين على كل من يقدر ، وفى المكان الذى يستطيع ، سواء فى مصر أو فى فلسطين (التى هى مركز المقاومة العربى المعاصر بإطلاق) ، أو فى لبنان والتى يعد حزب الله أبرز وأكمل نمـــوذج لمفهـــوم المقاومة كما عرفناه ، وأكثرها بعداً عن مفهوم الإرهاب كما عرفه حتى أشد مخالفيه فى الرأى .

* * *

خامساً : والسؤال الآن •• هل سينجح هذا اللوبي فيما يخطط له ؟ تقول المعلومات حتى الآن إن حكومات السعودية ومصر وسوريا والعديد من الدول العربية قد استنكرت هذا الفعل الأمريكى الذميم ، لأنه فعل لا يفرق بين (المقاومة) الوطنية المشروعة والتى يقف على رأسها حزب الله وبين (الإرهاب) ، ولكن رفض هذه الحكومات ومواقفها – مع كامل التقدير له – لن توقف حركة الثور الأمريكى الهائج الذى يقف على رأسه لاعب (إسرائيلى) مغامر يتقن لعبة مصارعة الثيران ، والمطلوب تحرك عربى جاد ، وفى تقديرنا أن هذا التحرك ينبغى له ان يبدأ بمثلث (النفط – المقاومة – المقاطعة) •

فالضلع الأول (النفط) ، لم يستخدم منذ ٢٧ عاماً (منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣) ، وآن له أن يستخدم ولو على سبيل التلويح ، صحيح هناك صعوبات تقف حائلاً دون ذلك بعضها داخلى خاص ببلاد النفط وتبعيتها المفرطة للمشروع الأمريكى ، ولكن ماذا لو تم التلويح به ، ومحاولة استخدامه (بمعنى إيقاف ضخه) على الأقل خلال شهر رمضان ، رداً على استمرار الضربات الأمريكية خلال هذا الشهر الكريم ، وتعمد الإدارة الأمريكية الاستخفاف بالرأى العام العربى والإسلامى والقول بجواز الضرب والقتل ، وكأن بوش ورامسفيلد وكولن باول قد صاروا يفقهون فى الإسلام أكثر من علمائه !!

ماذا ولو جعلت بلاد النفط المحافظة والثورية (وآه من الأخيرة ورطاناتها التى لم تعد تفيد أحداً) من شهر رمضان ، شهر (صيام عن ضخ النفط) الى بلاد تستخدمه فى قتل المسلمين والتلويح بقتل آخرين وتجفيف ينابيعهم المالية والبشرية !!

أما الضلع الثانى فى المثلث : فهو بضرورة تصعيد المقاومة الشعبية ضد المشروع الامريكى / الصهيونى فى المنطقة ككل والدعم المباشر للمقاومة فى لبنان وفلسطين لمزيد من العمليات النوعية ضد ركائز هذا المشروع وبالذات فى فلسطين المحتلة ، وعندما تنطلق المدافع فإن تحركات (باتل) وترهات إدارته ، سوف تتوقف مباشرة ، إذ لا صوت سيعلو فوق صوت الحقائق ، حقائق المقاومة فى مواجهة إرهاب الدولة الصهيونى •

أما الضلع الثالث فهو تقوية سلاح (مقاطعة البضائع والشركات الأمريكية) فى البلاد العربية ومعه سلاح (مقاومة التطبيع) ، فهذان السلاحان من أمضى الأسلحة الشعبية العربية ، وهما سلاحان متداخلان كأنهما واحد ، وهما سلاحان مجانيان ، يمكن استخدامهما دون الذهاب الى جبهة القتال ، ويمكن التعامل بهما دون الوقوع تحت طائلة قوانين الطوارىء

فى البلاد العربية ، وهما من الأسلحة التى تستطيع كافة الأعمار حملها واستخدامها ، فمقاطعة سلعة أمريكية ، فضلاً عن كونه يؤدى الى تقوية الصناعات الوطنية وينمى الروح الاستقلالية فإن الطفل الصغير - كما الشيخ والمرأة - يستطيع القيام به دون معاناة أو أعباء ، وهى أسلحة تنتج آثاراً إيجابية طويلة المدى تصب فى خانة المساندة الجادة لمشروع المقاومة فى مواجهة مشروع الهيمنة الأمريكى / الصهيونى الذى يحاول فرض أجندته الخاصة على الأمة ، كل صباح ، وبدون حياء .

* * *

إننا نطالب عقلاء الأمة من حكام أولاً بالانتباه واليقظة لما يحاك لهم ولبلادهم رغم كل ما قدموه ويقدمونه من خدمات وتبعية كاملة الأوصاف للصديق الأمريكى ، ونطالب كافة قوى المجتمع المدنى العربى والإسلامى على تنوعها أن تتصدى لهذه الحرب الأمريكية الجديدة ، لأنها وان كانت قد بدأت بحزب الله فهى لن تتوقف عنده . حيث هذه التحركات الأمريكية الأخيرة التى بدأت بسفيرها فى بيروت ، إن لم تقابل بقوة وبمواقف علنية جادة ، فإنها ستطالنا جميعاً ، وإذا قدر لهذه التحركات أن تنجح - لا قدر الله - فى لبنان أو فلسطين ، فإنها سوف تمتد الى مصر والسعودية والمغرب العربى ، ولن يكون ثمة رادع لإيقاف همجيتها المبرمجة صهيونياً والمنضبطة على ساعة مصالح الدولة العبرية فى المنطقة ، وهى دائماً ساعة خربة لا قيمة للزمن - كما الأرواح البشر وحقوقهم - لديها .

الجزء الثالث

شـــهـادات ووثـــائـــق

الشهادات : خمس شهادات لـ ٥ مفكرين غربيين عن الأزمة ومستقبلها

الوثائق : ١٦ وثيقة عن أمريكا ـ الحرب ـ أفغانستان وهى :

الوثيقة (١) : نص رسالة الخاطفين المفترضين للطائرات المنفذين للعمليات فى واشنطن ونيويورك والتى نشرتها السلطات الأمريكية يوم ٢٠٠١/٩/١١م .

الوثيقة (٢) : وصية محمد عطا (المفترضة) .

الوثيقة (٣) : نص كلمة بن لادن فى أول يوم للحرب : لا أمن لأمريكا قبل أمن فلسطين .

الوثيقة (٤) : نص كلمة أيمن الظواهرى فى اليوم الأول للحرب .

الوثيقة (٥) : نص كلمة سليمان أبو غيث المتحدث الرسمى باسم التنظيم .

الوثيقة (٦) : بيان جديد (للقاعدة) يهدد بعاصفة للطائرات جديدة على أمريكا .

الوثيقة (٧) : بيان جماعة (علماء المسلمين) فى أوروبا ضد الهجمات على أمريكا وتدين تنظيم القاعدة وأيضاً ضد السياسات الأمريكية فى العالم العربى .

الوثيقة (٨) : قائمة المنظمات الموضوعة على لائحة الإرهاب الأمريكية .

الوثيقة (٩) : قائمة أمريكية أولى بالمطلوب عملياً تجميد أرصدتهم المالية فى الولايات المتحدة .

الوثيقة (١٠) : الحصيلة الاقتصادية لخسائر الاقتصاد الأمريكى بسبب الهجمات .

الوثيقة (١١) : المهاجرون المصريين إلى الولايات بين عامى ١٩٨٨و١٩٩٨ .

الوثيقة (١٢) : التوزيع العرقى فى أفغانستان .

الوثيقة (١٣) : وثيقة بلير : وثيقة بريطانية من ٢٠ صفحة تورد أدلة مزعومة على تورط (القاعدة) .

الوثيقة (١٤) : القائمة الأمريكية الثانية الجديدة الخاصة بتجميد الأرصدة فى العالم (قائمة الـ ٦٢).

الوثيقة (١٥) : أحدث بيانات (الظواهرى) : القضية الفلسطينية هى محور الصراع .

الوثيقة (١٦) : الحوار الأخير مع (بن لادن) الذى أعلن فيه امتلاكه للأسلحة النووية والكيميائية .

شهادات غربية محايدة فى الحدث

(١) مؤشرات على يقظة الضمير الأمريكى

رسالة بول فندلى إلى الرئيس الأمريكى بعد الأحداث

هــذا هــو نص الرسالة التى وجهها بول فندلى عضو الكونجرس السابق (١٩٨٣) إلى الــرئيس جــورج بــوش ونصــحه فيها بالاعتراف بدولة فلسطينية مستقلة وبغير ذلك فقد لا ينتهى الإرهاب . الجدير بالذكر أنه قد نشر منذ أسابيع كتابه الأخير بعنوان " لا سكوت بعد اليوم " يدافع فيه عن حق الفلسطينيين بدولة مستقلة وبفضح الأساليب الإسرائيلية وسبق لـبول فـندلى ان أصــدر كتابين يتعلقان بالصراع العربى الإسرائيلى أحدهما بعنوان " مجابهة التصورات الأمريكية الكاذبة عن الإسلام " وقام بتقديم نسخة منه إلى الرئيس بوش عندما قام بــوش بــزيارة المركــز الإسلامى فى واشنطن مؤخراً لطمأنتهم بأن مكافحة الإرهاب لا تعنى مضايقة المسلمين فى أمريكا ، وفيما يلى ترجمة الرسالة :

السيد جورج . و . بوش المحترم

رئيس الولايات المتحدة

البيت الأبيض دى . سى ٢٥٠٠ واشنطن

عزيزى الرئيس بوش

لــتعزيز ومساعدة حملتكم المهمة والملحة ضد الإرهاب أقدم اقتراحاً ينطلق من اختبارى ومعــرفتى بالإرهــاب فى الشرق الأوسط طيلة " ٣٤ " سنة ، الست عشرة سنة الأولى منها كعضو جمهورى فى الكونجرس .

أقــترح أن تظهر اهتمامك برخاء الفلسطينيين ، وتستطيع أن تظهر ذلك على وجه كما اعتقد بأن تعلن دعم الولايات المتحدة لدولة فلسطينية مستقلة وقادرة على الاستمرار ، إن من شــأن ذلك أن يؤدى إلى تدفق العواطف والتعاطف مع حملتك ضد الإرهاب من قبل شعوب كــثيرة حــول العالم ، وخاصة فى الشرق الأوسط وجنوب آسيا ، حيث الحاجة ماسة لدعم حملــتك ، إن هــذه الشــعوب وبعضهم من المسئولين الحكوميين يعتقدون أنه تم تجاهل الفلســطينيين طويــلاً وأن التاريخ ظلمهم وأنهم جديرون بالكرامة والمواطنة الكاملة فى دولة

خاصــه بهــم ، وسيؤدى بيانك وسيكون الاول من نوعه يصدره رئيس أمريكى إلى نشر الفرح مع أن هدف الدولة الفلسطينية المستقلة قد لا يتحقق فى المستقبل القريب .

كـــانت الإدارات الأمـــريكية السابقة قد تركت مسألة الدولة الفلسطينية للتفاوض بين الفلسطينيين والإسرائيليين لكن أحداث الحادى عشر من أيلول تؤكد بأن هذه السياسة عفى عليها الزمن وغير كافية .

إن بيانك سيؤدى فوراً إلى تعزيز جهود مكافحة الإرهاب لأنه سيقدم للفلسطينيين أملاً حقيقيــاً لتحقيق العدالة وانتهاء الاحتلال ، إن دعم وتأييد دولة فلسطينية مستقلة ينسجم مع تعهـــد أمريكا بالتساوى فى الحقوق بين كافة الشعوب ومبدأ حق تقرير المصير ، ويعتمد البيان أيضــاً عــلى أسس أخلاقية وقانونية ، ويمكن تبريره كضرورة عسكرية وهى الحجة الرئيسية الــتى اعــتمدها إبراهام لنكولن فى وقت مبكر للخطر القومى الداهم عندما أعلن قرار تحرير الزنوج .

إن تــزويد الفلســطينيين بأمل للمستقبل سيعزز جهودك فى مكافحة الإرهاب اليوم ، ولا يمكن اعتبار بيانك على أنه خضوع للإرهابيين . بل على العكس سيقابل بالترحيب فى كل مكان على أنه تحسن طال انتظاره فى سياسة أمريكا الشرق أوسطية ، وسيؤدى بيانك الداعم لانشاء دولة فلسطينية إلى :

١ – إعجاب الكثير من الإسرائيليين وربما أغلبيتهم ، خاصة وقد أدركوا الآن بأنهم لن يتمكــنوا من الراحة الحقيقية إلا بعد أن يحصل الفلسطينيون على المواطنة الكاملة فى دولتهم الخاصة .

٢ تقــليص – إن لم يكــن وقــف الاشــتباكات المميــتة والمتبادلة بين الفلسطينيين والإسرائيليين – وسيوفر البيان للشعبين أملاً مشرقاً بحياة أكثر هدوء وسعادة بحيث يمكن تأمين الأمــن – بدعم من الولايات المتحدة – لكل من إسرائيل ودولة فلسطين الوليدة ، ولا يوجد أى تناقض بين صداقة وتأييد أمريكا لإسرائيل وبين دعم أمريكا للدولة الفلسطينية .

٣ بهجــة الملايــين من الناس لأن البيان يدعم حكم القانون ، إن الشعوب من كافة الأديان والمذاهب تشعر بالقلق من تأييد أمريكا غير المشروط لحكومة كثيراً ما تنتهك القانون الدولى وتستخدم الأجهزة العسكرية التى زودتها بها للسيطرة على أراض احتلتها بقوة السلاح،

وفى كل مرة تنتهك فيها إسرائيل القانون الدولى سلطتها الأخلاقية تتقلص ونتيجة لتواطئنا معها تتقـلص سلطتنا الأخلاقية أيضاً ، وعندما تدعو أمريكا إلى دولة فلسطينية مستقلة فإنها تكسر هذه الحلقة المفرغة .

٤ تقـليص العـداء ضـد أمريكا وتوفير توازن مهم لسياسة حكومتنا فى استخدام السـلاح ، وثمة اعتقاد واسع الانتشار بأن الخطط الشريرة التى أدت إلى التفجيرات الإرهابية فى الحادى عشر من سبتمبر كان من ضمن حوافزها ولو جزئياً الغضب من أمريكا لدورها فيما يتعرض له الفلسطينيون .

إن دعـم أمريكا لدولة فلسطينية شيء حتمى وينبغى الإعلان عنه الآن . لأن من شأن ذلك مساعدة أمتنا فى محنتها وتبديد المشاعر الخطرة التى ظهرت ضد العرب والمسلمين فى هذه البلاد وضد الأمريكيين فى البلاد الأجنبية .

وثمة ملاحظة أخيرة .. ففى تعليق خاص بعث به الرئيس داويت أيزنهاور عام ١٩٦٢ قـال .. "يبدو أننا نميل لمعالجة الأمور الملحة وترك الأمور المهمة إلى الغد" ولأجل بلادنا لابد من الاعتراف الواضح بحقوق الفلسطينيين الآن قبل الغد .

سـيادة الرئيس : أنا أريد المساعدة وأرفق لكم خلاصة خبراتى فإذا ما طلبت من أحد مساعديك الاتصال بى فسأكون شاكراً .

المخلص

بول فندلى

(٢) هوامش على دفتر الانفجارات الاخيرة
الدجاج يعود إلى قنّه

نورمان فنكلستين (*)

تستثير أحداث الثلاثاء فى ١١ أيلول على الفور مشاعر الصدمة والرعب والخوف ولكنها لم تكن كارثة طبيعية . إعصاراً أو انفجاراً بركانياً ، وكلاهما يستثير المشاعر ذاتها بالطبع ، بل ان كارثة الثلاثاء كانت ذات دلالات سياسية أيضاً ، ولكى أشرح السبب أود أولاً أن أقارن ما حصل بحادثة اخرى .

لقد كان اغتيال كنيدى بالنسبة إلى جيلى ما سيكونه الثلاثاء الفائت بالنسبة اليكم من الآن فصاعداً ، بل الحق أن اغتيال كنيدى افتقر إلى الدلالات السياسية ، فقد كان فى النهاية أقرب إلى أن يكون مأساة عائلية ، والمقارنة التى اقترحها إنما هى مع حادثة ذات صلة بذلك الاغتيال ، فبعد أن قتل كنيدى استحضر الزعيم الأفريقى الأمريكى مالكوم إكس تعبيراً يقول " الدجاج يعود إلى قنه " وهذه الاستعارة أثارت غضباً شعبياً عارما وأدت إلى طرده من تنظيم " أمة الإسلام " وما عناه مالكوم اكس ، بالطبع هو أن العنف الذى تمارسه الولايات المتحدة بشكل عشوائى على الآخرين قد ارتد عليها الآن .

ليس ثمة فى هذه القاعة من هو أكثر منى الما وكربا نتيجة للجريمة المروعة والضخمة التى ارتكبت فى ذلك الثلاثاء ، فعدد كبير من تلاميذى - المستقبل - كانوا يعملون فى مركز التجارة العالمى ، ويرجح أن يكونوا اليوم موتى تحت الأنقاض ، وهناك أصدقاء لى لم أتمكن من الإتصال بهم ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى جيرانى فى بنايتى ، وكان مركز التجارة العالمى مبنى طويلاً جداً ، ولو قام النيويوركى بجردة بالنيويوركيين الذين ارتبطوا يوما ما بهذا المركز لكانت هذه الجردة بالغة الطول ، ولكن بعيداً عن الغضب المبرر والأسف المبرر أرى أننا مسئولون عن التفكير فى ما يتعدى هذا الحدث لكى نستجلى مغزاه ، ومسئولون أيضاً عن بذل أقصى جهدنا لمنع تكرار هذا الرعب .

(*) هوامش : أدلى بها هذا المثقف الأمريكى البارز بعد يومين فقط من وقوع أحداث ١١ سبتمبر وذلك فى جامعة ديبول فى شيكاغو ، وفنكلستين صاحب كتب عدة أشهرها (صناعة الهولوكست) الذى صدرت ترجمته العربية منذ أشهر عن دار الآداب فى بيروت .

كثير من الحاضرين فى هذه القاعة لن يحبوا ما أنا على وشك قوله ، ولكن المخاطر المحدقة أعظم من ان تقتصر على الأكاذيب ، فالآن أكثر من أى وقت مضى ، علينا ان نقول الحقيقة (كما نفهمها الآن) بغض النظر عن تبعات ذلك .

الجواب السهل عما حدث يوم الثلاثاء هو أن نكتفى بهز رؤوسنا غير مصدقين ما ارتكبه أولـئك المجـانين - المعـتوهون - المتعصبون - الأصوليون الشرق أوسطيون - العرب - المسلمون - إلى ما هنالك من نعوت ، وأن نختزلهم بوصفهم جنساً مختلفاً عن جنسنا نحن ، بل أن نقـول إنـه أدنى مـن جنسنا بعدة درجات ، ولكن رداً أصعب إنما يتمثل فى أن نعترف بالإنسان داخل هؤلاء الناس ، وأن نقر معاناتهم والمهانة التى يقاسونها ، غير أن الرد الأقسى هو أن ننظر نظرة فاحصة إلى أنفسنا وإلى مسئوليتنا عن عذابهم .

فى حزيـران الماضـى زرت - كما هى عادتى كل عام تقريباً - أصدقاء فلسطينيين فى الضـفة الغربية وغزة المحتلتين من قبل إسرائيل ، وللمرة الأولى منذ عقد كامل من زيارتى إلى هـناك ألاحـظ تغـيرا نوعيا فى المشاعر الشعبية ، فأصدقائى الفلسطينيون باستثناءات قليلة يدعمـون الآن العمليات (الإرهابية) ضد المدنيين الإسرائيليين (كنت قد وصلت بعيد انفجار الديسكو فى إسرائيل) وإذ لم يسعنى أن أوافق على تغيير موقفهم هذا ، كان فى وسعى أن أفهم - دون أن أدعـم - اسـتهداف المدنيين ، وحذرت أيضاً أن هذا سيكون كارثة من الناحية العملية، ذلك لأن عمليات الإرهاب الفلسطينية ستستدعى فى النهاية ضربة إسرائيلية انتقامية ساحقة ، وستزول فلسطين ، فماذا كان رد فعل أصدقائى ؟ بعد عقود من المعاناة التى لا يمكن تحملها ، لم يعد هؤلاء الفلسطينيون يأبهون للأمر ، لم يخفهم تحذيرى ، أحد الفلسطينيين من رفح كرر مرة بعد مرة " أن نكون أو لا نكون " واستحضر فلسطينى آخر قصة شمشون والهيكل ، لقـد كان الفلسطينيون على استعداد للموت وعلى استعداد لأن يصطحبوا معهم إلى الموت أكبر عدد يستطيعون اصطحابه من قامعيهم الإسرائيليين أو يصعب تفهم موقفهم ؟

كانت أمى من بين الناجين من جيتو وارسو ومن معسكر مايدنك ، وقد سألتها ذات مرة رأيهـا حـين كـانت الأخبار تتسرب أثناء الحرب العالمية الثانية ، ومفادها أن الروس كانوا يقصـفون المدن الألمانية خبط عشواء ملحقين الموت بأعداد هائلة من المدنيين ، فأجابتنى دون تردد " كنت أريد أن يموت الألمان ، كنت أعلم أننى لن أعيش ، فأردت أن يموتوا هم أيضاً ، كنا نهلل للروس ، كنا نريدهم ان يدمروا كل ما هو ألمانى ، أيا كان ، كنا نتمنى لهم الموت كل لحظة فى اليوم ، لأننا كنا نواجه الموت كل لحظة فى اليوم " .

إن حكومة الولايات المتحدة ، وهى حكومة نتحمل كلنا مسئولية أعمالها ، تسبب البؤس والرعب مباشرة وبصورة غير مباشرة ، لأعداد ضخمة من البشر ، والبؤس والرعب ، سواء أكانـا ماثـلين فى التدمير المنهجى للبنان عام ١٩٨٢ أم فى العراق عام ١٩٩١ أم فى صربيا مؤخـراً يتسـمان بالنسبة إلى معظمنا بواقعية ألعاب الفيديو ، ففى هذه البلدان كان ثمة قتل جمـاعى دونما تبعات تصيب الأمريكان ، لقد كان الأمر مسلياً لنا إلى حد كبير ، ولكننا الآن نحصد الزوبعة المروعة التى زرعناها .

مـنذ نهايـة الحرب العالمية الثانية لم تواجه أمريكا أى أعداء حقيقيين ، أو هى - فى كل الأحـوال - تحمـلت التهديدات التى تصيب مصالحها القومية ، وكان الاتحاد السوفيتى قوة محافظـة ، بـل كان أساساً - كما يتضح يوما بعد يوم وبشكل مثير للاحباط - قوة موازية للولايات المتحدة فى الشئون الدولية (لن يمر وقت طويل حتى نتطلع بحنين إلى المؤامرة الشيوعية العالميـة) فى جـنوب شرق آسيا وفى أمريكا الوسطى حاربت أمريكا معارك مباشرة ، وعبر حـلفائها ، ولكـن لم تكـن ثمة مصالح أمريكية حيوية فى دائرة الخطر ، ومنذ سقوط الاتحاد السـوفيتى بات أعداء الولايات المتحدة الرسميون (كالعراق وليبيا وإرهابيى المخدرات) بعابع وتـلفيقات استحضـرناها نحن بأنفسنا لنبرر - من ضمن أمور أخرى - ميزانيتنا العسكرية المتصاعدة أبداً .

لقد نظرت الولايات المتحدة بارتياح وإعجاب إلى منزلتها الجديدة كقوة عظمى لا شريك لهـا ، وراحـت تتصرف بغرور وتيه يأخذان الأنفاس ، فرفضت مؤخراً محكمة دولية لجرائم الحـرب ، ورفضـت اتفاقاً على وقف الحرب الجرثومية ، وانسحبت من معاهدة كيوتو ومن مؤتمر دربان ، وسعت إلى تفكيك معاهدة الصواريخ الباليستية المضادة ، وهلم جرا - واللائحة طويـلة والافتراض حتى الآن هو أن لا ثمن ينبغى للولايات المتحدة أن تدفعه مقابل كونها قوة عظمـى لا شـريك لها ، بل بإمكانها أن تفعل ما تشاء ، وبحصانة تامة ، ولكن يبدو أن على واشنطن أن تعيد الآن التفكير فى هذا الافتراض .

غـير أن الانخراط فى التفكير الجدى والصعب يجب ألا يقتصر على قادتنا فى واشنطن ، وإنمـا عـلى كـل واحد منا أن يفكر مليا فى حياتنا ، فالحق أن معظمنا تصرف وكأن لا عالم موجـوداً خارج الولايات المتحدة ، ولسان حالنا أنه إذا كان كل الآخرين يريدون أن يكونوا مثلنا فلا ينبغى أن نعرف وأن نهتم ببلدان العالم من حولنا الا لتمضية عطلة محتملة فيها ، لم نبال

بقــراءة الجـــرائد ، وبالتأكيد لم نضيع وقتنا فى تعلم لغات أجنبية ، ولسان حالنا يقول " ألا يــتحدث كــل انسان فى العالم اللغة الإنجليزية ؟ (وحدها الدولة المسممة بداء الغرور المفرط تســتطيع أن تنتج حركة جاهلة عنيدة لا تسمى " الإنجليزية " أولا على ما فى ذلك من جهل وعــناد ، بل " الانجليزية " فقط ؟ ما لدينا من المشاكل كان أعظم من أن يدفعنا إلى الاهتمام بمشـــاكلهم هم ، ولكن يوم الثلاثاء انهار العالم على رؤوسنا ، وعلينا الآن أن نهتم بمشاكلهم وإلا . بـــل إن علينا ألا نقوم بذلك وكأنه فعل خيرى ، وإنما بوصفه ضرورة لبقائنا على قيد الحياة .

إنـــه ليـــبدو لى حقاً أننا نحتاج إلى أن نسأل أصعب الأسئلة عن أنفسنا ، أليس ثمة ظلم أساسى فى وجود حفنة قليلة من الناس ، منتفخين بالمال حتى حافة الانفجار ، وفى مقابلهم قسم عظيم من البشرية يعيش عيشة الكلاب ؟ وواقع الأمر أن هذا التشبيه ليس صحيحاً تماماً ، لأن الكلاب فى الولايات المتحدة تحظى عادة باهتمام ورعاية يفوقان ما حظى به نصف مليون طفل عراقى (أو نحو ذلك) ماتوا نتيجة للعقوبات الأمريكية .

ليـــس ثمـــة من جواب سهل عما جرى يوم الثلاثاء ، حين فجر أول جهاز نووى كان آينشـــتاين هو من قال - إن لم اكن مخطئاً - إن كل شىء قد تغير إلا طريقة تفكير الإنسان ، أخشـــى أن يكون هذا هو الخطر الأعظم الذى يواجهنا اليوم ، إن رد واشنطن على ما حدث ســـيكون على الأرجح بالمزيد من أفعالها السابقة : ضربات انتقامية ذات حجم بالغ التدمير ، وإجراءات أمنية جديدة على المستوى المحلى تفرض جزءاً أكبر من حرياتنا الأساسية ، حتى ولو وضعنا جانبا اهتماماتنا الأخلاقية والمدنية المنادية بالحرية المطلقة ، أثمة فى هذه القاعة من يصدق حقاً أن كل تلك الضربات والإجراءات ستوقف الهجمات الإرهابية ؟ إن الأمل الوحيد المتبقى لدينا بعد أهوال الثلاثاء الماضى هو أن تتغير طريقة تفكيرنا أيضاً .

نورمان فنكلستين

شيكاغو

(٣) نهاية « نهاية التاريخ »

بقلم جان بريكمون (*)

كـــل شـــىء كان يسير على ما يرام ، فصربيا ، الساجدة على ركبتيها ، أرسلت للتو ميلوســـيفيتش إلى محكمة الجزاء الدولية لقاء حفنة من الدولارات (اتضح أن أكثرها مخصص لدفع الديون التى تعود إلى أيام حكم المارشال تيتو) ، حلف الناتو يتوسع شرقاً ، باتجاه روسيا التى لا حول لها ولا قوة . صدام حسين يسهل قصفه متى شاء المرء ذلك ، مقدونيا اضطرت ، بعد أن غزتها كوسوفو إلى قبول مهزلة نزع سلاح الكوسوفيين على يد من كان قد زودهم به أصلاً ، المناطق الفلسطينية المحتلة تحت سيطرة إسرائيلية شديدة ، فيما تغتال قادتهم قنابل ذكية، مالكو الأسهم ما فتئوا طوال الأعوام السابقة القليلة يسجلون أرباحا قياسية ، اليسار السياسى انقـــرض ، وكـــل الأحزاب السياسية تسابقت نحو الليبرالية الجديدة ونزعة التدخل الإنسانى وبكـــلمة – على ما عبر بعض المعلقين – كنا ننعم بالسلام ، وفجأة وقعت الصدمة والدهشة والـــرعب فـــأعظم قوة عبر كل حقب التاريخ والإمبراطورية الكونية الوحيدة بحق ، تضرب فى صميمها فى مركز ثرائها وقوتها ، وأما شبكة التجسس الإلكترونية الفريدة والقهارة ، وأما الـــتدابير الأمنية التى لا توازيها أى تدابير ، وأما ميزانية الدفاع المذهلة فكلها لم تنفع فى تجنب الكارثة .

لـــنكون واضحين تماماً ، نحن لا نشاطر رأى مادلين أولبرايت (وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة) حين سئلت ما إذا كان استمرار الحصار على العراق يستحق أن يموت فى سبيله نصف مـــليون عراقى فأجابت " إنه لخيار قاس جداً ، ولكننا نعتقد أن الأمر يستحق ذلك " ، فنحن نرى أن قتل مدنيين أبرياء ليس مقبولاً فى أى وقت من الأوقات ، ولكن ذلك لا يعنى ألا يكون علينا أن نحاول أن نفهم المغزى الضمنى لذلك الهجوم الذى لا يصدق .

(*) مقال نشر فى موقع " زى نت " و" بريكمون " أستاذ الفيزياء النظرية فى جامعة لوفان فى بلجيكا.

لقد لاحظ داعية السلام الأمريكى أ . ج ماست ذات يوم أن الرابح فى كل حرب هو الذى يطرح المشكلة ، فالمنتصر قد تعلم أن العنف ينجح فى تحقيق أهدافه . ويبين تاريخ ما بعد الحــرب العالميــة الثانية بأكمله شدة ارتباط هذه الملاحظة بموضوعنا ، ففى الولايات المتحدة أعيدت تسمية وزارة الحرب وزارة للدفاع تحديداً . حيث لم يكن ثمة خطر مباشر يهدد البلاد ، وشـــنت الحكومــة تلو الحكومة حملات تدخل عسكرى وزعزعة سياسية تحت غطاء احتواء الشـــيوعية طالت حكومات ذات توجهات وطنية معتدلة أمثال حكومة غولارت فى البرازيل أو حكومــة مصـــدق فى إيـــران ، أو حكومـــة آربنـــز فى غواتيمالا . وحصراً للموضوع بالـــزمن الحاضر، دعونا نتأمل بضعة أسئلة قلما تطرح فى ما يخص السياسة الغربية ، ولاسيما الأمريكية .

بروتوكول كيوتو : اعتراض الولايات المتحدة الرئيسى عليه لا يستند إلى أرضية علمية ، بـــل حســـبه أنه سيء لاقتصادنا . فماذا تراه يستنتج من ردة الفعل هذه . أناس يعملون ١٢ ساعة فى اليوم لقاء أجر هو أجر العبيد ؟

مؤتمر دربان : الغرب يرفض أدنى تفكير فى تقديم تعويضات لضحايا العبودية والاستعمار، ولكـــن أليـــس واضحاً أن دولة إسرائيل تمثل شكلاً من أشكال التعويض الغربى عن حملات الاضـــطهاد المعادية للسامية . سوى أن من يدفع ثمن الجرائم التى ارتكبها الأوروبيون إنما هم الفلســـطينيون العـــرب ؟ أوليس بينا أن إزاحة المسئولية هنا لابد أن يعدها ضحايا الاستعمار شكلا من أشكال العنصرية ؟

مقدونيـــا : هذا بلد دفعه الغرب إلى الاستقلال من أجل إضعاف صربيا ، وحكومته ما فتـــئت تتبع الأوامر الغربية بإخلاص ، ونتيجة لذلك تعرض لهجمات نفذها إرهابيون سلحهم الـــناتو وجاءوا من أراض تخضع لسيطرة هذا الحلف ، فكيف ستنظر الشعوب الأرذثوكسية الســـلافية إلى هذا الأمر ، وبخاصة بعد تهجير السكان الصرب من كوسوفو – على مرأى من الناتو – وبعد اجتثاث قسم كبير من إرثائهم الثقافى .

أفغانســـتان : لقـــد تناســـينا بسرعة أن أسامة بن لادن كان قد درب وسلح من طرف الأمريكان الذين يجهرون بالاعتراف بأنهم كانوا يستخدمون أفغانستان لزعزعة الاتحاد السوفيتى حـــتى قـــبل غزو هذا الأخير ذلك البلد ، كم شخصاً مات فى تلك اللعبة التى دعاها زبيغينيو بريزنســـكى ، مستشار الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر رقعة الشطرنج العظيمة ؟ وكم

إرهابياً فى آسيا ، أو فى أمريكا الوسطى ، أو فى البلقان ، أو فى الشرق الأوسط تركوا ليعدوا منفلتى السراح بعد ان استخدمهم ، العالم الآخر ؟

العــراق : عشر سنوات وشعب هذا البلد يختنق نتيجة لحصار سبب مئات الآف القتلى من المدنيين ، وكل هذا لأن العراق حاول أن يستعيد ما اعتبره آبار نفطه التى كان البريطانيون قد صادروها منه بقوة الأمر الواقع ، فلنقارن ذلك فقط بالمعاملة التى حظيت بها إسرائيل بعد احــتلالها المناقض للشرعية الدولية مناقضة تامة عام ١٩٦٧ ، أمن المحتمل حقا أن يتفهم العالم العربى الإسلامى المقولة التى يقبلها الغرب إجمالاً ، ومؤداها أن على صدام حسين أن يرحل حتى يرضــى أمــريكا ؛ إن من الصدق ان توافق عمليات ١١ سبتمبر فى الولايات المتحدة ذكرى الاطاحة بـــ " الليندى " ، وهى الذكرى التى لا تؤشر فقط على تنصيب الحكومة النيوليبرالية الأولى -- أى تــلك التى ترأسها الجنرال بينوشيه (وهذه حقيقة يتم تناسيها بسهولة) بل تؤشر أيضــاً على بداية تحرك واسع ضد الحركات القومية والاستقلالية فى العالم الثالث ، وهو تحرك قاد بلدان هذا العالم إلى الانحناء أما إملاءات صندوق النقد الدولى .

تــلكم هى الأسباب التى تدفعنا إلى أن نشك فى أن مأساة ١١ أيلول ستؤدى بشعوب أمــريكا اللاتيــنية وأندونيسيا ، وإيران ، وروسيا المدمرة والمهانة والصين التى لا تخدع أحداً محــاولات زعزعة العملاق الناهض والعالم الإسلامى أيضاً ، إلى ذرف ما هو أكثر من دموع تماسيح .

بالطــبع ســتكون هناك صيحات سخط ورسائل تعاطف ، وسيكون ثمة تأييد للقــيام بردود حازمة حين تحصل مثل أن يدمر العدوان القادم مصنعاً للأدوية فى السودان ، أو يقصف شــعباً أعــزل فى بــلد عــربى آخر ؟ وسيطلع عدد كبير من المثقفين بتحليلات ذكية مليئة بالتشــبيهات الخاطــئة التى تربط هذه الاعتداءات بمن يعاودنه صدام حسين ، أو بالقذافى ، أو بدعــاة الســلام ومعادى الإمبريالية من حركة التحرر الفلسطينية ، بل بالصين أو روسيا أو كوريــا الشمالية أيضاً ، وستتكرر المزاعم بأن بربرية كالتى حدثت فى نيويورك وواشنطن غربية وقادمة من الشرق !! ولكن أياً من ذلك كله لن يحل أى مشكلة أساسية ، فليس هناك من فائدة ترجى من التصدى للعصيان نفسه . بل إن ما يجب أن يتم التصدى له هو المعاناة التى

تسبب العصيان ، ذلك لأن التصدى للعصيان لا للمعاناة سيؤدى إلى نتيجتين سلبيتين على الأقل ، فالجمهور الأمريكى ، أولاً ، وهو جمهور غارق فى المشاعر القومية (الضيقة) على نحو مقلق سيسارع إلى الالتفاف من حول العالم كما يقولون داعما حكومته أيا كانت بربرية سياستها ، وسيكون الأمريكيون أشد عزماً من أى زمن مضى على حماية حكومتهم دون أن يسألوا عن الثمن الذى سيدفعه بقية البشر على هذا الكوكب ، وستهمش الحركات الخجولة (المناهضة للعولمة) التى انبثقت بعد سياتل - إن لم تجرم - وفى المقابل ، سيزين للملايين ممن هزمتهم الولايات المتحدة وأذلتهم وسحقتهم ، هى والعالم الذى تهيمن عليه ، أن ينظروا إلى الإرهاب على أنه سلاح أوحد قادراً حقاً على ضرب الإمبراطورية الأمريكية ، ولهذا فإن نضالاً سياسياً حقيقياً - لا عنفاً - ضد الهيمنة التى تمارسها ثقافياً واقتصادياً ، وعسكرياً قبل كل شيء آخر ، أقلية ضئيلة على الغالبية الساحقة من البشر إنما هو أمر أكثر ضرورة من أى زمن مضى .

جان بريكمون

بلجيكا

(٤) نعم أسامة بن لادن برىء من تهمة التفجيرات !!

جيرى وايت ـ كاتب أمريكى

يـــرفض الـــرئيس بوش بشدة عروض حكومة طالبان بتسليم أسامة بن لادن للمحاكمة فى حالـــة ما إذا أوقفت الولايات المتحدة قصف أفغانستان وقدمت دلائل على أن السعودى المنشق متورط فى الهجمات الإرهابية على نيويورك وواشنطن يوم ١١ سبتمبر ٠

فذكر نائب رئيس الوزراء الأفغانى الملا عبد الكبير لمجموعة صحفية دولية فى جلال أباد : إن توقفـــت الولايات المتحدة عن قصف أفغانستان ، فإننا سنكون على الاستعداد لتسليمه ، نـــادى عبد الكبير بالمفاوضات قائلاً : إذا قدم الدليل فإن دولة ثالثة يمكن اختيارها بشرط أن تكون محايدة ٠

رفـــض بوش العرض بشدة ، وأثناء مؤتمر صحفى بعد دقائق من عودته من اجتماع مع مستشاريه للأمن القومى فى كامب ديفيد ، أعلن بوش : يبدو انهم لم يسمعوا ، لا للمفاوضات، هذا أمر غير قابل للتفاوض ، وليست هذه المرة الأولى التى يعرض فيها زعماء طالبان التفاوض حـــول تســـليم بن لادن ، ففى ليلة الحرب قال سفير طالبان لدى باكستان الملا عبد السلام ضعيف إنه سيتم تسليم بن لادن إذا ثبت تورطه فى الهجمات الإرهابية ، ورفض بوش العرض ومضى فى حملة القصف على أفغانستان ٠

فى يـــوم الثلاثاء ذكرت النيويورك تايمز أن أحد زعماء طالبان تقابل سراً مع السلطات الباكســـتانية فى اليـــوم الســـابق وقال إنهم سيحاولون التفاوض بتسليم بن لادن إذا توقفت الولايات المتحدة عن القصف لمدة يومين أو ثلاثة ٠

وأضافت التايمز أن السلطات الباكستانية والأمريكية لم تتفاءل بشأن حل هذه الأزمة بهذا الأســـلوب . لأن بـــوش كرر أكثر من مرة أنه لن يتفاوض أو حتى يناقش أى إجراء لتسليم بن لادن٠ وفى مستهل الأزمة قالت الحكومة الأمريكية إنها كانت تعد للحرب ضد أفغانستان لأن طالبان رفضت تسليم بن لادن ، ومع هذا عندما قدم الأفغان عروضاً معقولة ، كان الرد الأمريكى هو رفض العروض وأى شكل من أشكال المفاوضات ٠

وبـــرؤية عملية يتضح أن الطلبات المشفوعة بعبارة لا للمفاوضات أمر غريب . فكيف يمكن لطالبان أن تحقق الطلبات الأمريكية دون الدخول فى مناقشات مع واشنطن ، وتشير هذه السياسية إلى أن إدارة الرئيس بوش ليست جادة فى أهدافها المعلنة ، وإنما تتحرك بنية سيئة .

فى حديـــث آخـــر كرر بوش فى ضجر موقفه بأن الولايات المتحدة غير ملزمة بأن تقدم أى دليل على أن بن لادن متورط قائلاً " لا داعى أن نناقش البراءة أو الذنب ، نحن نعلم من هو المذنب فليسلموه لنا إذا كانوا يريدون منا أن نوقف عملياتنا العسكرية ، فليس لديهم غير أن يرضخوا لشروطى " .

بمعنى آخر ، ليس فقط طالبان ، بل العالم أجمعه عليه أن يقبل بإيمان وعقيدة تهم واشنطن لبن لادن ولكن العـــالم له الحق فى أن يســـأل إذا كان لديكم الدليل فلماذا لا تظهرونه ؟ ليس هـــناك شـــك فى أن بن لادن رحب بهجمات ١١ سبتمبر ، وهذا فى حد ذاته يخلق رد الفعل العميـــق والمضاد لسياسته ، ولكنها لا تثبت بأنه مسئول عن خطف الطائرات التى قتلت أكثر مـــن ٥٠٠٠شـــخص . يصر بوش على أنه لا داعى لمناقشة براءة بن لادن أو اتهامه ويطالب بتسليمه إلى الولايات المتحدة بسهولة ، فقط لأن الرئيس الأمريكى أمر بذلك ، وهذا أسلوب الحكومـــات الاستعمارية التى كانت تستخدمه فى أملاكها فى افريقيا وآسيا ، آخر أفعال إدارة بـــوش تؤكـــد حقيقـــة صريحة وهى أن أحداث ١١ سبتمبر لم تكن السبب الحقيقى فى غزو الولايات المتحدة لآسيا الوسطى ولكنها استخدمتها كذريعة .

إن الحكومـــة الأمـــريكية تتبع برنامجاً يختلف عن الذى عرضته لشعب الولايات المتحدة والعالم ، لقد استغلت مأساة شهر سبتمبر لإنجاز خطط قديمة لفرض هيمنة أمريكا على المنطقة الغـــنية بالبـــترول . إن آخر شىء يرغب فيه البيت الأبيض هو أن يتفق مع طالبان على قطع الطريق أمام هذه الأهداف .

(٥) أمريكا ستخسر الحرب إن عاجلاً أو آجلاً

ليولن روكول ـ رئيس معهد لودفيج فون ميسس (أمريكا)

لا يمكن للحكومة الأمريكية أن تنتصر فى حربها ضد الإرهاب ، على الأقل فى الوقت الحالى الذى تطارده فيه ، سيكون الإرهابيون دائماً أكثر دهاء من المخططين المركزيين فى واشنطن دى سى . أولاً : استخدم الإرهابيون طائرة مدنية كقنبلة ، والآن يرسلون خطابات ملوثة بميكروب الجمرة الخبيثة ، ولا أحد يمكنه أن يعرف أو يتوقع الخطوة القادمة ، ولكن الخوف ازداد بصورة كبيرة : شركات التأمين أصابها الذعر حتى أنها انسحبت من تنظيم كأس العالم والأولمبياد الشتوى .

وفى كل خطوة ، كان رد فعل الحكومة سيئاً للغاية ، ومؤخراً ، عاقبت الأبرياء لأنهم أسهل فى التعامل معهم . ولكن لا شيء يمكن أن تفعله الحكومة الأمريكية . سواء غلق البريد أو منع إقلاع الطائرات من الأرض ، أو قراءة كل ما يرسل على البريد الإلكترونى أو حتى مسح جميع الدول من الخريطة يمكن أن يؤدى إلى نتيجة .

القوات العسكرية الأمريكية لن تهزم الإرهاب بهذه الطريقة ، ومكتب الأمن القومى لن يحمينا من فشل البنتاجون ، وبمجرد أن يرتدى جميع سكان الولايات المتحدة الغطاء الواقى من الجمرة الخبيثة أو من الغازات (يعلن عنها الآن فى النيويورك تايمز) سيجد الإرهابيون طريقة جديدة فلا توجد حدود للفوضى التى يمكن أن يسببها الحقد المطلق .

كلما ازداد رد فعل الحكومة ، ازداد معه إحساسنا بعدم الأمان ، ويتبع هذا المبدأ العام بأن الحكومة عاجزة عن فعل الصواب ، حتى تلك الأمور التى يفترض الكثيرون أنها بديهية ، مثل نشر الأمن .

فى الاستراتيجية التى وضعها جورج بوش افترض نظرياً أن معاقبة الإرهاب بواسطة الحرب يمكن أن يحد منه ، ولمدة أسبوعين ، عاقبت الحكومة الإرهاب باسقاط أسلحة ذات قوة تدميرية واسعة على أفغانستان . وهل تم ردع الإرهابيين ؟ إذا كانت هناك إجابة فالنفى هو الصحيح ، لقد ازدادوا شجاعة وجرأة وتطرفاً ، بل ازدادوا اقترافاً للإرهاب أكثر من أى وقت مضى ، وكلما ازدادت قدرتهم الإبداعية سيعملون على البحث عن وسائل أكثر دهاء

لخـــداع الحكومة ، يجب علينا ألا نتعجب من هذا ، من المفترض أن تكون كل حرب حديثة حرباً لإنهاء حالة حرب ، وعندما نسترجع ما قام به جورج بوش الأب عندما أخرج العراقيين مـــن الكويـــت ، كان الظن أن هذه رسالة فحواها أن العنف لا يمكن التسامح معه ، وإمعانا فى الـــتأكد مـــن أن العـــراق وعى الرسالة قصفت الحكومة جميع معامل تنقية المياه والمجارى فانتشرت الأمراض وفرضت حظراً جوياً على العراق لمدة عشر سنوات ، ووضعت قوات لها فى السعودية ، هذه الأفعال التى أدت إلى الموت والمعاناة ولدت كراهية لا حدود لها .

إن حـــرب العـــراق لم تقـــض على العنف ، ولكن على العكس أفرزت المزيد ، ونفس الأســـلوب فى الحـــروب ضد الفقر والتدخين والأمية والجريمة كلها تضاعفت رغم أن الهدف المقصود منها هو القضاء عليها .

فى الحرب ضد الإرهاب ، تحارب الحكومة نشطاء زئبقيين دافعهم الكراهية ، ولا تقيدهم أيـــة قوانين أو شرعية ولا يعنى كثيراً ما تملكه الحكومة من موارد ، إذ إنها تفتقد إلى الأدوات الـــتى تمكـــنها من إنجاز هذه المهمة : المرونة والبصيرة والحافز والقدرة على التنبؤ بالمستقبل ، ستبقى الولايات المتحدة دائماً قادرة على الرد ، ولكنها أبداً لن تتوقع ، وبالتإلى إن تمنع الهجمة التالية غير المتوقعة ، ولأن جميع شهود الإثبات فى ١١ سبتمبر لقـــوا مصـــرعهم ، فإن هدف الولايـــات المتحدة هو قتل أسامة بن لادن ومعاقبة الحكومة التى تؤيده ، ولكن هل هناك من يصدق أن هذا سينهى الأمر؟ إن بن لادن لا يحرك الناس كالدمى ، الناس الذين يعملون لديه لهم إرادة حرة ، وحتى اذا كانوا مسيرين فسيأتى أكثر من بن لادن وسيضاعفون الرد .

الوثـائق

الوثيقة رقم (١)

نص رسالة لـ « الخاطفين » المفترضين والتى نشرتها السلطات الأمريكية

«التبايع على الموت.. تذكير النفس بالسمع والطاعة.. كثرة الذكر.. تفقد سلاحك قبل الرحيل.. لا تظهر عليك مظاهر الارتياب وشد الأعصاب.. إذا اقترب الموعد الحق وجاءت ساعة الموت.. افتح صدرك مرحبا بالموت فى سبيل الله».

هذه بعض مقتطفات من رسالة نشرتها السلطات الأمريكية يعتقد أنها «توجيهات» و«بيان التعليمات الأخيرة» لخاطفى الطائرات المفترضين فى أمريكا.

الرسالة تتضمن تعليمات ما يمكن وصفه «اليوم الأخير للحياة» و«الليلة الأخيرة» إضافة إلى نصائح وأدعية ومواعظ مكتوبة بالعربية بخط اليد.

وقالت السلطات الأمريكية إنها عثرت على «٣» نسخ من هذه الرسالة التى لا تحمل توقيعا ، وعثر على نسخة من الرسالة فى حقيبة لمحمد عطا أحد المشتبه بهم بخطف الطائرات التى تحولت إلى صواريخ ، وقالت السلطات الأمريكية إنها عثرت على الرسالة فى حقيبة فى مطار بوسطن عندما بدل الطائرة، وعثر على نسخة أخرى فى سيارة متوقفة فى مطار دالاس بالقرب من واشنطن ، والثالثة داخل هيكل الطائرة المخطوفة التى تحطمت فى بنسلفانيا ومن أبرز ما جاء فى الرسالة :

«قال أحد الصحابة أمرنا رسول الله بقراءتها قبل الغزوة فقرأناها فغنمنا وسلمنا» .

الليلة الأخيرة :

١ - التبايع على الموت وتجديد النية ، حلق الشعر الزائد من الجسم والتطيب والاغتسال .

٢ - معرفة الخطة جيداً من كل النواحى وتوقع ردة الفعل أو المقاومة من العدو .

٣ - قراءة سورة التوبة والأنفال وتدبر معانيهما (٠٠) وما أعده الله للشهداء من النعيم المقيم.

٤ - تذكير النفس بالسمع والطاعة تلك الليلة . فإنك ستتعرض لمواقف حاسمة لابد فيها من السمع والطاعة ١٠٠٪ ، روض نفسك وفهمها واقنعها وحرضها على ذلك.

٥ - قيام الليل والإلحاح في الدعاء بالنصر والتمكين والفتح المبين وتيسير الأمور والستر علينا.

٦ - كثرة الذكر وأعلموا أن خير الذكر قراءة القرآن.

٧ - صف قلبك ونقه من الشوائب وانس وتناس شيئاً اسمه دنيا . فقد مضى زمن اللعب وجاء الموعد الحق ، وكم ضيعنا من أعمارنا من أوقات . أفلا نستغل تلك الساعات لتقديم القربان.

٨ - ليكن صدرك منشرحاً فإنه ما بينك وبين زواجك إلا لحظات يسيرة بها تبدأ الحياة السعيدة والنعيم الخالد مع (٠٠) الصديقين والشهداء.

٩ - اجعل نصب عينيك أنك إذا وقعت في ابتلاء كيف تتصرف وكيف تثبت.

١٠ - تذكروا قول الله تعالى: « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله» و«إن ينصركم الله فلا غالب لكم».

١١ - ذكر نفسك بالأدعية وإخوانك وتدبروا معانيها

١٢ - النفث (على النفس والشنطة والملابس والسكين، أدواتك، بطاقتك، جوازك، أوراقك كلها).

١٣ - تفقد سلاحك قبل الرحيل.

١٤ - شد عليك ملابسك جيداً وهذا هو نهج السلف الصالح رضوان عليهم فكانوا يشدون ملابسهم عليهم قبل المعركة ، ثم وشد حذاءك جيداً.

١٥ - صل الصبح في جماعة ولا تخرج من شقتك إلا متوضئا فإن الملائكة تستغفر لك ما دمت متوضئاً وتدعو لك.

المرحلة الثانية

- إذا نقلك التاكسي إلى (م) (المطار) فاذكر الله والأذكار الأخرى.

- ابتسم واطمئن فإن الله مع المؤمنين والملائكة تحرسك وأنت لا تشعر.

- إن أجهزتهم وأبوابهم وتكنولوجيتهم لا تضر بك ولا يخاف منها المؤمنون وإنما يخاف منها أولياء الشيطان.

- يجب ألا يلاحظ عليك أنك تذكر قول (لا إله إلا الله) فإنك لو قلتها ألف مرة ما استطاع أحد أن يميز هل أنت ساكت أم تذكر الله.

- لا تظهر عليك مظاهر الارتباك وشد الأعصاب وكن فرحاً سعيداً، منشرح الصدر مطمئناً . لأنك تقوم بعمل يحبه الله ويرضاه ، ومن ثم سوف يكون يوماً بإذن الله تقضيه مع الحور العين فى الجنة.

- أى مكان تذهب إليه أو أى فعل تقوم (به)، عليك بالذكر والدعاء والله مع عباده المؤمنين بالحفظ والتيسير والتوفيق والتمكين والنصر وكل شىء.

- ليستعد كل واحد منكم ليقوم بدوره على الوجه الذى يرضى عنه الله وليشد على أسنانه كما كان يفعل السلف رحمهم الله قبل الاشتباك فى المعركة وعند الالتحام اضرب ضرب الأبطال الذين لا يريدون الرجوع إلى الدنيا ، وكبر فإن التكبير يدخل الرعب فى قلوب الكافرين، واعلموا أن الجنان قد تزين لكم بأبهى حللها.

- وإذا منّ الله على أحدكم بالذبح فلينوه عن أمر (٠٠) فلا تختلفوا واسمعوا وأطيعوا (٠٠) وإذا ذبحتم فاسلبوا من تقتلوه لأن ذلك سُنة من سنن المصطفى ﷺ (واحذروا) أن ينشغل أحدكم بالسلب ويترك ما هو أعظم من الانتباه للعدو وخيانته وهجومه فإن ذلك ضرره أعظم (٠٠) وإن كان كذلك عليكم تقديم مصلحة العمل والجماعة.

المرحلة الثالثة

- عندما تركب (ط) (طائرة) أول ما تضع رجلك تأتى بالدعاء والأدعية واستحضر «إنها غزوة فى سبيل الله» الغزوة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها.

- عندما تضع رجلك فى «ط» وتجلس على كرسيك قل الأذكار وكن منشغلا بذكر الله والإكثار منه.

- إذا تحركت «ط» حركة بسيطة فقل دعاء السفر.

- ادع لنفسك ولإخوانك كلهم بالفتح والنصر ولا تخف ، واطلب من الله أن يرزقك الشهادة مقبلا غير مدبر.

- إذا اقترب الموعد الحق وجاءت ساعة الموت افتح صدرك مرحبا بالموت فى سبيل الله.

- ويكون آخر كلامك: لا إله إلا الله محمد رسول الله وبعدها إن شاء الله اللقاء فى الفردوس.

وثيقة (٢)

وصية محمد عطا

ذكرت مجلة «دير شبيغل» الألمانية أن الشرطة الفيدرالية الأمريكية (إف بى آى) عثرت فى حقيبة محمد عطا، على وصية الرجل المتهم بأنه كان بين الخاطفين الذين نفذوا هجمات الحادى عشر من سبتمبر أيلول. وأضافت الأسبوعية أن وصية محمد عطا المؤرخة فى ١١ نيسان ١٩٩٦ بحسب التاريخ المذكور فيها والتى تحمل توقيع شاهدين هما عبدالغنى مسعودى والمتصدق منير، تتضمن ١٨ نقطة «ما يتوجب أن يقوم به الورثة»، وبنوع خاص فيما يتعلق بالجثة .

والوصية مرفقة برسالة التعليمات (الوثيقة الأولى) والتى عثر المحققون على ثلاث نسخ منها فى الولايات المتحدة. وقد عثر على النسخة الأولى فى حقيبة عطا وهو أحد المتهمين المفترضين الذين كانوا على متن الطائرة التى صدمت مركز التجارة العالمى فى نيويورك، وكانت الحقيبة بقيت على أرض المطار عندما بدل عطا (٣٣عاما) الواصل من بورتلاند (مين) طائرته فى بوسطن.

وبعد مقدمة حث فيها عطا عائلته وكل من يقرأ الوصية "على مخافة الله" وعدم الانجرار وراء أهواء الدنيا، تتمحور الوصية حول الترتيبات المفترض اتباعها لتحضير جثة محمد عطا بعد وفاته والاهتمام بها.

وجاء فى الوصية التأكيد على ضرورة أن يكون من يهتمون بدفن جثته من "المسلمين الأتقياء، عملا بوصية الله ورحمته".

وترفض الوصية أن تشارك في وداعه «نساء حوامل أو أشخاص مسهم دنس» مؤكداً أنه لا يريد لنساء أن «يحضرن مراسم دفني ولا الصلاة عند قبري».

رقالت الوصية أيضا إن من «يغسل جثتي عند مستوى الأعضاء التناسلية» «يجب أن يستخدم قفازات حتى لا يلمسني في هذا الجزء من جسدي».

وثيقة (٣)

بن لادن : لا أمن فى أمريكا قبل أمن فلسطين

فيما يأتي مقتطفات من الكلمة التى وجهها أسامة بن لادن عبر قناة «الجزيرة» الفضائية أثر بدء الضربات الأمريكية لأفغانستان يوم ٧/ ١٠/ ٢٠٠١:

«هذه أمريكا أصابها الله سبحانه وتعالى فى مقتل من مقاتلها، فدمر أعظم مبانيها فلله الحمد والمنة. ها هى أمريكا امتلأت رعباً من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، فلله الحمد والمنة.

ما تذوقه أمريكا اليوم هو شيء يسير مما ذقناه منذ عشرات السنين، أمتنا منذ بضع وثمانين سنة تذوق هذا الذل، وتذوق هذه المهانة، فيقتل أبناؤنا وتسفك دماؤنا ويعتدى على مقدساتها وتقتل بغير ما أنزل الله، ولا سامع ولا مجيب.

فلما وفق الله سبحانه وتعالى كوكبة من كواكب الإسلام، طليعة من طلائع الإسلام فتح عليهم فدمروا أمريكا تدميرا، أرجو الله أن يرفع قدرهم وأن يرزقهم الفردوس الأعلى. فلما رد هؤلاء على أبنائهم المستضعفين وإخوانهم وأخواتهم فى فلسطين وكثير من بلاد الإسلام، صاح العالم بأسره وصاح الكفر وتبعه النفاق.

الأطفال الأبرياء يقتلون إلى هذه اللحظة. يقتلون فى العراق بلا ذنب ولا نسمع منكر ولا نسمع خطوة (...) وفى هذه الأيام تدخل الدبابات والمجنزرات الإسرائيلية لتعيث فى فلسطين فساداً فى جنين ورام الله ورفح وبيت جالا وغيرها من أرض الإسلام، ولا نسمع من يرفع الصوت أو يحرك ساكناً. فإذا جاء السيف بعد ثمانين سنة على أمريكا، ظهر

واشرأب النفاق برأسه وتحسروا على هؤلاء القتلة الذين عبثوا بدماء المسلمين وأعراضهم ومقدساتهم ، وأقل ما يقال فيهم إنهم فسقة اتبعوا الباطل ونصروا الجزار على الضحية والظالم على الطفل البرىء. فحسبى الله عليهم وأراهم الله ما يستحقون.

إن الأمر واضح وجلى بعد هذا الحدث، وبعدما تحدث كبار المسئولين فى الويالات المتحدة . ابتداء برأس الكفر العالمى (جورج) بوش ومن معه، وقد خرجوا أثرا وظفرا برجالهم وبخيلهم، (...) ليحاربوا الإسلام باسم الإرهاب.

شعب فى أقصى الأرض فى اليابان قتل منهم مئات الألوف صغاراً وكباراً، فهذه ليست جريمة، فهذه مسألة فيها نظر. يقتلون فى العراق مسألة فيها نظر. أما عندما قتل منهم بضعة عشر فى نيروبى ودار السلام قصفت أفغانستان وقصف العراق ووقف النفاق بأسره خلف رأس الكفر العالمى، خلف هبل العصر أمريكا ومن معها. إن هذه الأحداث قد قسمت العالم بأسره إلى فسطاطين فسطاط الكفر وفسطاط الإيمان (. . .).

على كل مسلم أن يهب لنصرة دينه فقد هبت رياح الإيمان وهبت رياح التغيير لإزالة الباطل (...).

أما أمريكا فأقول لها ولشعبها كلمات معدودة: أقسم بالله العظيم الذى رفع السماء بلا عمد، لن تحلم أمريكا ولا من يعيش فى أمريكا بالأمن قبل أن نعيشه واقعاً فى فلسطين، وقبل أن تخرج كل الجيوش الكافرة من أرض محمد، والله أكبر والعزة للإسلام.

وثيقة (٤)

الظواهرى : أمريكا مسئولة عن إنشاء إسرائيل

فيما يأتى نص الكلمة التى وجهها أيمن الظواهرى، أحد أقرب مساعدى أسامة بن لادن فى أفغانستان يوم ٧/ ١٠/ ٢٠٠١م ، بعد بدء الضربات الأمريكية ، وبث الكلمة قناة «الجزيرة» الفضائية :

«يا أمة الإسلام هذا نداؤنا إليكم فى هذه الأوقات الحرجة العصيبة، الذى يتميز بها الصادقون من المتذبذبين. هذا نداؤنا إليكم وقد اجتمعت أمم الكفر على فئة المسلمين والمجاهدين.

قبل أن أبدأ، أود أن أوجه سؤالاً إلى الشعب الأمريكى الذى تحشده حكومته ضدنا وضد فئة المسلمين المرابطين المجاهدين: هل لك أن تسأل نفسك لماذا كل هذا العداء ضد أمريكا وضد إسرائيل؟ لماذا كل هذه الكراهية فى قلوب المسلمين ضد أمريكا؟ الإجابة واضحة بسيطة: فأمريكا ارتكبت كل الجرائم ضد أمة المسلمين ما لا يمكن أن يتحمله إنسان فضلا عن أن يتحمله مسلم مجاهد .

أمريكا زعيمة المجرمين فى جريمة إنشاء إسرائيل. تلك الجريمة المستمرة المتكررة منذ خمسين سنة، أمة الإسلام لا يمكن أن تقبل بها. إن حكومتكم هى التى تحاصر الأطفال فى العراق وتقتلهم قتلاً، وهى التى تساند الحكومات الفاسدة فى بلادنا وتدعمها وتؤيدها.

إن حكومتك تسوقك إلى حرب خاسرة جديدة. فلتذكر أن حكومتك انهزمت فى فيتنام وفرت مذعورة من لبنان وهاربة من الصومال، وتلقت الصفعة فى عدن، حكومتك تقودك إلى حرب خاسرة تفقد فيها أبناءك وأموالك.

لتعلم أيها الشعب الأمريكى والعالم أجمع أننا لن نقبل بأن تتكرر مأساة الأندلس فى فلسطين مرة أخرى، خير لنا وأهون علينا أن تفنى هذه الأمة عن بكرة أبيها من أن نرى المسجد الأقصى يهدم، وأن نرى فلسطين تهود ويطرد منها أهلها.

« أيها الشباب المجاهدون، أيها العلماء الصادقون المؤمنون المحبون لله، هذه ملحمة جديدة من ملاحم الإسلام ومعركة جديدة من معارك الإيمان تتكرر فيها المعارك الكبرى، مثل حطين وعين جالوت وفتح بيت المقدس، هذه هى الملحمة تتكرر فهلموا إلى عز الدنيا وفوز الآخرة وهلموا إلى شرف الجهاد » .

وثيقــة (٥)

بيان سليمان أبو غيث : « الجهاد لمعاقبة أمريكا بالمثل »

فيمـا يأتى نص الكلمة التى وجههـا الناطق الرسمى باسم تنظيم «القاعـدة» سليمان أبو غـيث (٧/ ١٠/ ٢٠٠١م) بعد بدء الضـربات الأمريكيـة، وبثـتهـا قناة «الجزيرة» أيضـاً: «من أرض الجهـاد والرباط ومن أرض العـزة والرضيـة والكرامة نبـعث هذه الرسالة إلـى الأمة، نقول إن مـا حدث فى أمريكا الثلاثاء ١١ أيلـول (سبتمـبر) يعتبـر حدثا طبيعـياً وأمرا واقعـياً، نتيجـة لتلك السياسة الحمقـاء التى تمارسها أمريكا فى الخارج، والتى تتـمثل بالعداء الواضح للإسلام والمسلمين (٠٠٠).

أمريكا هى التى تـضرب الحصار علـى المسلمين وهى التى تعلن العداء عـليهم، وتعلن مساندتها اللا محـدودة للكيان الصهيونى الذى فعل بالمسلمين الأفاعـيل، فقتل ونهب وفتك وشـرد، ومع ذلك نجـد أن أمريكا بسـيـاسـتها الحـمقـاء تقف بكل مـا تملك مع هذا العـدو الصهيونى.

يجب أن تعلم أمريكا أن ما حدث لها هو بسبب هذه السيـاسة، وانها إذا استمرت فيها فإن أبنـاء المسلمين لن يتـوقفـوا فى أى حال بالفـعل أو للثأر مما يقع عليـهم من ظلم وبطش، والمعاقبة بالمثل هى أمر طبيعى.

على الشعب الأمـريكى أن يعلم أنه يتحمل المسئولية، إن ما يجرى له هو بسـبب تأييده هذه السيـاسة التى تمارسهـا الحكومة الأمريكيـة. ثانيا، إعلان أمريكا الحـرب على أفغانسـتان وعلى المجـاهدين بقـيادة أسـامـة بن لادن يعتبـر تصريـحاً واضـحاً وعـداء ظاهراً للإسـلام والمسلمين.

ولكن لتـعلم أمريكا ومـن يحالفـها فى هذا الموقف، أننـا قادرون على مـواصلة الطريق وقادرون على المواجهة.

وإن كانت هذه الضـربات وهذا الغضب الإلهى الـواضح على أمريكا لم يردعـها ولم يُخفـها، ومـا حدث لروسـيا قبل ذلك لـم يعطها عبـرة، فلتعلم أن بـداية سقوطهـا بإذن الله سبحانه وتعالى سيكون بأول خطوة تخطوها على أرض أفغانستان المباركة.

هذا النداء الأخير أوجهه إلى أمة البليون إلى أمة الإسلام، أمة الجهاد، أمة محمد وأحفاد أبوبكر وعمر وخالد بن الوليد . أقول لهم : يا خيل الله اركبى ، يا خيل الله اركبى ، يا خيل الله اركبى ، فإن الواقعة حصلت ، والمعركة فاصلة بين الإيمان والكفر ، فاختاروا الخندق الذى تكونون فيه ، فهما خندقان لا ثالث لهما: إما أن نكون فى خندق أهل الإيمان وإما فى خندق أهل الكفر .

وثيقة (٦)

بيان لـ « القاعدة » يكرر التهديد باستمرار « عاصفة الطائرات »

صدر بعد إستمرار العمليات الأمريكية ضد الشعب الأفغانى مساء يوم (١٤/ ١٠/ ٢٠٠١م).

وفيما يأتى نص بيان «القاعدة»:

«بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فبناء على ما وردنا من أسئلة واستفسارات ورأينا حول الأحداث التى جرت فى الأيام الخمسة الماضية فإننا نقول بأن الحملة الصليبية التى يقودها بوش وبلير الصليبيان مازالت مستمرة على أرض أفغانستان الإسلامية وعلى أهلها، الذين يثبتون يوماً بعد يوم تضحيتهم وثباتهم وإصرارهم على نصرة دينهم وعقيدتهم. ونسأل الله العلى العظيم أن يثبت أقدامهم وأن يربط على قلوبهم وأن ينصرهم على القوم الكافرين.

كما نعلن وقوفنا التام مع هذه الإمارة ومع الشعب الأفغانى المسلم تجاه هذه الهجمة الشرسة بكل ما نملك من قوة مادية ومعنوية تحت قيادة أمير المؤمنين الملا محمد عمر حفظه الله وأيده بنصره المبين. ومهما طال زمن الحرب فالقضية هى قضية أمة بأكملها رفضت حياة الذل والخنوع تحت الغطرسة الأمريكية والبطش اليهودى.

ثانيا: يعلن تنظيم القـاعدة بأن بوش الأب وبوش الابن وبينهما كلينتـون وبلير وشارون على رأس المجرمـين من الصهاينة والصليـبيين الذين ارتكبـوا فى حق الأمة الإسلامـية أبشع الممارسات وأشنع الفظائع من قتل وتنكيل وتشريد، حيث قضى الملايين من المسلمين نحبهم من الرجال والنسـاء والأطفال من دون ذنب اقتـرفوه. فدماء هـؤلاء لن تضيع هدراً بإذن الله عز وجل حتى نقتص لهم من هؤلاء المجرمين .

وعلى بوش أن يعلم فى زحمـة غروره وزخمه الإعـلامى بالحرية الدائمة التى يـنشدق بها ألا ينسى مـشهد مـحمد الدرة وإخـوانه من أطفال المسلمين فـى فلسطين والعراق. وإن كان قـد نسى فإنـنا لن ننسى بإذن الله عز وجل مـا حيـينا ذلك المشهـد، وعليه أن يـعرف أن حريته الدائمـة التى يتشدق بها قـد قضت على قرى بأكملها فى قـندهار قرب جلال اباد فى أفغانستان حيث أبيدت القرى عن بكرة أبيها، ولـم يكن الأمر تعقباً وإنما كان تعمداً، فأى خطأ ذلك الذى يتكرر ثلاث مرات! فهذه القرية قـصفت فى أول الليل وقصفت فى وسط الليل وقصفت قبيل الفجر. وعلى الذين وقفوا مع هذه الحملة الصليبية أن يعملوا حقيقة - بعد أن استبان الأمر وتجلى - أنها هجمـة صليبية على الإسلام والمسلمين، وأين يذهب هؤلاء الذين وقفوا مع هؤلاء المجرمين من قول النبى صلى الله عليه وسلم «لزوال الأرض أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق». وماذا سيقولون عندما تنشر الصحف أمام الله سبحانه وتعالى وبين يديه عز وجل ، وماذا سيقـولون «إذا الموءودة سُئلت». ونحن فى هذا الصدد نؤيد الفتوى أو الفتاوى التى أصدرها كبار العلماء بعـدم جواز التعاون مع اليهود والنصارى، وأن من تعاون معهم ومدهم برأى أو قول أو فعل قد ارتكب ردة جامـحة ونقض إيمانه وكفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم(٠٠٠).

وفى هذا الصدد نحيى الشـباب المجاهد الذى عرف دوره وعرف الـطريقة التى يرد بها عدوان الظالمين فقام بقتل هؤلاء .

كما نحيى جـموع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربهـا الذين خرجوا فى تظاهرات غاضـبة لهذا العدوان الإجـرامى ولهذا البطش ولهذا الظـلم فى مشارق الأرض ومغـاربها.

ونقول لهم عليهم أن يستمروا فى هذا الضـغط . بخاصة بعد أن أعلن وزراء خارجية الدول الإسـلامية تأييدهم لهـذه الحملة الظـالمة، فهـؤلاء لا يمثلون الأمة فى حال من الأحـوال ، وليست لهم تلك الشرعية التى تؤهلهم للتصرف بمصير الأمة وقرارتها.

أما عن الـتحذير الذى قـام به بوش والإدارة الأمريكيـة وتلك القرارات التـى كان يراد منها تحجيم الفـضائيات ووكالات الأنباء العالمية من إيصـال صوتنا إلى العالم، ماهذا إلا دليل واضح على خوف الإدارة الأمريكيـة من أن تنكشف الحقيقـة التى أدت إلى أحداث الثلاثاء، ذلك الحقيقة التى تبين أن بوش عميل لإسرائيل ويضحى بشعبه واقتصاد بلده من أجل هؤلاء ويعاونهم على احتلال بلاد المسلمين والبطش بأبنائهم.

وأخيراً أوجـه خطابى إلى وزير الخـارجـية الأمـريكى الذى شكك فى بيـاننا السـابق ، والذى استـخف بما قلناه بأن هناك ألوفا من الشـباب المسلم يتـوقون إلى الموت ، وأن عاصـفة الطائرات لن تتوقف بإذن الله عز وجل. وباول وغيره من الإدارة الأمريكية يعلمون أن تنظيم القاعدة إذا وعد أو توعد أوفى بإذن الله عز وجل.

لذلك نقول له إن غداً لناظره قـريب ، والخبر ما ترى لا ما تسـمع . العواصف لن تهدأ وبخاصة عاصفة الطائرات . لن تهدأ هذه العواصف حتى تجروا أذيال الهزيمة فى أفغانستان وحتى ترفعـوا أيديكم عن دعم اليهود فى فلسطين وتفكوا الحصار عن شـعب العراق وحتى توقفوا دعمكم للهندوس ضد المسلمين فى كشمير.

ونقول أخـيراً ناصحـين ومن باب التأكـيد . نقول للمـسلمين فى أمريكا وفـى بريطانيا وللأطفـال الذين يرفـضون السـيـاسة الأمـريكيـة الظالمة ننصـحهم بعـدم ركـوب الطائرات وننصحهم بعدم السكن فى المبانى العالية وفى الأبراج.

لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وثيقــة (٧)

بيان لجماعة علماء المسلمين فى أوروبا ضد الهجمات على أمريكا وتدين تنظيم (القاعدة)

■ بسم الله الرحمن الرحيم

فيـما يخص الأحداث الأخيـرة التى استجدت بعـد حادث الحادى عشـر من سبتمـبر أيلول٢٠٠١

على رغم ما تقدم بـه أعضاء جماعـة علماء المسلمين - فى أوروبا من إعلان مـواقفهم الصريحة ضد عمـليات الإرهاب على اختلاف أنواعها، غير أن بعض المسـتجدات الأخيرة على الساحـة العالمية استـدعى أن تقوم جمـاعة علماء المسلمـين انطلاقاً من واجبهـا الشرعى الذى أكده الرسول الكريم فيما صح عنه مـن قوله (ﷺ)، «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهـر علمـه» - بـتجلية المـوقف الإسلامى إزاء الأحـداث الأخيـرة، فى شكل واضح ، والإعلان الصريح عن رأى الشريعة الإسلامية فيـها، ومن هنا فإن جماعة علماء المسلمين فى أوروبا تعلن ما يأتى:

١ - إن الإسلام دين الرحمـة والخير والسلام والحب والحرية والعدالة للبـشرية كلها، وإنما بُعث نبينا محمد (صلى الله عليـه وآله وسلم) داعياً إلى السلام والرحمة والحب للناس أجمعين. ومن أهم ما أكدتـه الشريعة الإسلامية واعتبرته واجباً مـؤكدا على كل مسلم توفير الأمن والراحة والاستقرار لجميع النـاس وإن لم يكونوا مسلمين. ومن أعظم الكبائر المحرمة التى شددت الشـريعة على حرمتهـا وأكدت ضرورة الاجتناب عنهـا سلب الأمن أو الراحة عند الناس وإرعابهم وإخافتـهم سواء كانوا مسلمين أو غير مـسلمين. وعلى هذا جرت سُنة الرســول (ﷺ) وأصحابه المؤمنين والتابعين لهم بإحسـان إلى يومنا هذا. وقد وصف الله سبحانه فى كتـابه نبينا محمداً بكونه رحمة للعالمين فقـال: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». فهو رحمـة للناس أجمعين ، بل ولجميع العالميـن. وقال سبحانه وتعالى: «من قتل نفـسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً».

٢ - إن عملية الحادى عشر من أيلول (سبتمبر) الماضى جريمة منكرة يشجبها الإسلام شجباً قاطعاً، وترفضها تعاليم الدين الإسلامى رفضاً باتاً، فإن من أعظم الكبائر عند الله إراقة الدماء بغير حق، وإرعاب الناس الآمنين من غير جريمة ارتكبوها. ومن المؤسف جداً أن تستغل هذه الجريمة من قبل أعداء الإسلام وبمساعدة بعض وسائل الإعلام الغربية لتشويه سمعة الإسلام والإساءة إلى المسلمين الذين هم أشد حرصا من غيرهم على سلامة الناس وأمنهم، وعلى راحة الناس وسعادتهم.

٣ - إن من أهم الأسباب التى تقف وراء هذا النوع من العمليات الإرهابية هى الشرعية التى يضفيها على هذا النوع من الإرهاب موقف القوى الكبرى وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية.

إننا نعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية لها الدور الأكبر فى خلق الأجواء المناسبة لظهور هذا النوع من الإرهاب، بل وفى إضفاء الشرعية عليه، وذلك:

أولا - بدعمها الصريح والمتواصل للحكومة الإسرائيلية التى لا يوجد فى العالم إرهاب أشد ولا أطول زمناً من إرهابها، فهل هناك من يجهل ما قامت به الحكومة الإسرائيلية من عمليات الإبادة الجماعية للناس الأبرياء فى دير ياسين وصبرا وشاتيلا وقانا وغيرها، وما تقوم به الآن فى كل يوم من قتل الأطفال والشيوخ والناس الأبرياء، وهدم منازلهم . بل وقطع الأشجار وإزالة مطلق آثار الحياة فى الأراضى الفلسطينية؟

إن حكومة شارون تعلن على رءوس الأشهاد أنها تتبع سياسة الإرهاب وتقوم بتنفيذها عمليا، رغم ذلك كله نجد أن أمريكا تساندها فى كل شىء بالمال والسلاح وبالمواقف السياسية، بل وتقف إلى جانبها فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن لتحول دون صدور أى قرار ضدها!

إن هذا الدعم الصريح لإرهاب الدولة الإسرائيلية من دولة عظمى كأمريكا يعتبر أقوى شىء فى إضفاء الشرعية على العمل الإرهابى. وهل هناك من عمل يضفى الشرعية على الإرهاب أشد من الدعم الكامل الصريح وعلى مختلف الصعد والمستويات من دولة عظمى كأمريكا لإرهاب معلن لإرهاب الدولة الإسرائيلية وحكومة شارون؟

ثانيا - بخلطها بين ما تقوم به قوى شعبية من الدفاع المشروع عن أرضها وعن حقها فى الحياة كالذى يقوم بـه الشعب الفلسطينى المظلوم فى الدفـاع عن أرضه المحتـلة وعن نفوس أطفاله ونسائه وشيوخه، وعن حقه فى السيادة والحياة، وما يقوم به الشعب اللبنانى من الدفاع عن بلاده وسيادته على أرضه من جهة، وبين العمليات الإرهابية والجماعات التى ترتكبها، من جهة أخرى.

إن ما تقوم به أمريكا من درج القوى الشعبية المدافعة عن أرضها وعن حقها فى السيادة والحياة ضمن قائمة الإرهاب وإلى وصفها بالجماعات الإرهابية، يشكل دعما معنويا قويا للإرهابيين وتشجيعا لهم فى سلوكهم الإرهابى، وإضفاء للمشروعية على جرائمهم الإرهابية، فأى تشجيع لقوى الإرهاب أشد من جعلها فى صف القوى المناضلة التى تناضل من أجل حق مشروع، وتكافح كفاحاً حقاً لا يشك فى شرعيته أى إنسان، ولا يرتاب فى حقانيته أى ضمير إنسانى حر؟

إننا ومن موقع حرصنا على جدية الكفاح ضد الإرهاب نؤكد أن من أولى شرائط جدية الكفاح ضد الإرهاب، الكف عن دعم إرهاب الحكومة الإسرائيلية وعدم الخلط بين القوى الشعبية المكافحة ضد الظلم والاحتلال، وبين جماعات الإرهاب.

٤ - إن التنظيم الذى يدعى (القاعدة) وعلى أساس من التصريحات التى أدلى بها الناطقون عنه فى وسائل الإعلام ، تنظيم مرفوض إسلاما ، لا صلة له بالإسلام ، ولا ينبغى أن تُحسب مواقفه على حساب الإسلام والمسلمين .

إن المواقف التى يدلى بها الناطقون باسم هذا التنظيم لا تنسجم مع تعاليم الإسلام ولا توافق الشريعة الإسلامية ولا صلة لها بكتاب الله وسنة رسوله، وليس فى القائمين على هذا التنظيم من يحمل المواصفات التى تؤهله للإفتاء طبقا لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا عبرة بما يعلنه الناطقون باسم هذا التنظيم من الناحية الشرعية.

٥ - فى الوقت الذى نعلن بصراحة عدم شرعية حكومة طالبان لعدم شرعية الطريقة التى وصلت بها إلى السلطة ، ولعدم انطباق سياساتها وتصرفاتها مع تعاليم الإسلام ومبادئه لكننا فى الوقت نفسه نستنكر بشدة الهجوم على الشعب الأفغانى المسلم المظلوم، ونرى أن

الأسلوب الذى اتخذته الولايات المتحدة فى تعاملها مع الشعب الأفغانى المظلوم أسلوب لا ينسجم مع الأعراف الدولية ولا المعايير القانونية، ولا يرتضيه الوجدان البشرى. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفرج عن المظلومين فى كل مكان ، وأن يمن برحمته على عباده المؤمنين. والحمد لله رب العالمين.

جماعة علماء المسلمين فى أوروبا

٢٨ رجب ١٤٢٢ هـ ـ ١٦/ ١٠/ ٢٠٠١

وثيقة (٨)

قائمة المنظمات الموضوعة على لائحة الإرهاب الأمريكية

ويلاحظ أن الأغلبية فى هذه القائمة الأمريكية الجديدة منظمات إسلامية مجاهدة تستهدف «المقاومة» وليس الإرهاب كما تزعم أمريكا .

١ - تنظيم القاعدة (أفغانستان).

٢ - جماعة أبو سياف (الفلبين).

٣ - جماعة أرماتا كورسا (كورسيكا - فرنسا).

٤ - الجماعات الإسلامية المسلحة - ٧ جماعات (الجزائر).

٥ - أوم شند ركيو (اليابان).

٦ - منظمة إيتا (أسبانيا).

٧- شوكا كوها (اليابان).

٨- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (فلسطين).

٩- حركة فتح -ـ المجلس الثورى - أبو نضال (مجهولة المقر).

١٠ - تنظيم فتح (فلسطين).

١١ - القوة ١٧ (فلسطين).

١٢ - حركة حماس (فلسطين).

١٣ - حركة المجاهدين (باكستان - كشمير).

١٤ - حزب الله (لبنان).

١٥ - الجيش الجمهورى الأيرلندى (أيرلندا الشمالية).

١٦ - جماعة الفقراء (باكستان).

١٧ - الجيش الأحمر اليابانى (اليابان).

١٨ - حركة الجهاد الإسلامى (مصر).

١٩ - حركة كاخ (إسرائيل).

٢٠ - حركة العمل الكردستانى (تركيا).

٢١ - حركة العشرة الطيبة (باكستان).

٢٢ - حركة لاو تارو الشبابية (شيلى).

٢٣ - حركة تحرير نمور تامير - إيلام (سيرلانكا).

٢٤ - قوة المتطوعين الموالين (ايرلندا الشمالية).

٢٥ - جبهة مانويا رود ريجز الوطنية (شيلى).

٢٦ - جبهة مورانز إنسنت الوطنية (هندوراس).

٢٧ - مجاهدى خلق (إيران).

٢٨ - جيش التحرير الوطنى الكولمبى (كولومبيا).

٢٩ - جبهة التحرير الوطنية الكورسيكية (فرنسا).

٣٠ - جبهة نستو برباز زامورا (بوليفيا).

٣١ - الجيش الشعبى الجديد (الفلبين).

٣٢ - جبهة تحرير فلسطين (العراق).

٣٣ - حركة الجهاد الإسلامى (فلسطين).

٣٤- الخمير الحمر (كمبوديا).

٣٥ - القيادة العامة للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين (فلسطين).

٣٦ - جبهة النضال الشعبى (سوريا).

٣٧ - الجيش الأيرلندى الجمهورى الحقيقى (أيرلندا الشمالية).

٣٨ - فصيل الجيش الأحمر (ألمانيا).

٣٩ - الألوية الحمراء (إيطاليا).

٤٠ - القوات المسلحة الثورية الكولمبية (كولومبيا)

٤١ - منظمة ١٧ نوفمبر الثورية (اليونان).

٤٢ ـ حزب جبهة التحرير الثورية (تركيا).

٤٣ ـ النضال الشعبى الثورى (اليونان).

٤٤ - حركة توباك أمارو الثورية - الدرب المضىء - (بيرو).

٤٥ - الجماعة الإسلامية (مصر).

٤٦ - حركة أوزباكستان الإسلامية (أوزباكستان).

٤٧ - حركة المجاهدين الكشميرية (كشمير).

وثيقـــة (٩)

قائمة أمريكية بالمتجمدة أرصدتهم المالية فى الولايات المتحدة

(باسم مكافحة الإرهاب وهم منها براء !!)

أصدرت الولايات المتحدة وبريطانيا خلال شهر أكتوبر ٢٠٠١م قائمة تضم ٣٩ مؤسسة وفردا تم تجميد أرصدتهم المالية للاشتباه فى أن لهم علاقات بجماعات إرهابية، وبذلك يرتفع عدد الأشخاص والمؤسسات التى يشتبه فى تمويلها لأنشطة الإرهاب إلى ٦٦مؤسسة وشخصية، وتضم القائمة ٦ منظمات و٣٣فردا منهم ثمانية تضمنهم بالفعل قائمة للأمم المتحدة أصدرتها فى مارس الماضى.

وذكرت وكالة روتير أن القائمة تضم عدة أشخاص يعتقد أنهم من مساعدى أسامة بن لادن المشتبه فيه الرئيسى فى اعتداءات ١١ سبتمبر بالولايات المتحدة.

وقال وزير الخزانة الأمريكى بول أونيل إن هذا الإجراء يأتى فى إطار الجهود الدولية لتضييق الخناق على تمويل جماعات إرهابية فى أنحاء العالم، مشيراً إلى أنه أبلغ هو ووزير الخارجية الأمريكى كولين باول جميع المؤسسات الاقتصادية بتجميد أرصدة المؤسسات والأشخاص المدرجة أسماؤهم فى تلك القائمة للاشتباه فى أنهم إرهابيون مطلوبون أو من ممولى الإرهاب.

ومن المؤسسات التى تضمنتها القائمة الجديدة متاجر مقرها فى اليمن.

وتضم القائمة أفراداً لهم عناوين فى باكستان واليمن ومصر وألمانيا.

وأحد المدرجين على القائمة يدعى عيادى شفيق بن محمد وله عدة أسماء وعناوين أحدها فى شمال لندن.

ومن بين الأسماء الـ ٣٩ هناك ١٨ مدرجة أسماؤهم من بين قائمة مكتب التحقيقات الفيدرالى «إف. بى. اى» لأخطر الإرهابين المطلوب اعتقالهم.

وفيما يلى قائمة الأفراد والمؤسسات:

- مأمون دركازانلى: أحد أعوان أسامة بن لادن بتنظيم القاعدة مطلوب اعتقاله فى تفجيرات السفارتين الأمريكيتين فى نيروبى ودار السلام عام ١٩٩٨.
- بلال بن مروان : على علاقة بـ بن لادن - مدرج اسمه بقائمة الأمم المتحدة.
- سعد الشريف: سعودى المولد شقيق زوجة بن لادن ، ويعتقد أنه رئيس شبكته المالية.
- د. أمين الحق: المنسق الأمنى لشبكة بن لادن . طبيب أفغانى المولد يمارس المهنة فى باكستان ومدرج بقائمة الأمم المتحدة.
- الحاج عبدالمنان أغا: سمسار نشيط فى مجال التحويلات المالية يدير شركة القدير للتجارة فى كويتا بباكستان.

- محمد الحماتى: يمتلك محلات «حلويات الحاتى» و«عسل النور» فى اليمن.
- صقر الجداوى: أحد مساعدى بن لادن . يعتقد أنه أحد مواطنى اليمن والسعودية.
- أحمد سعيد الخضر: (مصرى) أحد مساعدى بن لادن بتنظيم القاعدة يدير عمليات إنسانية دولية فى أفغانستان ومقره فى كندا. اعتقلته الشرطة الباكستانية لعلاقاته بتفجير السفارة المصرية فى إسلام أباد عام ١٩٩٥.
- ياسين القاضى: يرأس مؤسسة الموفق السعودية كواجهة لتنظيم القاعدة لتلقى ملايين الدولارات من رجال الأعمال السعوديين لتحويلها لـ بن لادن.
- عبادى شفيق بن محمد : تونسى المولد حاصل على الجنسية البوسنية . يرتبط بشبكة بن لادن المالية عبر مؤسسة الموفق فى ميونخ بألمانيا.
- رياض حجازى: مولود فى كاليفورنيا ، ويعيش بالولايات المتحدة حتى عام ١٩٩٩ ويقضى الآن عقوبة السجن بالأردن حيث تم إدانته بالتخطيط لاعتدائه على السائحين فى العاصمة الأردنية عمان خلال الاحتفالات بالألفية.
- مفتى رشيد أحمد ليدهايانوى: أحد القيادات الدينية فى كراتشى بباكستان ويرتبط بـ«الرشيد ترست» المالية.
- عمر محمود عثمان: أحد عملاء بن لادن فى أوروبا، ربما يعيش فى لندن.
- طاهر يولد اشيف: زعيم الحركة الإسلامية فى أوزبكستان التى تؤيد بن لادن وطالبان.
- عبدالرحمن ياسين: أمريكى وانتقل وهو طفل إلى العراق ثم عاد فى عام ١٩٩٢ لأمريكا.
- خالد شيخ محمد: مطلوب اعتقاله فى مؤامرة تفجير طائرة مدنية فوق المحيط الهادى فى يناير عام ١٩٩٥ يعتقد أنه كويتى أو باكستانى.
- أحمد إبراهيم المغسل: سعودى أدانته محكمة فيرچينيا لدوره فى تفجير المجمع العسكرى فى الخُبر.
- على سعيد بن على الحورى: سعودى أدين فى أحد التفجيرات.
- إبراهيم صالح محمد يعقوب: سعودى أدين فى أحد التفجيرات.

- عبدالكريم حسين محمد الناصر: سعودى أدين بعلاقته بأحد التفجيرات.
- فيصل عبدالله محمد: يعتقد أنه من جمهورية القمر الإسلامية خبير كمبيوتر.
- مصطفى محمد فضيلك . عراقى مطلوب اعتقاله لتورطه فى تفجير السفارة الأمريكية.
- فهد محمد على مسلم: بائع ملابس فى كينيا يقول رئيس الوزراء تونى بلير إنه أحد العناصر الفاعلة بتنظيم القاعدة اشترى شاحنة استخدمت فى تفجير السفارة الأمريكية بنيروبى.
- الشيخ أحمد سليم سويدان: يعتقد أنه كينى أو يمنى، كما يعتقد أنه متورط فى اعتداءات سبتمبر، وكان قد عمل فى كينيا فى مجال الشاحنات.
- أحمد خلافان غايلانى: تنزانى يشتبه فى تورطه فى الاعتداءات على السفارتين الأمريكيتين فى كينيا وتنزانيا.
- عبدالله أحمد عبدالله: مصرى، طار إلى كينيا فى ٦ أغسطس ١٩٩٨، أى قبل يوم من تفجير السفارتين الأمريكيتين، ثم ذهب إلى باكستان، ويعتقد أنه موجود فى أفغانستان فى الوقت الراهن.
- أنسى الليبى، ليبى، كان يعيش فى بريطانيا حتى وقت قريب بعدما حصل على حق اللجوء السياسى، ويعتقد أنه موجود بأفغانستان فى الوقت الراهن.
- أحمد محمد أحمد على: مصرى، كان يعيش بكينيا حتى ٢أغسطس١٩٩٨ ـ أى ٥أيام قبل تفجير السفارتين الأمريكيتين فى كينيا وتنزانيا، توجه إلى باكستان، ويعتقد الآن أنه فى أفغانستان.
- موسى متولى عطوه: مصرى، يعتقد أنه موجود بأفغانستان الآن.
- عماد مغنية : لبنانى ، مسئول العمليات العسكرية بحزب الله اللبنانى فى لبنان ، يشتبه فى تورطه فى عملية اختطاف وتفجير خلال الثمانينيات ، بينها عملية اختطاف طائرة « تى . دبليو . إيه » عام ١٩٨٥، ويعتقد أنه يعيش حالياً فى إيران.
- حسن عزالدين : لبنانى ، له علاقة بحزب الله اللبنانى ، ويعتقد أنه مازال يعيش فى لبنان .
- على عطوة : يعتقد أنه عضو بحزب الله ، ويشتبه فى أنه متورط فى عملية اختطاف، كما يعتقد أنه مازال يعيش فى لبنان .

المؤسسات والمجموعات :

- الحماتى للمخبوزات: يمتلكها محمد صديق باليمن.

- مخازن النور للعسل المعروفة بعسل النور ويمتلكها أيضا صديق الأحد باليمن.

- عسل الشفا للصناعة والتجارة فى اليمن ويمتلكها محمد أبو الفتوح محمد ، ويرتبط بالمركز الثقافى الإسلامى فى ميلانو بإيطاليا.

- جيش محمد . جماعة إسلامية مسلحة مؤيدة لطالبان ومقرها باكستان تتهمها واشنطن بتنفيد عدة تفجيرات فى الهند.

- جمعية التعاون الإسلامى . أسسها بن لادن فى أوائل العام الحالى ومقرها أفغانستان يقال إن أبو طلحة شقيق أصغر زوجات بن لادن يرأس تلك الجمعية.

- مؤسسة «رابطة ترست» يرأسها وائل حمزة جلال الدين أحد مؤسسى تنظيم القاعدة ورئيس المهام اللوجستية فى التنظيم وسبق أن شارك فى الجهاد ضد السوفييت فى أفغانستان.

الوثيقة رقم (١٠)

الحصيلة الاقتصادية لخسائر الاقتصاد الأمريكى بسبب الهجمات

بعد شهر على اعتداءات ١١ سبتمبر أيلول بدت الحصيلة الاقتصادية لخسائر الولايات المتحدة ثقيلة مع خسائر مادية وأرباح ضائعة تزيد على ١٠٠ بليون دولار إضافة إلى إلغاء أكثر من ١٠٠ ألف وظيفة.

فيما يلى تكاليف الاعتداءات الإرهابية وانعكاساتها على التوظيف فى أكثر القطاعات تكبداً للخسائر:

فى نيويورك (حسب تقديرات أولية وضعها أمين سر خزانة البلدية الان هيفيسى) :

- إعادة بناء مركز التجارة العالمى (مركز الأعمال الأمريكى الأساسى) بأبنية أقل ارتفاعا من البرجين السابقين المدمرين: ٦,٧ بليون دولار.

- إصلاح وترميم الأبنية الأخرى المتضررة: ٥,٣ بليون دولار.

- إصلاح البنى التحتية واستبدالها: تسعة بلايين دولار بينها أربعة بلايين لقطارات الأنفاق وثلاثة بلايين للهاتف والكهرباء والإمدادات.

- تجهيزات وسيارات وكمبيوترات وأجهزة معلوماتية متلفة : ١٢ بليون دولار .

- خسارة رواتب خمسة آلاف و٦٠٠ شخص: ١١ بليون دولار.

- تنظيف موقع مركز التجارة العالمى والتأكد من أمانه: تسعة بلايين دولار.

- الساعات الإضافية التى عملها موظفو بلدية نيويورك والخسائر فى السيارات وإعادة بناء المجارى، الخ: سبعة بلايين دولار.

- الإصلاحات التى يجريها مالكو العقارات وشركاؤهم: بليون دولار.

- علاجات طبية والخسائر فى عائدات الجرحى: ثلاثة بلايين دولار.

- الأرباح الضائعة للشركات وتوقف جزء كبير من النشاط الاقتصادى فى نيويورك: ٢١ بليون بينها ٧,٥ بليون لشركات الاستثمار فى بورصة وول ستريت التى تضررت جراء إغلاق وول ستريت لمدة أربعة أيام و٢,٣ بليون كربح فائت للفنادق والمطاعم.

- خسائر فى إيجارات المبانى المتضررة أو المهدمة ١,٧٥ بليون.

- خسائر فى عائدات الضرائب فى نيويورك بسبب انتقال عشرات الشركات إلى الضواحى: ثلاثة بلايين.

فى واشنطن

- إصلاح مبنى البنتاجون (مقر وزارة الدفاع) : بين ٧٠٠ و٨٠٠ مليون دولار .

شركات الطيران

- تحطم أربع طائرات تجارية: اثنتان من طراز «بوينغ ٧٥٧» واثنتان «بوينغ٧٦٧» بما يوازى مبلغ ٣٩٠مليون دولار حسب مصادر صناعية.

- أرباح ضائعة جراء توقف الحركة الجوية واضطرابها: خمسة بلايين دولار.

عمليات التسريح

- النقل الجوى: ألغت الشركات الجوية الأساسية الست ما مجموعه ٨٥ألف وظيفة فى الأسبوعين التاليين للاعتداءات.

- صناعة الطائرات: شركة صناعة الطائرات «بوينغ» ستسرح بين ٢٠ و٣٠ألفا من موظفيها حتى سنة ٢٠٠٢ بسبب تراجع الطلب المتوقع على الطائرات.

شركة صناعة السيارات «جنرال موتوزر» أعلنت عن إلغاء أربعة آلاف وظيفة.

تأثر أداء الناتج المحلى الحقيقى فى دول شرق آسيا بالهجمات (نسبة مئوية)

البلد	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢
أندونيسيا	٤,٨	٣,٣	٣,٥
كوريا (الجنوبية)	٨,٨	٢,٤	٣,٤
ماليزيا	٨,٣	٠,٩	٣,٧
الفلبين	٤,٠	٢,٥	٣,٥
تايلاند	٤,٣	١,٦	٣,٠
الصين	٧,٩	٧,١	٦,٨
فيتنام	٥,٥	٤,٩	٥,٨
اليابان	١,٥	٠,٨-	٠,١
متوسط عام	٣,٦	٠,٧	١,٧

وثيقة رقم (١١)

المهاجرون المصريين إلى الولايات المتحدة بين عامى ١٩٨٨ و ١٩٩٨

هذه الأعداد موثقة بإدارة الهجرة والجنسية الأمريكية

السنة	مجموع المهاجرين من كل دول العالم	السنة
١٩٨٨	٢٠٠، ٦٤٣	٣٠١٦
١٩٨٩	مليون و٩٠ألفا	٣٧١٧
١٩٩٠	مليون و٥٣٦	٤٠١٧
١٩٩١	مليون و٨٢٧ ألفا	٥٦٠٢
١٩٩٢	٩٧٤,٠٠٠	٣٥٧٦
١٩٩٣	٩٠٤,٠٠٠	٣٥٥٦
١٩٩٤	٨٠٤,٠٠٠	٣٣٩٢
١٩٩٥	٧٢٠,٠٠٠	٥٦٤٨
١٩٩٦	٩١٦,٠٠٠	٦١٨٦
١٩٩٧	٧٩٨,٠٠٠	٥٠٣١
١٩٩٨	٦٦٠,٠٠٠	٤٨٣١

عدد طالبى اللجوء السياسى من مصر وصل إلى ٣٩٥طالباً فى عام ٩٨ فقط، ورفضت الجهات الرسمية الأمريكية إعلان السبب الذى بمقتضاه حصل هؤلاء على حق اللجوء السياسى.

سجلات إدارة الهجرة والجنسية الأمريكية موثق بها عدد المهاجرين من جميع أنحاء العالم منذ عام ١٨٢٠ ويلاحظ أن نسبة المصريين المهاجرين إلى أمريكا تعد هزيلة جداً بالمقارنة بباقى الجنسيات.

وتؤكد السجلات الأمريكية أن المهاجر المصرى مسالم بطبعه ونشيط جداً فى عمله وأنه من أكثر المهاجرين التزاما بقوانين البلاد.

عدد الأمريكيين العرب فى أمريكا

تؤكد المصادر الإحصائية الرسمية فى أمريكا أن عدد المسلمين المتواجدين فى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية بصورة رسمية يبلغ سبعة ملايين.

توزيعهم كالتالى:

١ مليون مسلم أمريكى من أصول غربية.

٣مليون مسلم أمريكى من أصول أمريكية وغير عربية.

٣ مليون أمريكى من أصول غير أمريكية أغلبهم من باكستان والهند وإيران وتركيا والدول العربية.

أما مجموع إحصاء الأمريكيين من أصول عربية المقيمين بصورة رسمية فى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية فيبلغ ثلاثة ملايين عربى توزيعهم كالتالى:

٠٠٠, ١٠٠٠ مسلم بنسبة ٣٣٪ «الجالية الثانية فى أمريكا».

٠٠٠, ٣٠٠ بروتسانتى بنسبة ١٠٪.

٠٠٠, ٧٥٠ أرثوذكسى يونانى وكلدانى بنسبة ١٩٪

٠٠٠, ٦٠ أرثوذكسى مصرى بنسبة ٢٪

٠٠٠, ١٠٨ كاثوليك روم بنسبة ٣٦٪ الجالية الأولى فى أمريكا

وتقع أكبر تجمعات هؤلاء الأمريكيين من أصول عربية فى المدن التالية

٠٠٠, ٣٠٠ لوس انجلوس

٠٠٠, ١٦٥ نيويورك

٠٠٠, ٩٥ شمال شرق نيوجرسى

٠٠٠, ٩٥ شيكاغو

٠٠٠, ٧٠ واشنطن

وثيقة رقم (١٢)

التوزيع العرقى فى أفغانستان

يعتبر البشتون فى أفغانستان عماد السكان . ويطلق عليهم لقب « الأخ الأكبر » ، إذ يشكلون نسبة ٦٠٪ من السكان (البالغ عددهم ٢٢مليونا). وتدعى حركة «طالبان» تمثيل هذه الغالبية التى تنتشر فى وسط البلاد وجنوبها ولديها امتداداتها فى باكستان.

لكن الحركة تعتمد فى الواقع على جماعة المولوية التى تشكل تجمعاً دينياً وسياسياً وتملك القرار وتتحكم بالمناصب فى حكومة الحركة.

ولعب البشتون دوراً بارزاً أيام الجهاد ضد السوفييت، وقبله القتال ضد البريطانيين. ومعروف عن قبائلها قسوتها وقربها من العادات العربية، إذ تعتبر نفسها من أصول عربية، مما يفسر نفوذ العرب أمثال بن لادن فى أوساطها.

ويأتى الطاجيك فى المرتبة الثانية بعد البشتون، ويشكلون ٢٠٪ من السكان وينتشرون فى العاصمة وشمال شرقى البلاد. ويُعد أحمد شاه مسعود الذى قتل فى عملية أخيراً، أبرز قادتهم التاريخيين، ومع رحيله يغدو الطاجيك من دون قيادة طموحة طالما حلموا بها، ولو كان الرئيس الأفغانى برهان الدين ربانى من هذه الأقلية.

ويشكل الأوزبك حوالى ١٠٪ من السكان، وينتشرون فى شمال غربى البلاد، خصوصاً مدينة مزار الشريف المجاور لأوزبكستان. وبرز دورهم خلال سقوط نظام نجيب الله عام ١٩٩٢ حين لعب زعيمهم الجنرال عبدالرشيد دوستم دوراً فى إطاحة الحكم الشيوعى ودخول مسعود إلى كابول. لكن هذه الأقلية انتهى دورها وتفتتت بعد هزيمة دوستم فى معاركه مع حركة «طالبان» عام ١٩٩٧.

وتشكل الأقلية الشيعية (الهزارة) ١٠٪ من السكان. وتنامى دورها مع انتصار الثورة الإيرانية، لكن الانقسامات المتعددة أضرت بهذه الأقلية بعد أن تم توحيدها تحت راية حزب

الوحدة الإسلامى بزعامة عبدالعلى مزارى الذى لعب الحزب دوراً فى مرحلة ما بعد نجيب الله. لكن «طالبان» قتلت مزارى وسددت ضربة لحزبه باجتياحها مناطقه وسط أفغانستان.

ويعيش فى الشمال الأفغانى أيضاً أبناء أقليات أخرى مثل الهندوس والتركمان وغيرهم. لكن هؤلاء مقهورون لا صوت لهم.

قوة طالبان

تستخدم الحركة معدّات عسكرية وأسلحة ثقيلة تعود إلى الستينيات وهى من مخلفات الاتحاد السوفيتى السابق. أمّا الأسلحة المدمرة التى تملكها فتقتصر على بعض الصواريخ من طراز «سكود» وأخرى مضادة للطائرات وهى قديمة لدرجة أنها قد لا تعمل.

أمّا المقاتلون الذين يشكّلون جيش «طالبان» ويتراوح عددهم بين ٣٥ألفاً و٤٠ ألفاً يضاف إليهم نحو ثلاثة آلاف مقاتل عربى من أتباع بن لادن فهم مخلصون لزعيم الحركة الملا محمد عمر. غير أن العديد منهم قد يختارون الفرار إلى أماكن آمنة لتأمين لقمة العيش لأفراد عائلاتهم، فى غياب دعم مادى من الجوار.

ويقوم ضباط شيوعيون سابقون بدلوا ولاءهم فجأة بعد سقوط نظام نجيب الله بإدارة الأسلحة العسكرية لـ «طالبان». لكن معظمهم لا يشارك محمد عمر وبن لادن نياتهم الاستشهادية.

وأفادت تقارير غربية أخيرا أن الحقد على بن لادن متزايد خصوصا بين شيوخ للقبائل البشتونية . إذ يشعرون أنهم أهملوا بعدما تخلى محمد عمر عن مجلسه القبلى الذى يضم شيوخ القبائل والتجار والقادة العسكريين لمصلحة مجموعة صغيرة تسديه النصح وتدير البلاد.

وتتألف هذه المجموعة من بشتونيين متطرفين من الشرطة السياسية وبعض القضاة الإسلاميين وقادة الجيش والغرباء كالعرب والباكستانيين المتطرفين.

وحال هؤلاء دون توصل البشتون إلى تفاهم مع أبناء الأقليات العرقية الأخرى على تشكيل حكومة تمثل الجميع وتكون منسجمة ومعتدلة.

معسكرات «الأفغان العرب»

أما بالنسبة إلى معسكرات «الأفغان العرب» فتؤكد مصادر، استنادا إلى معلومات استخباراتية، أن بن لادن تمكن بمعاونة زعيم «جماعة الجهاد» المصرية الدكتور أيمن الظواهرى الذى يلازمه من إعادة نشاطها مرة أخرى. ويعد معسكرا «بدر واحد» و«بدر اثنين» الموجودان فى منطقة خوست فى مقاطعة باكتيا القريبة من الحدود مع باكستان أهم تلك المعسكرات. وهما كانا يتبعان «الحزب الإسلامى» بزعامة قلب الدين حكمتيار ثم تولاهما بن لادن بعد ما أحكمت «طالبان» السيطرة على المقاطعة. وتؤكد المصادر أن نحو ١٦٠ مقاتلاً غالبيتهم من العرب كانوا حتى وقت قريب يتدربون داخل المعسكرين.

وقرب المدينة يقع معسكر «جاجى» الذى كان يتبع «الاتحاد الإسلامى» (جماعة سياف) واستولى عليه الأفغان العرب. ويعتقد بأن سورياً يتولى إدارته.

وقرب مدينة «جلال أباد» هناك قاعدة «تورا ـ بورا» الحصينة التى تم تدميرها بواسطة القصف الأمريكى، لكن بن لادن أوكل إلى اتباعه إعادة تشييدها ضمن جهود كبيرة بذلك لإعادة الحياة إلى المعسكرات والقواعد التى تقع قرب الحدود مع باكستان ومنها معسكرات: «عمر» و«الخالدون» و«فاروق» إضافة إلى مركز «عبدالله عزام التدريبى» الذى كان يقيم فيه وقت قريب عشرات من العرب والطاجيك. وتعمل فى منطقة خوست معسكرات تابعة لبن لادن تم فيها تدريب أصوليين على القيام بعمليات فى كشمير تحت قيادة مصريين وجزائريين.

وعلى أطراف المدينة نفسها هناك معسكر «أبوبكر» الذى تم فيه تدريب عناصر تابعة للظواهرى على حروب المناجم. ورصد نشاط حافل فى الفترة الأخيرة فى منطقة «جراجية» فى خوست حيث شارك نحو ٧٠٠ أصولى فى تدريبات ضمن برنامج استمر نحو ٩ شهور. وبين هؤلاء نحو ١٦ ناشاطاً من مقاطعة زينزيانغ فى الصين.

ويعتقد بأن المنطقة بين جلال أباد وطورخام على الحدود الباكستانية ـ الأفغانية زاخرة بمعسكرات «الأفغان العرب» وتخضع مباشرة إلى إشراف بن لادن والظواهرى وفيها معسكرات «تراكى تانجى» و«نازيان شينوار» و«مظفر أباد» و«ديالا» إضافة إلى معسكر «جلال أباد» نفسه الذى صار قاعدة مهمة لـ «الأفغان المصريين»، وكذلك معسكر «دارنتا»

الذى يديره مصرى يدعى «أبوعبدالله» تولى أخيراً تدريب نحو ٣٠٠شخص من الفيلبين وباكستان وماليزيا وتركيا ومصر والجزائر والسودان.

وفى مقاطعة «لوجز» القرية من باكتيا هناك معسكر «كانجاك» الذى استولى عليه بن لادن من جماعة حكمتيار . وفى كونار الغربية أيضاً معسكرات «باريكوت» و«بيركالا»و«ساركاتى» و«دينش» و«تويتى». وفى المدينة نفوذ طاغ لجماعة عربية مسلحة هى «جماعة خليفة» التى يقودها أردنى من أصل فلسطينى هو عبدالله الرفاعى.

(المصدر/ صحيفة الحياة ٢١/ ٩/ ٢٠٠١)

وثيقة رقم (١٣)

وثيقة بلير

وثيقة بريطانية تحاول أن تورد « الأدلة » على تورط « القاعدة »

- كما سيلاحظ القارىء هذه الوثيقة رغم طولها وتفاصيلها المملة ليس بها دليل واحد قاطع على تورط بن لادن أو تنظيم القاعدة فى ارتكاب أحداث (١١/ ٩/ ٢٠٠١م)
- أكد رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير يوم ٥/ ١٠/ ٢٠٠١ أمام مجلس العموم البريطانى وقبل بدء الحملة الأمريكية البريطانية بيومين أن أسامة بن لادن وتنظيم «القاعدة» مسئولان عن الاعتداءات الإرهابية يوم ١١أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١. وقال إن بلاده تملك أدلة وجاء فى نص الوثيقة ما يلى:

المسئولية عن المجازر الإرهابية فى الولايات المتحدة :

«لا تزعم هذه الوثيقة أنها تشكل ادعاء يمكن تقديمه إلى المحاكم ضد أسامة بن لادن. إذا لا يمكن فى حالات كثيرة استعمال معلومات الاستخبارات كأدلة، بسبب قواعد مقبولية الأدلة فى المحاكم من جهة، والحاجة إلى حماية مصادر المعلومات من الجهة الثانية. لكن حكومة صاحبة الجلالة، بناء على كل المعلومات المتوافرة لها، واثقة بصحة النتائج الواردة فى هذه الوثيقة».

المسئولية عن المجازر الإرهابية فى الولايات المتحدة فى ١١ أيلول (سبتمبر ٢٠٠١)

مقـــــدمة:

١ - النتائج الواضحة التى استخلصتها الحكومة كما يأتى:

* أسامة بن لادن، وشبكة الإرهاب التى يرأسها «القاعدة»، خططاً ونفذا المجازر فى ١١ أيلول (سبتمبر).

* أسامة بن لادن و«القاعدة» لاتزال لهما الإرادة والموارد للقيام بالمزيد من المجازر.

* المملكة المتحدة ومواطنوها من بين الأهداف المحتملة.

* أسامة بن لادن و«القاعدة» تمكنا من ارتكاب هذه المجازر بسبب تحالفهما مع نظام «طالبان»، الذى سمح لهما بحرية التحرك للقيام بأعمالهما الإرهابية.

٢ - مصدر المعلومات عن ١٩٩٨ والسفينة الحربية الأمريكية «كول» هو الاتهامات الرسمية ومصادر الاستخبارات مصدر المعلومات عن ١١ أيلول (سبتمبر)٢٠٠١ الاستخبارات والتحقيقات الجنائية حتى الآن.

وإذ لا يمكن إعطاء التفاصيل فيما يخص بعض أوجه القضية، فإن الوقائع واضحة بناء على معلومات الاستخبارات.

٣ - هذه الوثيقة لا تشمل كل المعلومات لدى حكومة صاحبة الجلالة، أخذاً فى الاعتبار الحاجة المستمرة والمطلقة لحماية المصادر.

تلخيص:

٤ - الوقائع ذات العلاقة تبين ما يلى:

الخلفية

* «القاعدة» منظمة إرهابية مرتبطة بشبكة عالمية، ويعود وجود «القاعدة» إلى أكثر من عشر سنوات، وقد أسسها وقادها دوماً أسامة بن لادن.

* أسامة بن لادن و«القاعدة» يمارسان الجهاد ضد الولايات المتحدة وحلفائها. من بين أهدافهما المعلنة قتل المواطنين الأمريكيين وشن الهجمات على حلفاء أمريكا.

* أسامة بن لادن و«القاعدة» يتخذان أفغانستان قاعدة لهما منذ ١٩٩٦ لكن لهما شبكة للعمليات فى أنحاء العالم. من بين ما تشمله الشبكة معسكرات التدريب والمستودعات ومرافق الاتصال والمعاملات الاقتصادية القادرة على الحصول على مبالغ مهمة من المال لدعم العمليات. من بين الأنشطة الاستغلال على نطاق مهم لتجارة المخدرات من أفغانستان.

* بين «القاعدة» ونظام «طالبان» تحالف يقوم على الاعتماد المتبادل. إذ يقدم أسامة بن لادن و«القاعدة» إلى «طالبان» الدعم المادى والمالى والعسكرى، ويشترك الطرفان فى استغلال تجارة المخدرات. ويسمح نظام طالبان لبن لادن بتشغيل معسكرات التدريب على الإرهاب والقيام بنشاطاته من أفغانستان، كما يحميه من الهجمات الخارجية ويحمى مخزون المخدرات. ولم يكن باستطاعة أسامة بن لادن القيام بنشاطاته الإرهابية من دون التحالف مع نظام «طالبان» وتلقى الدعم منه. بالمقابل فإن سلطة «طالبان» ستضعف فى شكل خطير من دون الدعم المالى والعسكرى من أسامة بن لادن.

* لأسامة بن لادن والقاعدة القدرة على القيام بهجمات إرهابية رئيسية.

* ادعى أسامة بن لادن بالمسئولية عن الهجوم على الجنود الأمريكيين فى الصومال فى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٣، الذى قتل فيه ١٨ جندياً، وعن الهجوم على سفارتى الولايات المتحدة فى كينيا وتنزانيا فى آب (أغسطس) ١٩٩٨ الذى أدى إلى مقتل ٢٢٤ شخصا وجرح نحو خمسة آلاف غيرهم، كما أن هناك ما يربطه بالهجوم على السفينة الحربية الأمريكية «كول» فى ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٠ الذى أدى إلى مقتل ١٧ من طاقم السفينة وجرح ٤٠ غيرهم.

* أنهم سعوا إلى الحصول على مواد نووية وكيماوية لاستعمالها أسلحة للإرهاب.

فيما يخص الهجمات الإرهابية فى ١١ أيلول (سبتمبر)

٥ - علمنا بعد ١١ أيلول (سبتمبر) أن أسامة بن لادن، قبل الهجوم بوقت قصير، أشار إلى أنه على وشك شن هجوم رئيسى على أمريكا. وقام بتنفيذ الخطة المفصلة للهجمات

الإرهابية فى ١١ أيلول (سبتمبر) واحد من أعوانه المقربين. وتأكد بعد الهجمات أن ثلاثة على الأقل من الـ١٩ شخصا الذين خطفوا الطائرات، لهم روابط مع «القاعدة».

وكانت الهجمات فى ١١ أيلول (سبتمبر) مشابهة، من حيث طموحها والتأثير المطلوب لها، للهجمات السابقة التى قام بها أسامة بن لادن و«القاعدة»، كما أن هناك سمات مشتركة بين كل هذه الهجمات، خصوصاً من هذه النواحى:

* المهاجمون الانتحاريون:

١ - نسقوا شن الهجمات خلال يوم واحد.

٢ - الهدف كان إيقاع العدد الأكبر من الخسائر البشرية الأمريكية.

٣ - أبدوا لا مبالاة تامة بالضحايا الآخرين، من ضمن ذلك المسلمين.

* التخطيط الدقيق على المدى البعيد

١ - عدم إعطاء تحذير مبكر

٦ - تحتفظ «القاعدة» بالقدرة والإرادة للقيام بالمزيد من الهجمات على الولايات المتحدة وحلفائها، من ضمنهم المملكة المتحدة.

٧ - «القاعدة» لا تعطى تحذيراً مسبقا من هجوم إرهابى.

الوقائع

أسامة بن لادن و«القاعدة»

٨ - فى ١٩٨٩ أسس أسامة بن لادن وآخرون مجموعة إرهابية دولية باسم «القاعدة»، أسامة بن لادن هو رئيس «القاعدة» منذ ذلك الحين.

٩ - قاعدة أسامة بن لادن من ١٩٨٩ إلى ١٩٩١ كانت فى أفغانستان وفى بيشاور فى باكستان. وانتقل فى ١٩٩١ إلى السودان حيث بقى إلى ١٩٩٦، وعاد السنة نفسها إلى أفغانستان، حيث بقى إلى الآن.

نظـام « طالبان »

١٠ - برزت حركـة «طالبان» أوائل التـسعينيـات من مخـيمات اللاجـئين الأفـغان فى باكستان، وتمكنت بحلول ١٩٩٦ من السيطرة على كابول. ولايزال النظام يخوض حرباً أهلية دموية من أجل السيطرة على كل أفغانستان. قائد «طالبان» هو الملا (محمد عمر).

١١ - فى ١٩٩٦ عاد أسـامة بن لادن إلى أفـغانسـتان وأقام عـلاقة وثيـقة مع الملا عـمر ورمى بكل ثقله وراء «طالبان». بين أسامة بن لادن والملا عمر تحالف وثيق يعتمد عليه وجود الطرفين. ويتشارك الاثنان فى القيم والرؤية الدينية.

١٢ - قـدم أسامـة بن لادن لنظام «طالـبان» المقـاتلين والسـلاح والمال لقـتال الـتحـالف الشـمالى وهو يشـارك بقوة فى التـدريب العـسكرى والتخطيـط والعمليـات التى يقوم بهـا نظام«طالبان»، وله ممثل فى بنية القيـادة العسكرية لـ «طالبان». كما قدم أيضا مسـاعدات فيما يخص البنى التـحـتيـة والمعـونة الإنسانيـة. قـوات أسامـة بن لادن تخـوض الحرب الأهليـة الأفغانية جنبا إلى جنب مع «طالبان».

١٣ - وفّر الملا عـمر إلى بن لادن ملاذاً آمنا يتـمكن من العمل فـيه ، وسمح له بإقـامة مـعسكرات فى أفـغـانسـتـان للتـدريب على الإرهاب ويتـشارك الاثنان فى اسـتـغلال تجارة المخدرات من أفـغانسـتـان . ويسمح نظام « طالبـان » لتنظيم القاعـدة - مقابل الحـصول على الدعم الفـاعل من التنـظيم - بالعـمل بحـرية فى أفـغـانسـتـان ، من ضـمن ذلك التـخطيط والتـدريب والتهيئـة للقيـام بالنشاط الإرهـابى . إضافـة إلى ذلك يوفر نظام طالبـان الحمـاية لمخزون المخدرات.

١٤ - أثارت الولايات المتحدة مع نظام « طالبان » ، منذ استيلاء الحركة على كابول فى ٦١٩٩ ، عـددا كبـيـراً من القـضايا ، من بيـنها المسـاعـدات الإنسانـية والإرهاب . ووفـرت الولايات المتحدة لـ « طالبـان » قبل وقت طويل من ١١ أيلول (سبتـمبر) ٢٠٠١ ، أدلة على مسئولية القاعدة عن الهـجومين الإرهابيين فى شـرق إفريقيا . وقدمت هـذه الأدلة إلى كبار قادة طالبان بناء على طلبهم .

١٥ - أوضحت الولايات المتحدة إلى نظام «طالبان» أن القاعدة قتلت مواطنين أمريكيين وخططت لقتل المزيد منهم وعرضت العمل مع «طالبان» لطرد الإرهابيين من أفغانستان. ولم تؤد هذه المحادثات التى استمرت منذ ١٩٩٨ إلى نتيجة.

١٦ - فى حزيران (يونيو) ٢٠٠١، وإزاء الأدلة المتزايدة على التهديد الذى يمثله تنظيم «القاعدة»، حذرت الولايات المتحدة نظام «طالبان» بأن لها حق الدفاع عن النفس وأنها ستحمل النظام مسئولية الهجمات على مواطنين أمريكيين يقوم بها إرهابيون يحتمون فى أفغانستان.

١٧ - قامت الولايات المتحدة بذلك بدعم من الأمم المتحدة. وفى قراره ١٢٦٧ أدان مجلس الأمن بن لادن بسبب رعايته الإرهاب الدولى وتشغيل شبكة من معسكرات الإرهاب، وطالب نظام «طالبان» بتسليم بن لادن من دون تأخير لكى يواجه العدالة.

١٨ - بالرغم من الأدلة التى قدمتها الولايات المتحدة عن مسئولة بن لادن والقاعدة عن التفجيرات فى شرق إفريقيا فى ١٩٩٨، وبالرغم من التوقع الدقيق للمزيد من المجازر، وبالرغم من مطالبة الأمم المتحدة، فقد كان جواب نظام «طالبان» أن ليس هناك أدلة ضد أسامة بن لادن وأن النظام لن يطرده.

١٩ - وصف مسئول حكومى أفغانى سابق « طالبان » وبن لادن بأنهما « وجهان لعملة واحدة . إذ لا بقاء لأسامة بن لادن فى أفغانستان من دول طالبان ولا بقاء لطالبان من دون أسامة » .

القاعدة

٢٠ - «القاعدة» مصممة على معارضة الحكومات «غير الإسلامية» فى البلاد المسلمة.

٢١ - «القاعدة» تُعارض بشدة الولايات المتحدة . وحض أسامة بن لادن وحرض اتباعه على قتل المواطنين الأمريكيين، بتعابير واضحة تماماً.

٢٢ - فى ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٦ أصدر «إعلان جهاد» جاء فيه:

إخوانى المسلمين: إخوتكم فى فلسطين ... يناشدونكم المساعدة وأن تشتركوا فى القتال ضد العدو - أمريكا والإسرائيليين .

يطلبون منكم أن تقوموا بما تستطيعون لطرد الأعداء...».

ثم قـال فى وقـت لاحق من تلك الـسنة: «إرهاب المحـتلين الأمـريكيـين واجب دينى وشرعى».

وفى شباط: (فـبراير) ١٩٩٨ أصدر فتـوى ووقعها وتوجـه فيها إلى المسلمـين: «.. قتل الأمريكيين وحلفائهم المدنيين والعسكريين فرض عين على كل مسلم فى أى دولة كانوا فيها حتى يتحرر المسجد الأقصى وتغادر جيوشهم أرض المسلمين».

وفى « الفتـوى » ذاتها دعا عـلماء المسلمين وقـادتهم وشبابهـم إلى : « مهاجـمة جنود الشيطان الأمريكى » .

وختم « نـحـن - بعـون الله - ندعو كل مـسـلم يؤمن بالله ويريد أن يكافـأ ، أن ينفـذ أمر الله بقتل الأمريكيين ونهب أمـوالهم أينما وجدوا . وندعو أيضا (٠٠٠) إلى شن غارات على قوات الشيطان الأكبر وداعميها المتحالفين معها، وأن يشردوا أولئك الواقفين معهم».

عندما سُئل، فى ١٩٩٨، عن الحصول على أسلحة كيماوية ونووية أجاب:

«إن الحصول على هذ الأسلحة للدفاع عن المسلمين واجب دينى»

وقال فى مقـابلة بثتها قناة « الجزيرة » (الدوحـة . قطر) : « عدونا كل رجل فى أمريكا ، سواء كان يُقاتلنا مباشرة أو يدفع ضرائب ، (لحكومته) » .

وفى مقابلتين بثهما التليفزيون الأمريكى فى ١٩٩٧ و١٩٩٨ أشار إلى الإرهابيين الذين نفذوا الهـجوم على مركـز التجارة العـالمى فى ١٩٩٣ على أنهم «مثال يحـتذى».وذهب إلى حض اتباعه على نقل القتال إلى أمريكا.

٢٣ - سـعى أسامـة بن لادن منذ بدايـة التسـعينيـات ، إلى الحصـول على مـواد نووية وكيماوية لاستخدامها كأسلحة إرهاب .

٢٤ - على رغم أن الأهداف الأمـريكيـة هى الأولوية لـ «القـاعـدة» ، إلا أنهـا تُهـدد صراحة حلفاء الولايات المتحدة. فالإشارة إلى «التـحالف الصهيونى - الصليبى والمتعاونين معه» و«قوات الـشيطان الأمريكية ومؤيدى الشيطان المتـحالفين معها» هى إشـارات تتضمن المملكة المتحدة فى شكل واضح جدا.

٢٥ - هناك تهديد مستمر، قياساً على خبرتنا فى طريقة عمل الشبكة فى الماضى. فإن شبكات أخرى - كالتى نفذت الهجمات الإرهابية فى ١١أيلول (سبتمبر) - لابد أن يُفترض أنها موجودة.

٢٦ - «القاعدة»، تعمل لوحدها ، وأيضا من خلال شبكات منظمات إرهابية أخرى. وهذه تتضمن جماعة الجهاد الإسلامى المصرية وجماعات إرهابية متشددة أخرى من شمال إفريقيا، وعدد من الجماعات الجهادية الأخرى فى دول أخرى بينها السودان واليمن والصومال وباكستان والهند. وتحتفظ «القاعدة» بخلايا وأشخاص فى عدد من الدول لتسهيل نشاطاتها.

٢٧ - يرأس أسامة بن لادن شبكة «القاعدة». وتحته مجلس شورى يضم جماعات إرهابية أخرى، مثل زعيم جماعة الجهاد المصرية أيمن الظواهرى وقادة أخرين بارزين مثل أبو حفص المصرى وجماعة الجهاد - فى الواقع - ذابت فى القاعدة .

٢٨ - إضافة إلى مجلس الشورى «القاعدة»، تملك لجاناً أخرى تتعاطى مع الشئون العسكرية، الإعلامية، المالية والإسلامية.

٢٩ - محمد عاطف عضو فى اللجنة المكلفة بالعمليات العسكرية والإرهابية . وواجباته تتضمن أساساً مسئولية تدريب أعضاء «القاعدة» .

٣٠ - أعضاء «القاعدة» يجب أن يُؤدوا بيعة تقضى باتباع أوامر أسامة بن لادن.

٣١ - كمية كبيرة من الأدلة ضد أسامة بن لادن و«القاعدة» باتت متوافرة فى قرارات اتهام أمريكية فى شأن جرائم سابقة.

٣٢ - قام أسامة بن لادن منذ ١٩٨٩، بتحويلات مالية وتجارية مهمة لمصلحة «القاعدة»، ومن أجل تحقيق أهدافها . وهذه تتضمن شراء أراض لإقامة مخيمات تدريب ، شراء مخازن لحفظ أغراض بينها متفجرات ، شراء أجهزة اتصال وأجهزة الكترونية ، نقل أموال وأسلحة إلى أعضاء «القاعدة» والمنظمات الإرهابية المرتبطة بها فى دول عبر العالم.

٣٣ - أقام أسامة بن لادن منذ ١٩٨٩، مخيمات تدريب وبيوت ضيافة فى أفغانستان، باكستان، السودان، الصومال وكينيا لاستخدامها من قبل «القاعدة» والجماعات الإرهابية المرتبطة بها. ونعلم من الاستخبارات أنه فى أفغانستان حالياً ما لا يقل عن ١٢ مخيما، أربعة منها على الأقل تُستخدم لأغراض إرهابية.

٣٤ - أقام أسامة بن لادن منذ ١٩٨٩، مشاريع تجارية لتوفير مدخول لـ «القاعدة» ، وتوفير غطاء لشراء متفجرات، أسلحة ومواد كيماوية، ولتسهيل سفر أعضاء «القاعدة» . ومن هذه المشاريع شركة قابضة تدعى «وادي العقيق»، وشركة مقاولات تدعى «الهجرة»، وشركة زراعية تدعى «الثمار المباركة» وشركات استثمار تعرف بـ «لادن انترناشيونال» و«طابا انفستمنت».

أسامة بن لادن والاعتداءات السابقة

٣٥ - بين ١٩٩٢ و١٩٩٣، سافر محمد عاطف إلى الصومال بمناسبات مختلفة بهدف تنظيم عمليات عنف ضد قوات الولايات المتحدة والأمم المتحدة التى كانت آنذاك متمركزة فى الصومال. وفى كل مرة كان يعود ويقدم تقريراً إلى أسامة بن لادن فى مقره فى حى الرياض.

٣٦ - فى ربيع ١٩٩٣، بدأ عاطف، وسيف العدل، وهو عضو بارز فى «القاعدة»، وأعضاء آخرون تقديم تدريب عسكرى إلى قبائل صومالية تُحارب قوات الأمم المتحدة.

٣٧ - فى ٣ و٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٣، شارك أعضاء فى «القاعدة» فى هجوم على عسكريين أمريكيين يخدمون فى الصومال كجزء من عملية «إعادة الأمل». وقُتل ١٨ عسكرياً أمريكياً فى ذلك الهجوم.

٣٨ - بدأ أعضاء «القاعدة» منذ ١٩٩٣ فى العيش فى نيروبى وأقاموا مشاريع هناك، بينها «اسما ليميتد» و«لازانايت كينغ». وكان أعضاء بارزون فى «القاعدة» يزورونهم، خصوصاً عاطف وأبو عبيدة البنشيرى.

٣٩ - فى وقت لاحق من ١٩٩٣، بدأ أعضاء «القاعدة» فى كينيا يناقشون إمكان مهاجمة السفارة الأمريكية فى نيروبى رداً على مشاركة الولايات المتحدة فى عملية «إعادة الأمل» فى الصومال. عاين على محمد، وهو مواطن أمريكى يُقر بعضويته فى «القاعدة»، السفارة الأمريكية كهدف محتمل لهجوم إرهابى، أخذ صوراً ورسوماً لها وقدّمها إلى أسامة بن لادن عندما كان فى السودان. أقرّ أيضا بأنه درّب إرهابيين من «القاعدة» فى أفغانستان فى بداية التسعينيات ، وأن كثيرين من الذين درّبهم تورّطوا فى عمليات التفجير فى شرق إفريقيا فى أب (أغسطس) ١٩٩٨.

٤٠ - فى حزيران (يونيو) وتموز (يوليو) ١٩٩٨، اشترى اثنان من «القاعدة»، فهد محمد على مسلم والشيخ أحمد سليم سويدان، شاحنة تويوتا وأجروا بعض التعديلات على صندوقها الخلفى.

٤١ - فى بداية اب (أغسطس)١٩٩٨، اجتمع أعضاء «القاعدة» فى عنوان٤٣ «نيو روندا استيت» فى نيروبى لتنفيذ عملية تفجير السفارة الأمريكية فى العاصمة الكينية.

٤٢ - فى ٧ اب (أغسطس) ١٩٩٨، قاد «عزّام»، وهو سعودى عضو فى «القاعدة» ، شاحنة تويوتا إلى السفارة الأمريكية، فى صندوقها الخلفى قنبلة ضخمة.

٤٣- فى الشاحنة ذاتها جلس سعودى آخر هو محمد راشد داوود العوهلى . وهو - بحسب اعترافه - عضو فى «القاعدة» فى أفغانستان على المتفجرات، خطف طائرات ، خطف، اغتيال ، وأساليب التجسس . وبموافقة أسامة بن لادن، حارب إلى جانب «طالبان» فى أفغانستان . التقى أسامة بن لادن شخصيا فى ١٩٩٦ وطلب منه «مهمة» . فأرسله أسامة بن لادن إلى شرق إفريقيا، بعد تدريب خاص فى مخيمات فى أفغانستان.

٤٤ - مع اقتراب الشاحنة من السفارة، خرج العوهلى ورمى قنبلة يدوية صوتية على أحد الحراس، وقاد «عزام» الشاحنة إلى الجزء الخلفى للسفارة. وخرج منها ثم فجّر القنبلة التى دمرت مبنى مدرسة سكرتارية من طوابق عدة وألحقت أضراراً جسيمة بمقر السفارة الأمريكية ومبنى المصرف التعاونى. وأدى التفجير إلى قتل ٢١٣شخصاً وإصابة ٤٥٠٠ آخرين بجروح، وقتل «عزام» فى الانفجار.

٤٥ - كـان العوهلـى يتوقع أن يقـتل فى العـمليـة. وكان مـسـتعـداً للموت من أجل «القاعدة». لكنه فر فى اللحـظة الأخيرة من الشاحنة المفخخة وبقى على قـيد الحياة. ولم تكن لديه أى نقود أو جواز سفر أو خطة للهرب بعد تنفيذ المهمة لأنه كان يتوقع أن يموت.

٤٦ - وبعد بـضعة أيام اتـصل برقم هاتف فى اليمن كى يحـول إليه مبلغ من المال فى كينـيا. وتلقى هذا الرقم فى اليـمن اتصالاً من جـهاز الهـاتف العائد لبن لادن فى الـيوم ذاته الذى سعى فيه العوهلى إلى ترتيب الحصول على المبلغ.

٤٧ - ومن بين الأشخـاص الآخرين الذين اعـتقلوا بالارتباط مع التـفجيـر فى نيروبى محـمد الصادق عودة. وقـد اعترف بتورطـه. وكشف هوية المشاركين الـرئيسيين فى عـملية التفـجير. وأعطى أسـماء ثلاثة أشخـاص آخرين كانوا كلهـم أعضاء فى «القـاعدة» أو تنظيم «الجهاد الإسلامى المصرى».

٤٨ - وفـى دار السلام فـى اليوم ذاته، فى حوالى الـوقت نفسه، فـجر عناصـر تابعون لـ«القـاعدة» قنبلة فى السـفارة الأمـريكية ، مما أدى إلى قـتل ١١ شخـصاً . وكان مـن ضمن عناصر «القاعدة» مـصطفى محمد فضل وخلفان خميس مـحمد. ونقلت القنبلة فى شاحنة مـن طـراز «نيسان اتلس» كـان اشتراها أحمد خـلفان غيلانى والشيخ أحمد سالم سويدان، وهما من عناصر «القاعدة»، فى تموز (يوليو)١٩٩٨ فى دار السلام.

٤٩ - واعتقل خلفان خميس محمد لتورطه فى عـملية التفجير. واعترف بعضويته فى «القاعدة» ، وكشف تورط أعضاء آخرين فى «القاعدة» فى التفجير.

٥٠ - فى ٧ و٨ اب (أغسطس) ١٩٩٨، قام عـضوان آخران فى «القاعـدة» بتوزيع بيان ادعى المسئولـية عن التفجيـرين ، وذلك بإرسال فاكسـات إلى مؤسسات إعلامـية فى باريس والدوحة فى قطر ودبى فى الإمارات العربية المتحدة.

٥١ - وتوافرت أدلة إضـافية فى تورط «القاعـدة» فى التفجـيرين فى شرق إفريقـيا إثر عمليـة تفتيش أجـريت فى لندن لمساكن ومكاتب تجارية تعـود لأعضاء فى «القـاعدة» وتنظيم «الجهاد الإسلامى المصرى». وعُثر على بعض الوثائق، من ضمنها بيانات إعلان المسئولية عن

التفجيـرين فى شرق إفريقيا باسم جماعـة وهمية اسمها «الجيش الإسـلامى لتحرير الأماكن المقدسة».

٥٢ – واعترف العوهلى ، منفـذ التفجير الانتحارى المفـترض ، انه طلب منه أن يصور نفسه فى شريط فيديو وهو يستخدم اسم الجماعة الوهمية ذاتها .

٥٣ – واقتفى اثر بيانات ادعاء المسئوليـة عن التفجيرين المرسلة بالفاكس إلى رقم هاتف كان تلقى اتصـالات من الهاتف الخليوى لبن لادن. وكان واضـحا أن بيانات ادعاء المسـئولية التى وزعت على الصـحافـة كـتبت من قـبل شخص لديه مـعـرفة بالمؤامـرة. وجاء فـيهـا أن التفجيـرين نفذا من قبل سعوديين اثنين فى كينيا وشـخص مصرى فى دار السلام. والأرجح أن البيانات أُرسلت حتى قبل وقوع التفجيرين. وأشارت إلى مقتل سعوديين اثنين فى اعتداء نيروبى. وفى الواقع، لم يقتل سوى سعودى واحد لأن العوهلى فرّ فى اللحظة الأخيرة.

٥٤ – وفى ٢٢ كانون الأول (ديسـمبر)١٩٩٨، سـألت مجلة «تايم» أسـامة بن لادن هل كان مسئولا عن الاعتدائين فى آب (أغسطس) ١٩٩٨. فأجاب:

«إن الجبـهة الإسـلامية العـالمية، المجـاهدة ضد الولايات المتـحدة وإسـرائيل، أصدرت بحمد الله فـتوى واضحة تماماً تدعو الأمـة الإسلامية إلى مواصلة الجهـاد الهادف إلى تحرير الأماكن المقدسة. وقد لبت أمة محمد هذا النـداء. إذا كان التحريض على الجهاد ضد اليهود والأمريكيـن (٠٠٠) يعتبـر جريمـة، فليكن التاريخ شـاهدا على أننى مجـرم. إن مهمـتنا هى التحريض ، وقد فعلنا ذلك بحمد الله، واستجاب أشخاص معينون لهذا التحريض».

ورداً على سؤال عما إذا كان يعرف منفذى الاعتداءات، قال:

«... إن أى سارق أو مجرم يدخل بلدا آخر ليسرق ينـبغى أن يتوقع أنه سيكون معرضا إلى القتل فى أى وقت (٠٠٠) الولايات المتحدة تعرف أننى هاجمـتها، حمداً لله ، لأكثر من عشر سنوات حتى الآن (٠٠٠) يعرف الله أننا سررنا لمـقتل الجنود الأمريكيين (فى الصومال فى ١٩٩٣) . لقد تحقق ذلك بنعمة الله وجـهود المجاهدين (٠٠٠) إن العداء لأمريكا واجب دينى ونأمل أن يكافـئنا الله عليه . وأنا واثق بأن المسلمـين سيتمـكنون من إنهاء أسطورة مـا يسمى بالقوة العظمى – أى أمريكا » .

٥٥ - فى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٩، تم اكتشاف خلية إرهابية ذات صلة بـ«القاعدة» تسعى إلى تنفيذ هجمات داخل الولايات المتحدة. فقد أوقف شخص جزائرى، أحمد رسام، عند الحدود الأمريكية - الكندية وعُثر فى سيارته على أكثر من ١٠٠ باوند من مواد تستخدم لصنع متفجرات. واعترف رسام بأنه كان يخطط لتفجير قنبلة كبيرة فى مطار لوس أنجيليس الدولى فى يوم رأس السنة الجديدة.

وقال إنه كان تلقى تدريبات على أعمال إرهابية فى معسكرات تابعة لـ«القاعدة» فى أفغانستان وأعطى بعدها تعليمات بالذهاب إلى الخارج وقتل مدنيين وعسكريين أمريكيين.

٥٦ - فى ٣ كانون الثانى (يناير) ٢٠٠٠، حاولت مجموعة من أعضاء«القاعدة»، وإرهابيين آخرين كانوا تدربوا فى معسكرات لـ«القاعدة» فى أفغانستان، أن تهاجم مدمرة أمريكية بقارب صغير محمل بالمتفجرات وغرق قاربهم مما أدى أفشل الاعتداء.

٥٧ - لكن فى ١٢ تشرين الأول (اكتوبر) ٢٠٠٠، تعرضت المدمرة الأمريكية «يو. إس. إس. كول» إلى هجوم بواسطة قارب محمل بالمتفجرات بينما كانت تتزود بالوقود فى ميناء عدن، وقتل ١٧ من طاقم المدمرة وأصيب ٤٠ آخرون بجروح.

٥٨ - وتلقى أفراد عدة من منفذى الهجوم على «كول» (غالبيتهم من اليمنيين والسعوديين) التدريب فى معسكرات أسامة بن لادن فى أفغانستان. وشخص العوهلى هوية قائدى الهجوم على «كول» باعتبارهما من بين المشاركين فى التخطيط والإعداد لعمليتى تفجير السفارتين فى شرق إفريقيا.

٥٩ - فى الأشهر التى سبقت اعتداءات ١١ أيلول (سبتمبر)، وزعت أشرطة فيديو دعائية فى أنحاء الشرق الأوسط والعالم الإسلامى من قبل « القاعدة » ، ويظهر فيها أسامة بن لادن وآخرون وهم يشجعون المسلمين على مهاجمة أهداف أمريكية ويهودية.

٦٠ - ووزعت أشرطة فيديو أخرى، تمجد العنف ضد الولايات المتحدة وأهداف أخرى، قبل الهجمات على السفارتين فى شرق إفريقيا فى آب (أغسطس) ١٩٩٨.

أسامة بن لادن واعتداءات ١١ أيلول (سبتمبر)

٦١ - تم التعرف على هويات الخاطفين الـ١٩ من لوائح الركاب فى الطائرات الأربع التى خطفت فى ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١. وكان جرى التعرف بالفعل على ما لا يقل عن ثلاثة منهم على نحو مؤكد كعناصر مرتبطين بـ«القاعدة». وكشف أن أحدهم لعب دوراً رئيسياً فى عمليتى تفجير السفارتين فى شرق إفريقيا ، وكذلك الاعتداء على المدمرة «كول». وتستمر التحقيقات فى خلفيات كل الخاطفين.

٦٢ - واستناداً إلى مصادر استخبارية، تم التوصل إلى الحقائق التالية فى اعقاب ١١ايلول (سبتمبر). ولاعتبارات استخبارية لن تذكر أسماء هذه العناصر رغم أنها معروفة:

- فى الفترة التى سبقت ١١ أيلول (سبتمبر)، كان بن لادن يشن حملة إعلامية منسقة وسط تجمعات ذات أفكار متماثلة - من ضمنها أشرطة فيديو ووثائق - تبرر الهجمات على أهداف يهودية وأمريكية، وتدعى أن أولئك الذين ماتوا فى مجرى تنفيذها كانوا ينفذون مشيئة الله.

- علمنا، فى وقت لاحق بعد ١١ أيلول (سبتمبر)، أن بن لادن نفسه أكد قبل وقت قصير من ١١ أيلول (سبتمبر) أنه كان يعد لاعتداء كبير على أمريكا.

- فى آب (اغسطس) وبداية أيلول (سبتمبر) جرى تحذير مساعدين على صلة وثيقة ببن لادن بأن يعودا إلى أفغانستان من مناطق أخرى فى العالم بحلول ١٠ أيلول (سبتمبر).

- قبل ١١ أيلول (سبتمبر) مباشرة، كان بعض مساعدى بن لادن المعروفين يشيرن إلى أن موعد التحرك سيكون يوم ١١ أيلول (سبتمبر) أو حوالى هذا التاريخ.

- منذ ١١ أيلول(سبتمبر)، علمنا أن واحداً من أقرب وأكبر مساعدى بن لادن كان مسئولا عن التخطيط التفصيلى للهجمات.

- توجد أدلة ذات طبيعة بالغة الدقة تتعلق بمسئولية بن لادن، لكن يتعذر نشرها لأنها حساسة جداً.

٦٣ - مـا يزال بن لادن الشـخـص المسئـول والعـقل الموجـه لتنظـيم «القـاعـدة». وفي «القاعـدة»، تقتضي عـملية بمستـوى اعتـداءات ١١ أيلول (سبـتمبر) الحـصول على موافـقة أسامة بن لادن ذاته.

٦٤ - كانت طريقة تنفيذ عملية ١١ أيلول (سبتمبر) منسجمة كلياً مع هجمات سابقة. ويمتاز سجل المذابح التي ارتكبتها «القاعدة» بتخطيط دقيق بعيد المدى، ورغبة في إنزال عدد ضخم من الإصابات، وباستخدام منفذين انتحاريين، وتنفيذ اعتداءات متعددة متزامنة.

٦٥ - اعتـداءات ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ متوافـقة كلياً مع حجم ومستوى تعقيد التخطيط الذي انطوت عليه الاعـتداءات على السفارتين في شرق إفريقـيا والمدمرة «كول». ولم يعط أي تحـذير مسـبق لهذه الاعـتداءات الثلاثة، مـثلما كـان الحال أيضـاً في ١١ ايلول (سبتمبر).

٦٦ - وصف أعضـاء «القاعدة، في الأدلة التي قدمت خـلال جلسات المحاكمة المتعلقة بتفجير السفارتين في شـرق إفـريقيا ، كيف تقـضي الجماعة سـنوات في الإعـداد لهجوم . فهـم ينفذون عـمليات رصـد متكررة ، ويجـمعـون المواد بأناة ، ويشخـصـون ويتـفحـصون الأعضـاء الذين يملكون المهارات المطلوبة للمـشاركة في الاعتـداء والاستعـداد للموت من أجل قضيتهم .

٦٧ - التحق المشاركـون في تنفيذ مذابح ١١ أيلول (سبـتمبر) بكليـات لتعليم الطيران، واستخدمـوا أجهزة محاكاة الطيران لدراسة مـعدات قيادة طائرات أكبر حجمـاً، وأخضعوا مطارات وخطوط طيران محتملة للمراقبة.

٦٨ - امتـازت الهجمات التي نفـذها تنظيم «القاعدة» بتـجاهل تام لأرواح الأبرياء، بما فيهم المسلمين. وفي مقابلة أجريت مع أسامة بن لادن بعد عمليتي التفجير في شرق إفريقيا، أصر على أن الحاجة لمهاجمة الولايات المتحدة تبـرر قتل مدنيين أبرياء آخرين، مسلمين وغير مسلمين على حد سواء .

٦٩ - لا يملك أى تنظيم آخر الدافع والقدرة على السواء لتنفيذ اعتداءات كتلك التى وقعت فى ١١ أيلول (سبتمبر) - سوى شبكة «القاعدة» بقيادة أسامة بن لادن.

خاتمة

٧٠ - خُطَطت اعتداءات ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ ونفذت من قبل « القاعدة » ، وهو تنظيم يرأسه أسامة بن لادن . هذا التنظيم لديه الإرادة والموارد لتنفيذ اعتداءات مماثلة أخرى . وتمثل الولايات المتحدة وأقرب حلفائها أهدافاً لمثل هذه الاعتداءات ، ولم يكن للاعتداء أن يقع لولا التحالف بين « طالبان » وأسامة بن لادن ، الذى سمح لبن لادن أن ينشط بحرية فى أفغانستان ، ليروج ويخطط وينفذ نشاطاً إرهابياً .

* * *

الوثيقة (١٤)

بيان جديد لأيمن الظواهرى :

(القضية الفلسطينية محور الصراع والدافع إلى الجهاد)

صدر يوم ٢٠٠١/١١/١٠م

اعتـبر أيمـن الظواهرى الذراع اليمنى لزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن أن القضية الفلسـطينية سـتظل محـور الصراع الأساسى فى قلب العالم الإسلامى والدافع الأكبر لجهاد المسلمين ضد أمريكا نافياً أن تكون الغارات الأمريكية تمكنت من تدمير تنظيم القاعدة وقوات طالبان .

وقال الظواهرى فى بيان بثته محطة الجزيرة القطرية أن الحملة الأمريكية انتهت بعد شهر إلى قـتل أكثر من ألف وستمائة مدنى من الشيوخ والنساء والأطفال الأبرياء وشردت الملايين من الأفغان داخل وخارج أفغانستان .

وفى مـا يـأتى نص البيان : " بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين " .

" تمـادى الخطاب الذى ألقاه الرئيس الأمريكى جورج بوش فى تجاهل الحقائق الأساسية للصراع والتى اتفق العقلاء على أنها الأسباب الرئيسية لما حدث فى واشنطن ونيويورك وانتهى خطابه بتناقضات كثيرة ، ولكننا حرصاً على الاختصار سنرد على أهمها .

فلن نرد عليه بأن المتطرفين الطالبان رفضوا تسليم المجرمين بينما أمريكا هى التى رفضت احترام الشريعة الإسلامية وتقديم أدلتها لمحكمة إسلامية ولن نناقشه فى وصفه لأعضاء القاعدة بالإرهـابيين متناسـياً مـا ارتكبه السلاح الأمريكى من مذابح ، ولن نناقشه فى دعواه بعزلة القـاعدة بالرغم من التظاهرات الكاسحة التى امتدت على طول العالم الإسلامى وهى تطالب بالقصـاص مـن أمـريكا ، ولن نناقشه فى ما زعمته أمريكا من حماية مسلمى البوسنة رغم أن السلاح الأمريكى هو الذى منع وصول السلاح والدعم لهم ليذبحهم الصرب السفاحون ، ولـن نناقشـه فى تواطؤ أمريكا مع الهندوس فى الهند وكشمير ولا فى موقفها الظالم فى تقسيم أندونيسيا ، ولا نناقش بوش فى ما زعمه من أنه يخوض حربه دفاعاً عن حرية التعبير فى الوقت

الـــذى يطالب فيه بحظر بياناتنا وتصريحاتنا ، لا نناقشه فى كل هذا . لكننا سنركز ردنا على قضـــية واحـــدة بينة نعتبرها المحور البارز فى الخلاف والصراع القائم بين المسلمين وأمريكا ، وسنناقشه حول الجريمة الأمريكية – الإسرائيلية المستمرة فى فلسطين منذ أكثر من خمسين عاماً، فمـــن المـــثير للدهشة والسخرية والازدراء فى خطاب بوش ، وكذلك فى الرد الرسمى لإدارة الخارجيـــة الأمريكية المقروء على لسان كريستوفر روس أن كليهما لم يذكرا حرفاً واحداً عن فلســـطين . بل وعندما نوقش كريستوفر روس فى ذلك كان رده عذراً أقبح من ذنب ، فقد ادعـــى أن الحكومـــة الأمـــريكية ترعى المفاوضات بين العرب وإسرائيل منذ عشر سنوات ، ثم عقب على ذلك بأن هذا السؤال يعتبر خروجاً عن الموضوع .

إن هذا الأسلوب يدفع المسلمين بلا شك إلى مزيد من القناعة بأن الإدارة الأمريكية لن تغـــير سياســـتها المجرمة تجاه فلسطين ، وإذا كان الحديث عن فلسطين وهى القضية المركزية للمســـلمين مـــنذ أكـــثر من خمسين عاماً ، بل وهى المحرك الرئيسى لمعظم الأحداث فى العالم الإســـلامى وأحـــداث واشنطن ونيويورك ، إذا كان الحديث عنها خروجاً عن الموضوع إذن فـــلا ســـبيل الا الجهـــاد فى ســـبيل الله لتحرير فلسطين من اليهود الأمريكان . وإذا كانت المفاوضـــات مســـتمرة منذ عشر سنوات بين السلطة الفلسطينية واليهود تحت رعاية أمريكا لم تصـــل بـــنا إلى مـــزيد من القتل والعدوان على شعبنا المسلم فى فلسطين وإلا إلى مزيد من المحاولات المتكررة لهدم المسجد الأقصى فمتى سنصل إلى تحرير فلسطين ، ومتى سنحصل على حقـــوق المسلمين فى فلسطين ، ومتى سنوقف العدوان على المسجد الأقصى ، متى بعد عشرة قرون من المفاوضات تحت رعاية أمريكا !!

إن المماطـــلة فى إعطـــاء الحقوق هى عقيدة يهودية عند اليهود وافقت عليها السياسة الخارجيـــة الأمريكية ، كيف يمكن أن ننسى أن إسرائيل التى تباركها وتدعمها أمريكا قامت ابتداء من اسمها على أساس دينى ، فإسرائيل نبى من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ، وتحارب اسرائيل على أساس دينى ، وتستولى على بلادنا وتقتل أطفالنا ونساءنا على أساس دينى وتعتبر القدس عاصمتها الأبدية على أساس دينى ، وتدعو أمريكا لنقل سفارتها إلى القدس على اساس دينى ثم تدعى أمريكا بعد ذلك أن حملتها ضد الجهاد الذى تسميه بالإرهاب دفاعاً عن اسرائيل ليســـت حـــرباً دينية . وإذا كان بوش يزعم أننا لا نحترم النفس الإنسانية وأنه يخوض هذه الحـــرب دفاعـــاً عن هذه النفس فهل تناسى وهو يلقى خطابه ما فعلت أمريكا فى هيروشيما ونجازاكى ؟ وهل تناسى كيف قتل محمد الدرة رحمه الله وإخوانه بالسلاح الأمريكى ؟ ، كيف

يمكـــن أن ننســـى صورة محمد الدرة وهو يقتل عمداً وقصداً بسلاح أمريكا وأمريكا لا تحرك ساكناً ، ان صورة محمد الدرة قد صارت رمزاً حياً فى وجدان كل مسلم ينادى بالقصاص لكل من شارك فى هذه الجريمة وعلى رأسهم أمريكا .

إن التجاهل الأمريكى الرسمى فى خطاب بوش وفى بيان وزارة الخارجية الأمريكية لمأساة فلسطين لا يمكن أن يمحو من إذهان المسلمين صور مئات الآلاف من القتلى والجرحى والمعوقين وملايين المشردين فى فلسطين .

إن القضـــية الفلسطينية وعلى وجه التحقيق الجريمة الإسرائيلية - الأمريكية فى فلسطين ســـتظل محـــور الصراع الأساسى فى قلب العالم الإسلامى والدافع الأكبر لجهاد المسلمين ضد أمريكا .

وتتجاهل أمريكا جرائمها فى فلسطين كما يحلو لها ، وتتجاهل نصائح زعماء العالم لها لأن جذور الإرهاب كما يسمونه تكمن فى مشكلة فلسطين ، وتبقى أمريكا سادرة فى غيها ووهم قوتهـــا واستكبارها ، ولكننا نؤكد لها أننا ماضون فى جهادنا بإذن الله حتى نحرر مقدساتنا من العدوان الأمريكى - اليهودى من فلسطين وسائر بلاد الإسلام ، وأن قوتها لا تزن شيئاً عندنا فى جانب قوة الله تعالى العلى الجبار المنتقم ، بل إن قوتها هذه ستكون كارثة عليها بإذن الله .

والإدارة الأمـــريكية ومن ورائها الإعلام الأمريكى يصف المجاهدين بالإرهابيين ، فبوش فى خطابـــه وكريســـتوفر روس فى بيان وزارة الخارجية من قبله وصفانا بالإرهابيين . رغم أن الإعلام الأمريكى والغربى كان يصفنا وإخواننا الأفغان المدافعين عن الحرية لما كنا نقاتل روسيا الشيوعية دفاعاً عن أطفال المسلمين فى أفغانستان ، ثم لما قمنا نحن أنفسنا بالدفاع عن الأطفال المسلمين فى فلسطين وصفنا بالإرهابيين .

واليوم تصرح مستشارة الأمن القومى الأمريكى (كوندوليزا رايس) بأن بوش لن يقابل ياســـر عـــرفات لأنـــه لا يقـــوم بواجبه فى محاربة الإرهابيين ، وتقصد بهم اخواننا المجاهدين فى فلسطين . فلتصفنا أمريكا بما تشاء . فإن الحق باق وباطلها زائل وحملتها فاشلة بعون الله ، وبـــوش وهو يكذب على شعبه دفاعاً عن هذه الحملة يدعى أنه قد دمر تنظيم القاعدة ومزق خطـــوط الطالـــبان ، ولكـــن العالم كله يسخر من أكاذيبه وهو يرى حملته العسكرية الجرارة قد انتهت بعد شهر إلى قتل أكثر من ألف وستمائة مدنى من الشيوخ والأطفال والنساء الأبرياء وشـــردت الملايـــين من الأفغان داخل وخارج أفغانستان فى برد الشتاء القارس دون أن تقدم أمريكا دليلاً وحتى اتهاماً من محاكمها التى لا نعترف بها .

فلتحصـــد أمريكا ما استطاعت أن تحصد ، ولتكذب ما تريد أن تكذب ، فإن العالم كله سيعلم بعد الضربات القادمة بإذن الله من الكاذب منا ومن الصادق .

الوثيقة رقم ١٥

القائمة الأمريكية الثالثة لتجميد الأموال فى العالم

قائمة (الـ ٦٢)

أصدر المصرف المركزى الإماراتى قائمة بأسماء الأشخاص والشركات الـ ٦٢ التى شملها قرار تجميد الأموال ، وفيما يأتى نص القائمة :

١ - شركة آران لخدمات التحويل المالى ، مينيا بوليس ، مينيسوتا - الولايات المتحدة .

٢ - شركة البركة للصرافة - ديره - دبى - الإمارات العربية المتحدة .

٣ - البركات - مقديشيو - الصومال - دبى - الإمارات العربية المتحدة .

٤ - بنك البركات - مقديشيو - الصومال .

٥ - بنك البركات الصومالى (بى إس إس) مقديشيو - الصومال - بوساسو - الصومال .

٦ - مجموعة البركات للتمويل - دبى - الإمارات - مقديشيو - الصومال .

٧ - شركة البركات المالية - دبى - الإمارات - مقديشيو - الصومال .

٨ - البركات للاتصالات الدولية - دبى - الإمارات - مقديشيو - الصومال - هرجيسا - الصومال .

٩ - مجموعة شركات البركات الصومال المحدودة - دبى- الإمارات - مقديشيو- الصومال .

١٠ - البركات الدولية - دبى - الإمارات .

١١ - البركات للاستثمارات - ديره - دبى - الإمارات .

١٢ - البركات للخدمات البرقية - مينيا بوليس - مينيسوتا - الولايات المتحدة .

١٣ - التقوى للتجارة - شركة العقارات والصناعة المحدودة - لختشاين .

١٤ - اباث ترست رج - لختنشاين .

١٥ - بنك التقوى ليمتد - ناساو - وبهاماس .

١٦ - شركة بركات للإنشاء الأدبي - دبي - الإمارات .

١٧ - مجموعة شركات بركات - دبي - الإمارات - مقديشيو - الصومال .

١٨ - بركات الدولية - السويد .

١٩ - مؤسسة بركات الدولية ، سبانجا - استكهولم - السويد .

٢٠ - شركات بركات أمريكا الشمالية - أوتاوا - انتاريو - كندا .

٢١ - بركات البحر الأحمر للاتصالات - الصومال .

٢٢ - شركة بركات للاتصالات - الصومال ليمتد - دبي - الإمارات .

٢٣ - بنوك وتحويلات بركات - مقديشيو - الصومال - دبي - الإمارات .

٢٤ - بركات بوسطن - دورشستر - ماساشاتوستس - الولايات المتحدة .

٢٥ - بركات لاستشارات الكمبيوتر (بي سي سي) - مقديشيو - الصومال .

٢٦ - مجموعة بركات للاستشارات (بي سي جي) - مقديشيو - الصومال .

٢٧ - شركة بركات الدولية للهاتف - مقديشيو - الصومال - دبي - الإمارات .

٢٨ - مؤسسة بركات - كولومبس - أوهايو - الولايات المتحدة .

٢٩ - شركات بركات الدولية (بيكو) - مقديشيو - الصومال - دبي - الإمارات .

٣٠ - شركة بركات الدولية - مينيابوليس - مينيسوتا - الولايات المتحدة .

٣١ - بركات للبريد السريع (بي بي اى) - مقديشيو - الصومال .

٣٢ - شركة بركات للمنعشات - مقديشيو - الصومال - دبي - الإمارات .

٣٣ - شركة بركات للاتصالات ليمتد - مقديشيو - الصومال .

٣٤ - شركة بركات للتحويل البرقي - سياتل - واشنطن - الولايات المتحدة .

٣٥ - شركة براكو التجارية ذ م م - دبي - الإمارات .

٣٦ - شركة بركة التجارية ذ م م - الإمارات .

٣٧ – جلوبال سرفيس إنترناشيونال – مينيابوليس – مينيسوتا – الولايات المتحدة ·

٣٨ – حياة الأولية – مقديشيو – الصومال ·

٣٩ – مؤسسة ندى للإدارة إس إيه – سويسرا ·

٤٠ – شركة بركة التجارية – ديره – دبي – الإمارات ·

٤١ – شركة بركات البحر الأحمر ليمتد – مقديشيو – الصومال – دبي – الإمارات ·

٤٢ – شركة الصومال إنترنت – مقديشيو – الصومال ·

٤٣ – منظمة صومالى للإغاثة الدولية – مينيابوليس – مينيسوتا – الولايات المتحدة ·

٤٤ – شبكة صومالى إيه بي – سبانجا – السويد ·

٤٥ – يوسف إم ندى – سويسرا ·

٤٦ – يوسف إم ندى وشركاه – فيينا – النمسا ·

ثانياً : أشخاص لهم علاقة بإرهابيين

٤٧ – حسين محمود عبد القادر – ١ يونيو ١٩٦٨ – فلورنسا – إيطاليا ·

٤٨ – عبد الرازق آدن – ١ يونيو ١٩٦٨ – سبانجا – السويد ·

٤٩ – عباس عبدى على – مقديشيو – الصومال ·

٥٠ – عبدى عبد العزيز على – ١ يناير ١٩٥٥ – سبانجا – السويد ·

٥١ – يوسف أحمد على – ٢٠ نوفمبر ١٩٧٤ – سبانجا – السويد ·

٥٢ – ظاهر عبيد الله عويس – روما – إيطاليا ·

٥٣ – حســن ظاهر عويس – ١٩٣٥ – مواطن صومالى (المعروف أيضاً باسم الشيخ حسن ظاهر عويس على – حسن ضاهر عويس) ·

٥٤ – على غالب هيمات – ١٦ يونيو ١٩٣٨ – دمشق – سوريا – سويسرا – تونس ·

٥٥ – البرت فريدريك أرماند هوبر – ١٩٢٧ – سويسرا ·

٥٦ - حسين ليبان - أونتاريو - أوتاوا - كندا .

٥٧ - جاردا جما - ٢٦ يونيو ١٩٧٤- مينيابوليس - مينيسوتا - الولايات المتحدة .

٥٨ - أحمـــد نور على جمالى - دبى - الإمارات (المعروف أيضاً باسم أحمد على جمالى - أحمد نور على جمالى - أحمد على جمالى) .

٥٩ - عبد الله حسين كاهى - مقديشيو - الصومال .

٦٠ - محمد منصور - ١٩٢٨ - مصر أو الإمارات - زيورخ - سويسرا .

٦١ - زينب منصور فتوح - زيورخ - سويسرا .

٦٢ - يوســف نــدى - ١٧ مايو ١٩٣١ أو ١٧ مايو ١٩٣٧ - الإسكندرية - مصر - مواطن تونسى معروف باسم ندى يوسف مصطفى .



وثيقة رقم (١٦)

الحوار الأخير مع (بن لادن) الذى أعلن فيه امتلاكه للأسلحة نووية والكيميائية

(الحوار منشور فى إحدى الصحف الباكستانية)

بعـد ضـرب أمـريكا لأفغانستان بالقنابل فى ٧ أكتوبر الماضى أخبرتم قناة الجزيرة أن هجمات ١١ سبتمبر نفذت بواسطة بعض المسلمين فكيف عرفت ؟

أسامة بـن لادن : الأمريكان أنفسهم هم الذين أعلنوا قائمة بأسماء المشتبه فيهم أنهم منفذو هجمات ١١ سبتمبر ، وسموا أسماء الأشخاص المتورطين فى الهجمات وكانوا جميعاً مسلمين ١٥ منهم ينتمون للسعودية و٢ للإمارات وواحد لمصر ، وحسب المعلومات فقد كانوا كلهم ركاباً على الطائرات . لكن أمريكا تقول انهم مختطفو الطائرات رغم أن أصحاب هذه الأسماء كانوا فى بلادهم .

** فى تصريحكم فى ٧ اكتوبر عبرت عن ارتياحك لأحداث هجمات ١١ سبتمبر بالرغم من العدد الهائل من الناس الأبرياء الذين هلكوا فى هذه الأحداث وبينهم المئات من المسلمين ؟ فهل يمكن أن تبرر قتل أبرياء فى ضوء تعاليم الإسلام ؟

بـن لادن : هذه هى النقطة الرئيسية فى الجهاد ، وفى رؤيتى أنه إذا احتل العدو أراضى المسلمين واستخدم عامة الناس كدروع بشرية فهذه رخصة لنا ان نهاجم هذا العدو . على سبيل المثال لو أن عصابة اقتحموا منزلاً واحتجزوا طفلاً كرهينة فإن والد الطفل يمكن ان يهاجم العصابة وفى هذا الهجوم يمكن أن يصاب الطفل بإذى . أمريكا وحلفاؤها ذبحوا الفلسطينيين والشيشانيين والكشميريين والعراقيين . فكان الحق للمسلمين أن يهاجموا أمريكا للأخذ بالثأر . الشرع الإسلامى قال إن المسلمين يجب أن لا يعيشوا فى أراضى الكفر طويلاً . أحداث ١١ سبتمبر لم تكن تستهدف النساء ولا الأطفال . الهدف الحقيقى كانت رموز القوة العسكرية والاقتصادية الأمريكية ، الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام كان ضد قتل النساء والأطفال ، وعندما شاهد امرأة قتلت أثناء الحرب سئل لماذا قتلت ؟ إذا حمل الأطفال سن ١٣ سنة السلاح ضد المسلمين فهذا يعد رخصة لقتلهم .

إنـه يدفـع الضـرائب لحكومته وإنه ينتخب رئيسه وحكومته ويصنعون الأسلحة التى يعطونها لإسرائيل لذبح الفلسطينيين .. والكونجرس يقر كل معايير الحكومة هذه ، ويبرهن على المسئولية الأمريكية الكاملة عن الفظائع التى ترتكب ضد المسلمين . لأن الأمريكان هم الذين انتخبوا الكونجرس ، وأنا أطالب الشعب الأمريكى أن يجبر حكومته أن تتخلى عن سياستها ضد المسلمين ، الشعب الأمريكى انتفض ضد حكومة الحرب فى فيتنام ، ويجب عليهم الشعب الأمريكى أن يفعل نفس الشيء اليوم .. الشعب الأمريكى يجب أن يوقف مذابح المسلمين التى تتم بواسطة حكومته .

** هل يمكن القول أنك ضد الحكومة الأمريكية وليس الشعب الأمريكى ؟

بن لادن : نعم نحن نسير على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الرسالة أن تنشر كلمة الله وليس ذبح الناس .. نحن أنفسنا أهداف للقتل والإبادة والفظائع . نحن فقط مدافعون عن أنفسنا هذا هو دفاع الجهاد .. نحن نريد الدفاع عن شعبنا وعن أرضنا .. ذلك هو السبب أن أقول إذا لم نجد الأمن فإن الأمريكان أيضاً قد لا يجدونه " عش ودع الآخرين يعيشون " هذه صيغة بسيطة يمكن ان يفهمها الأطفال الأمريكيون .

** إمام الجامع الأزهر أصدر فتوى ضدك يقول إن آراء ومعتقدات بن لادن لا تحمل أى شيء عن الإسلام . ماذا لديك أن تقوله تعليقاً على ذلك ؟

بن لادن : فتوى أى امام رسمى لا تحمل أى قيمة بالنسبة لى .. التاريخ مليء بأمثلة هذه الفتاوى التى تبرر الربا وتبرر احتلال اليهود لفلسطين . هؤلاء الناس يدعمون الكفار لمكاسب شخصية يحققونها .. الأئمة الحقيقيون يدعمون ويؤازرون الجهاد ضد أمريكا أخبرنى ماذا ستفعل إذا غزت القوات الهندية باكستان ؟ .. القوات الإسرائيلية احتلت أراضينا والقوات الأمريكية موجودة فوق أراضينا . فنحن ليس لدينا أى خيار آخر سوى أن نعلن الجهاد .

** بعض وسائل الاعلام الغربية تدعى أنكم تحاولون حيازة الأسلحة الكيماوية والنووية فكم حجم الحقيقة فى تلك التقارير الإعلامية ؟

بن لادن : لقد استمعت إلى حديث الرئيس بوش يوم ٧ أكتوبر . لقد كان يخوف الدول الأوروبية بأن أسامة بن لادن يريد أن يهاجم بأسلحة الدمار الشامل ..أود أن أعلن أنه إذا

استخدمت أمريكا أسلحة الدمار الشامل ضدنا فإننا قد نرد بالأسلحة الكيمياوية والنووية ونحن نملك هذه الأسلحة كرادع .

** من أين حصلت على هذه الأسلحة ؟

بن لادن : انتقل إلى السؤال التالى .

** اندلعت المظاهرات فى كثير من الأقطار الأوروبية ضد الهجمات الأمريكية على أفغانستان .. آلاف المتظاهرين لم يكونوا مسلمين .. ما رأيك فى هؤلاء المتظاهرين غير المسلمين ؟

بن لادن : يوجد هناك الكثير من المخلصين وأصحاب القلوب الطيبة فى الغرب .. ووسائل الاعلام الأمريكية تحرضهم ضد المسلمين ، على أية حال فإن بعض أصحاب القلوب الطيبة تظاهروا ضد الهجمات الأمريكية لأن الطبيعة الانسانية تريد العدالة .. المسلمون الذين ذبحوا تحت رعاية الأمم المتحدة فى البوسنة أنا أعلم أن بعض ضباط الجيش الأمريكى فى قوات الأمم المتحدة استقالوا احتجاجاً على هذه المذابح ، ومنذ سنوات عديدة مضت استقال سفير أمريكا فى مصر احتجاجاً على سياسات الرئيس جيمى كارتر أن اللوبى اليهودى جعل أمريكا والغرب أسرى له .

** بعض الناس يقولون إن الحرب ليست حلاً لأى قضية هل تعتقد أن بعض الصيغ السياسية التى يمكن إيجادها قد توقف الحرب الحالية ؟

بن لادن : يجب أن تسأل هذا السؤال هؤلاء الذين بدأوا هذه الحرب . نحن فقط مدافعون عن أنفسنا . أفغانستان هى البلد الإسلامى الوحيد ومن ثم ندافع عنه .

** إذا خرجت أمريكا من السعودية وتحرر المسجد الأقصى هل يمكن أن تقدم نفسك للمحاكمة فى بلد مسلم ؟

بن لادن : أفغانستان هى البلد الإسلامى الوحيد ، باكستان تتبع القانون الإنجليزى ، وإذا كان لدى الأمريكان اتهامات ضدى فنحن لدينا عريضة اتهام ضدهم .

** الحكومة الباكستانية قررت التعاون مع أمريكا عقب أحداث ١١ سبتمبر ، والذى لا تعتبره صواباً . ماذا تعتقد ما يجب أن تفعله باكستان فى ظل تعاونها مع أمريكا ؟

بن لادن : حكومة باكستان يجب أن تضع إرادة شعبها فى نظرها ، ويجب ألا تستسلم إلى مطـالب أمريكا غير المبررة .. أمريكا ليس لديها دليل أو برهان صلب ضدنا . فقط كل ما لديها تخمينات ظنية .. إنها ليست عدالة أن تبدأ إلقاء قنابلها استناداً إلى تلك التخمينات الظنية .

** ماذا أنتم فاعلون لو قررت أمريكا أن تهاجم باكستان بمساعدة الهند وإسرائيل ؟

بن لادن : مـاذا حققـت أمـر يكا من مهاجمتها أفغانستان ؟ نحن لن نترك الشعب الباكسـتانى ولا الأراضى الباكستانية تحت رحمة أى شخص .. سوف ندافع عن باكستان . لكن نحن لا نتفق مع الجنرال برويز مشرف هو يقول إن الغالبية من الشعب الباكستانى معه ، وأنـا أقول إن الغالبية ضده ، بوش استخدم كلمة الصليبية .. هذه الحرب الصليبية أعلنها بوش ، وانه ليس من الحكمة أن يقايض الجنرال برويز مشرف دماء الأخوة الأفغان لكى يحسن الاقتصاد الباكستانى ، وسوف يعاقب الشعب الباكستانى الجنرال مشرف ، وأيضاً سوف يعاقبه الله ، والآن حـرب عظيمة فى التاريخ الإسلامى بدأت رحاها فى أفغانستان ، وقد اتحدت كل القوى الكبرى ضد المسلمين وإنه لثواب أن نشارك فى هذه الحرب .

** زعمت بعض الصحف الفرنسية انكم تعانون مشاكل صحية فى كليتيك ، وقد ذهبت فى سرية إلى دبى للعلاج العام الماضى هل هذا صحيح ؟

بن لادن : كليتى فى أحسن حال وأنا لم أذهب إلى دبى العام الماضى .. كما أن جريدة إنجليزية نشرت هى الأخرى مقابلة مختلقة مع أبنائى الذين يعيشون فى السعودية وكلها كاذبة وغير صحيحة .

** هل صحيح أن ابنة الملا عمر زوجة لك وابنتك زوجة للملا عمر ؟

بن لادن : كـل زوجاتى عربيات وكل بناتى متزوجات من عرب مجاهدين ، وإن لى علاقـة روحية مع الملا عمر وإنه أعظم وأشجع مسلم فى هذا الزمن ، وهو لا يخشى من أحد إلا الله ، ومواقفه ليست نتيجة لأى علاقة شخصية أو نتيجة التزامه لى بفضل عليه ، وهو فقط مؤد لخدماته الدينية الإسلامية .

ملحق

صور الوثائق والخرائط



رسائل "الموت" مؤرخة في ١١ ايلول ومتشابهة المضمون بخط كبير

■ واشنطن - ا ف ب - وزع مكتب التحقيقات الفيديرالي (الاف بي آي) نسخا عن الرسائل الثلاث الملوثة بجرثومة «الانثراكس» المسببة لمرض الجمرة الخبيثة والتي ارسلت بالبريد في الولايات المتحدة الى عضوين في الكونغرس والثانية الى وسائل اعلام اميركية.

وتحمل الرسائل الثلاث المرفقة بمغلفاتها تشابها في الخط والمضمون، وكتبها، بالحرف الكبير، شخص او اثنان. ولا يستبعد المتخصصون في علم الخطوط ان يكون الكاتب اميركيا او غربيا.

وتحمل الرسائل الثلاث تاريخ ١١ ايلول (سبتمبر) يوم تنفيذ الهجمات في الولايات المتحدة ووضعت كلها في مركز بريد ترينتون في نيوجيرزي.

والرسالة الاولى وجهت في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) الى الصحافي في شبكة «ان بي سي» التلفزيونية توم بروكاو. وفتحتها مساعدته ايرين اوكونور (٣٨ عاما) التي اصيبت بعدوى المرض. وفي ما يلي نص الرسالة:

«هذه هي التتمة. تناول البنسيلين (خطأ كتابي باللغة الانكليزية) الآن. الموت لاميركا. الموت لاسرائيل. الله اكبر».

وفي ١٥ تشرين الاول (اكتوبر)، اعلن مجلس الشيوخ ان رسالة وصلت الى زعيم الاكثرية توم داشل كانت ملوثة بالجرثومة. وكتبت الرسالة ايضا بالحرف الكبير. اما حروف المصدر فبدلا من حروف الاولى. وفي ما يلي نصها: «لا تستطيعون ان توقفونا. لدينا هذا الانثراكس. تموت الآن. هل انت خائف؟ الموت لاميركا. الموت لاسرائيل. الله اكبر».

وفي ١٩ تشرين الاول (اكتوبر)، اصيبت موظفة في صحيفة «نيويورك بوست» بالجمرة الخبيثة. وهذه هي الرسالة الثالثة التي لم تفض واصيبت بالعدوى، والتي عثر عليها في الصحيفة. ومضمونها مشابه تماما لمضمون الرسالة الاولى. واعلن وزير العدل الاميركي جون اشكروفت اول من امس ان الهدف من نشر الرسائل هو اطلاع الناس على شكلها لتسهيل كشف رسائل اخرى محتملة.

09-11-01

THIS IS NEXT

TAKE PENACILIN NOW

DEATH TO AMERICA

DEATH TO ISRAEL

ALLAH IS GREAT

09-11-01

YOU CAN NOT STOP US.

WE HAVE THIS ANTHRAX.

YOU DIE NOW.

ARE YOU AFRAID?

DEATH TO AMERICA.

DEATH TO ISRAEL.

ALLAH IS GREAT.

مستنسخ من الرسائل الثلاث الملوثة بجرثومة «الانثراكس» التي ارسلت بالبريد الى الكونغرس والى وسائل اعلام اميركية ووزعها «الاف بي آي» امس. (رويترز)



المصدر : جريدة التايمز البريطانية

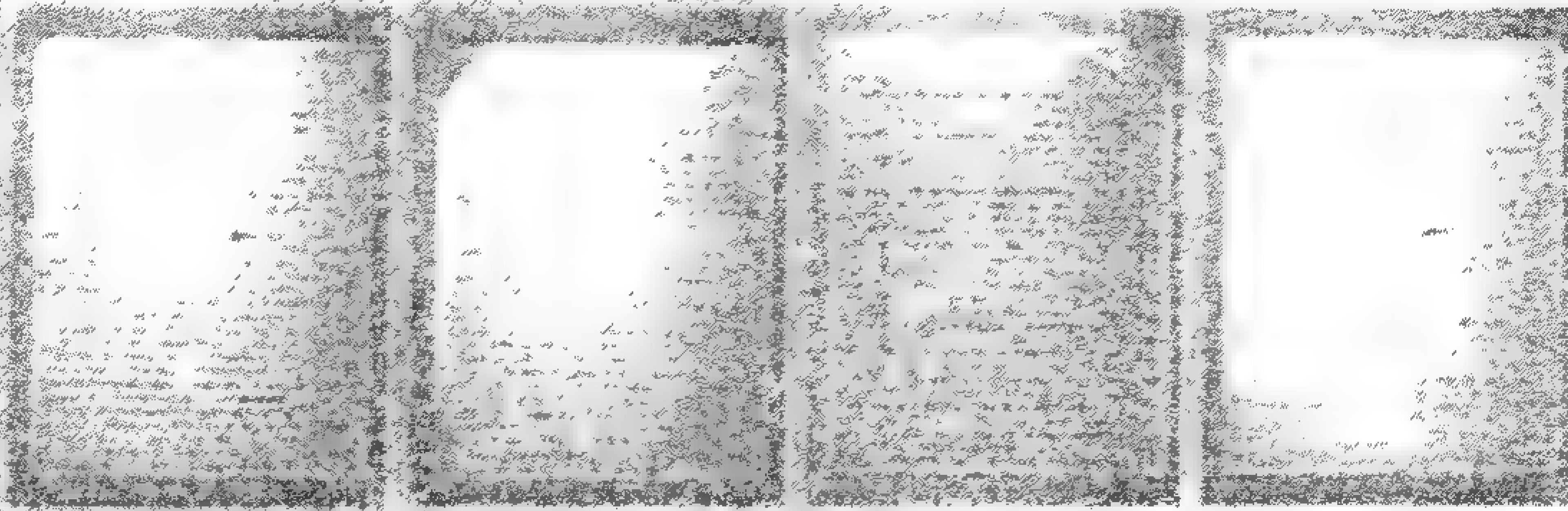

توزع الباشتون بين افغانستان و باكستان
اوزبكستان
طاجيكستان
الصين
تركمانستان
فايز اباد
الهند
ايران
هيرات
بيشاور
اسلام اباد
٣٨٪ من مجموع السكان
لاهور
٨٪ من مجموع السكان
افغانستان
كويتا
باكستان
١ الباشتون
٢ الطاجيك
٣ الهزارة
٤ الاوزبك
Source: CIA World Factbook 2001
AFP

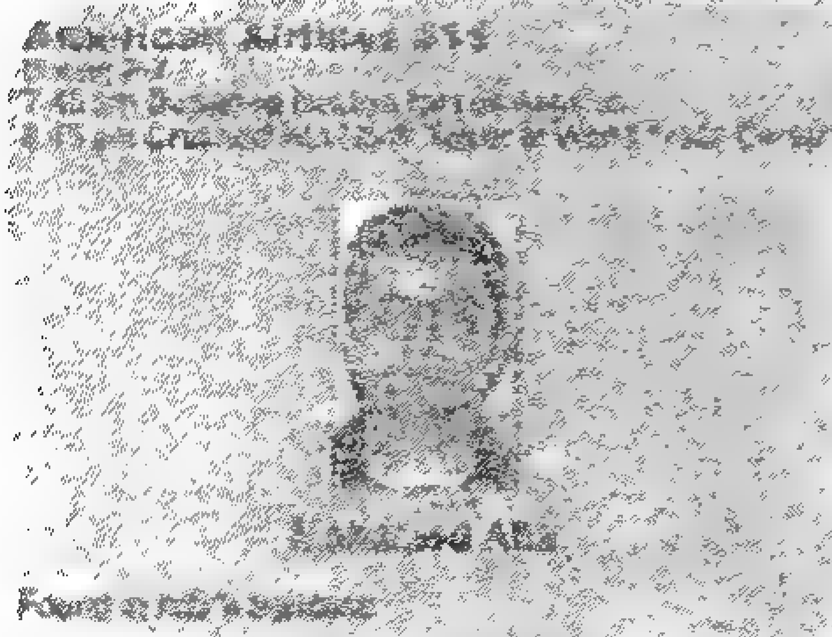
PRESS CONFERENCE

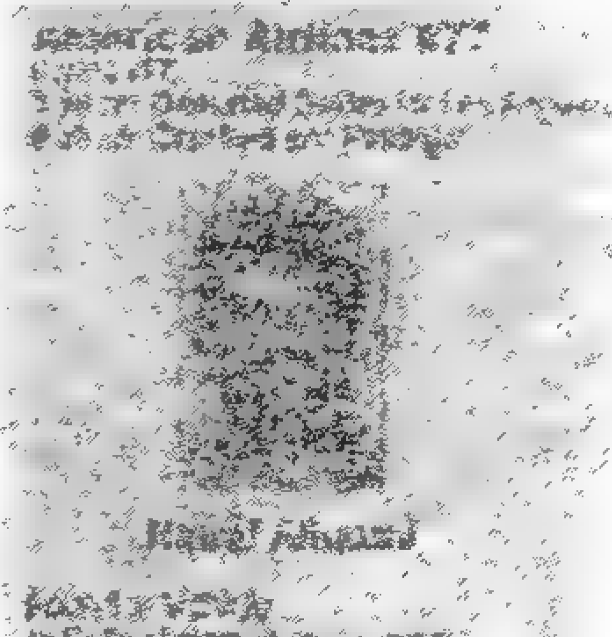
September 28, 2001

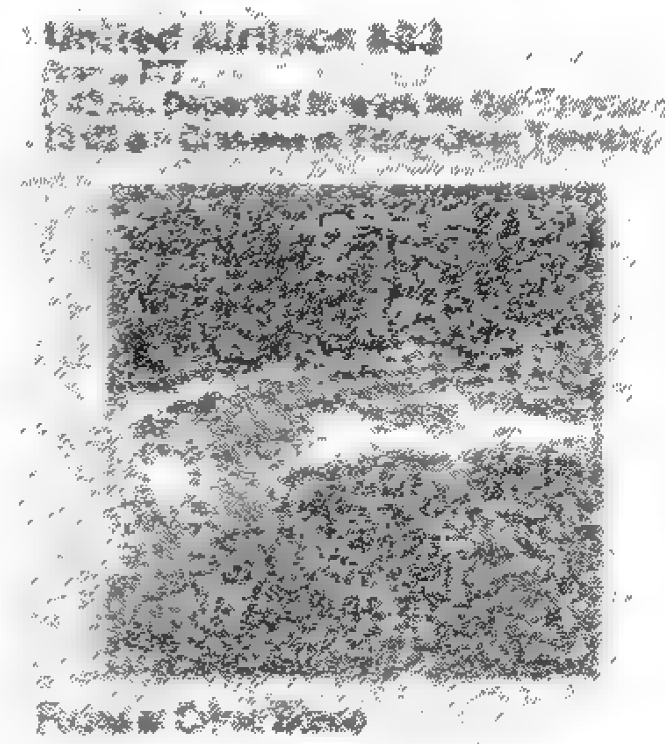
| Press Releases | Terrorist Attacks | FBI Homepage |

Hijacking Letter Found at Three Locations









Back To Top

[صورة من الرسالة التى ادعت الأجهزة الأمريكية أن الخاطفين المفترضين قد تركوها بعد خطفهم للطائرات]

الملاحظات العامة : [illegible]

[illegible]

١- [illegible]

٢- [illegible]

٣- [illegible]

٤- [illegible]

[illegible]

٥- [illegible]

٦- [illegible]

٧- [illegible]

٨- [illegible]

٩- [illegible]

١٠- [illegible]

١١- [illegible]

١٢- [illegible]

١٣- [illegible] [redacted] [illegible]

١٤- [illegible]

١٥- [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الردى [illegible]

[illegible] الجنات [illegible]

[illegible]

[illegible]

المرحلة الثالثة :

[illegible]

[illegible] السلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في كتاب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ثم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] قال تعالى [illegible]

[illegible]

[illegible]

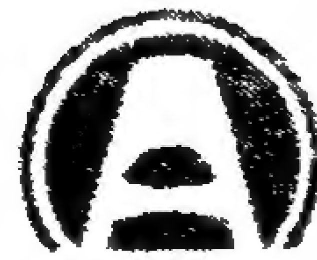
وإذا [illegible] أحدكم [illegible]

وإذا ذكر [illegible] المصطفى صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible] أبي طالب
[illegible]
فلما استشهد [illegible]
[illegible] استخلاف [illegible]
[illegible]
[illegible]
ثم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

المحتويات



عــربيــة للطباعة والنشر

7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين

تليفون : 3256098 - 3251043

قرآن .. وسيف

من الأفغانى .. إلى بن لادن

(من ملفات الإسلام السياسى)

دراسة موثقة

■ بعد أن هدأت العاصفة ، عاصفة أمريكا - أفغانستان ، وعاصفة الكتابات السريعة حولها ، كان لابد وتتقدم الكتابات الجادة العميقة ، حول الظاهرة، تلك الكتابات التى تتناول جذور الظاهرة وأعراضها ومستقبلها بأكبر قدر من العلمية والموضوعية .

■ والظاهرة - القضية هى (الإسلام السياسى) ، وهى قديمة قِدم الاستعمار الغربى على منطقتنا وقِدم الاستبداد والطغيان السياسى فى هذه المنطقة ، والكتاب الذى بين أيدينا ، يمثل إجابة وثائقية تاريخية ، عميقة ، على التساؤلات الكبرى التى تثيرها هذه الظاهرة ، وتلح فى البحث عن إجابات وافية لها ؛ فالكتاب وعبر ثلاثة أجزاء وعشرات الصفحات والوثائق يتناول القضية خلال المائتى عاماً الماضية منذ قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر (١٨٩٧) حتى قدوم حملة بوش إلى أفغانستان (٢٠٠١) من خلال موروث المفكرين والحركات ووثائق التيارات الفاعلة فى قضية (الإسلام السياسى) .

الناشر



دكتور / رفعت سيد أحمد

• أما المؤلف ، فهو من أبرز وأشهر الخبراء العرب فى دراسة الحركات الإسلامية السياسية ، ولقد صدر له ٢٥ مؤلفاً فى قضايا الفكر الإسلامى والصراع العربى الصهيونى ، وبعض كتبه صار مرجعاً لكل من حاول البحث فى تاريخ وواقع الحركات الإسلامية خلال السنوات العشر الماضية ومنها كتابه الأشهر (النبى المسلح) وكتابه (الحركات الإسلامية فى مصر وإيران دراسة مقارنة) ، و (رسائل جهيم ... و (الإسلامبولى ... لتنظيم الجهاد الإ...

• إن ما بين ... العربى ، دراسة ع... واستشرافية لو... قضايانا المعاصرة ، ... وبتوثيق وموضوعية ... تستحق القراءة والحوار .

